

من أخبار القبائل في نجد

في القرن الثالث عشر الهجري

(١٢٠١ - ١٣٠٠هـ)

فائز بن موسى البدراني الحربي *

مقدمة : الحمد لله رب العالمين باعث الأولين والآخرين ، والصلاة

والسلام على سيد المرسلين ؛ وبعد :

فإن هذا البحث الذي تنشره الدرعية على حلقات ابتداء من هذا العدد

حول تاريخ القبائل في نجد خلال القرن الثالث عشر الهجري (١٢٠١ -

١٣٠٠هـ) ليس إلا محاولة لرصد وتوثيق أخبار القبائل النجدية ، من خلال ما

ورد في المصادر التاريخية المكتوبة المتاحة عن تلك الفترة.

فمن المعلوم أن عصور الفوضى والعامية التي سادت في وسط الجزيرة

العربية ، قد أدت إلى عدم تدوين أخبار بوادي نجد باستثناء إشارات قليلة

ومتناثرة في بعض التواريخ المحلية والأجنبية.

وقد نتج عن هذا الفراغ الكبير في تدوين تاريخ القبائل وتموجاتها في

* بكالوريوس - علوم إدارية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧هـ .

- ماجستير في إدارة المستشفيات . جامعة الملك سعود ، ١٤١٠هـ .

- دورة متقدمة - دبلوم - الثقافة الصحية - جامعة فرجينيا - أمريكا .

- يعمل حالياً مديراً تنفيذياً في مركز الأمير سلطان لأمراض وجراحة القلب منذ سنة ١٤١٣هـ .

- له عدد من الإصدارات والمقالات والأبحاث الأدبية والتاريخية .

وسط الجزيرة إتاحة الفرصة للاعتماد بشكل كبير على الرواية العامة لسد هذا الفراغ عن طريق ما يرويه كبار السن لأبنائهم وأحفادهم من قصص تاريخية وبطولات لا تسلم من شطحات الخيال العامي، الذي يميل لا شعورياً إلى التحيز الذاتي، وبناء أمجاد وهمية تستقر في ذاكرة العوام على مر الأجيال، فيؤمنون بها ولا يقبلون مناقشتها ؛ ولأن العوام لا يجدون وسيلة لتوثيق مَروياتهم إلاّ الشعر العامي، فقد لجأوا إليه وأحلّوا القصيدة محل الوثيقة، وشتان بينهما!

وقد اعتمد بعض الباحثين المعاصرين على الشعر العامي في تحديد توجّات القبائل، وعلى سبيل المثال: يقول د. عبدالله العثيمين عن قبيلة مطير وقحطان : (ومعروف أن قبيلة مطير هي التي أزاحت نفوذ قبيلة عنزة عن أهم مناطق نجد الرعوية فيما بعد، وأن قبيلة قحطان هي التي حلّت محل مطير في بسط النفوذ على تلك المناطق، كما يوضح ذلك قول مويضي البرازية :

نجد حَمَيْنَاها من أولاد وايل

واليوم عَدُونَا سكن وادي الرّأك^(١)

أقول: ولكن د. العثيمين هنا لا يشير إلى دور الدولة السعودية الأولى في هذه التغيرات التاريخية، ولا يحيلنا إلى المصادر التاريخية الأخرى .
والشيء نفسه نجده أيضاً عند الشيخ عبدالله بن خميس في بحوثه عن تاريخ الجزيرة العربية ، وبالذات ما يخص تاريخ القبائل^(٢).

(١) مقال في مجلة الدارة، العدد الأول من السنة الرابعة، ص ٢٣ وما بعدها.

(٢) انظر مقالات الشيخ عبدالله بن خميس حول هذا الموضوع، بعنوان: الشعر الشعبي ومعالم الجزيرة العربية، مجلة العرب، السنة الأولى، ج ١، رجب سنة ١٣٨٦هـ، ص ٨ وما بعدها، وج ٤، شوال سنة ١٣٨٦هـ، ص ٢٩٤ وما بعدها.

كما نحا هذا المنحى الشيخ الباحثة أبو عبدالرحمن ابن عقيل عند حديثه عن موضوع سيطرة القبائل على نجد، وبالذات علاقة عتيبة مع قحطان في القرن الثالث عشر الهجري، حيث اعتمد كثيراً على أشعار الشيخ تركي بن حميد، غير أن الشيخ أبا عبدالرحمن تميّز في طرحه عن سبقه باستقصائه في هذا الموضوع، كما تميز بإنصافه للمؤرخ محمد بن بليهد - رحمه الله - فيما كتبه عن هذا الجانب^(١).

ومن هذا المنطلق ، فإننا سوف نقدم في هذا البحث سرداً تاريخياً موجزاً للأخبار والحوادث المتعلقة بالقبائل ، مرتبة حسب سنوات القرن الثالث عشر الهجري، تاركين المقارنة بين مضامين تلك الإشارات التاريخية الموثقة ومفاهيم الرواية العامة للباحثين والمهتمين من أجل الخروج بحقائق أقرب واقعية وأكثر مصداقية ، ومن أجل تنقية تاريخنا المحلي وتصفيته من كثير من الشوائب والزبد الذي يكاد لا يذهب جفاء ! .

وقبل أن نبدأ بسرد تلك الأخبار والإشارات على نحو ما ذكرنا؛ فإنه من المهم أن نشير إلى الخصائص والظروف والتغيرات التي تميزت بها فترة البحث، والتي كان لها أثر كبير على مجريات الأمور في حركة القبائل النجدية، ومدى مشاركتها في صنع التاريخ في الصحراء العربية .

ومن أهم هذه التغيرات تقلب الأحوال السياسية في المنطقة خلال فترة البحث، حيث يلاحظ أن المنطقة قد تعرضت لتغيرات سياسية واجتماعية كبيرة،

(١) تاريخ نجد في عصور العامة ، تأليف : أبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري ، دار العلوم ، الرياض ، ط ١، ١٤٠٢ هـ، ج ١، ص ١١٧ وما بعدها.

ومرت بتحويلات متباينة ، بلغت أقصى درجات الاستقرار والوحدة والأمن في الربع الأول من القرن الثالث عشر إبَّان فترة الحكم السعودي الذي بلغ أوجه سنة ١٢٢٥هـ، وبين أقصى درجات الاضطراب والتفكك وانعدام الأمن بعد تدمير الدرعية . كما مرت المنطقة بعد ذلك بحالة غير مسبقة، وهي دخول العساكر المصرية التركية إلى عمق الصحراء العربية، وما قامت به من أعمال وأساليب جديدة على أهل البلاد أثناء محاولتها السيطرة على الجزيرة العربية، وإخضاعها لحكم محمد علي باشا .

وقد أحدث سقوط الدولة السعودية الأولى فراغاً سياسياً عظيماً لم تستطع قوات محمد علي باشا أن تملأه بنظامها ووسائلها الغربية على المنطقة، فازداد تفكك القبائل، وتفاقت انقساماتها على بعضها ؛ نتيجة للدسائس والأساليب التي مارسها العساكر الذين كانوا يحاولون السيطرة على الصحراء المتمردة بأية وسيلة ! .

لكن آل سعود لم يلبثوا أن أعادوا الكرة ؛ لاستعادة حكمهم في مرحلته الثانية، وبناء دولة جديدة لتملأ الفراغ السياسي الكبير الذي حل بالمنطقة، ولترفع عنها ذلك الكابوس المخيف المتمثل في سلطة العساكر وسلطة الفوضى ! .

غير أن الدولة السعودية الثانية التي واجهت ظروفاً عصيبة في بدايتها لم تنعم بالاستقرار كثيراً، إذ لم تلبث بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢هـ حتى بدأت علامات الضعف والنهاية تدب في أوصالها؛ لتبرز في المنطقة قوة جديدة مصدرها شمال نجد وهي الإمارة الرشيدية التي خدمتها الظروف، فقامت ممثلة بأكبر أمرائها محمد بن رشيد باستغلالها أيما استغلال.

ومع أننا سوف نناقش في نهاية هذا البحث - إن شاء الله - أثر هذه

التغيرات بشكل أكثر تفصيلاً، إلا أنه من المهم الإشارة هنا إلى عدة أمور يجب ملاحظتها قبل الدخول في تفاصيل هذا البحث أو محاولة الحكم عليه، ومنها الوضع في المراحل التاريخية المختلفة، والمتمثلة فيما يلي :

أولاً - الربع الأول من القرن الثالث عشر (١٢٠١ - ١٢٢٥هـ) :

شهدت هذه الحقبة غاية الاستقرار والوحدة في وسط نجد بفضل ما بلغته الدولة السعودية الأولى التي تأسست في منتصف القرن الثاني عشر الهجري. وبلغ هذا الاستقرار غايته بنهاية الربع الأول من القرن قبل وصول القوات المصرية إلى بر الحجاز سنة ١٢٢٦هـ، ولهذا فإن المتابع لأخبار القبائل سيلحظ قلة واضحة في أخبار القبائل وحوادثها في وسط نجد مع مرور سنوات هذه الفترة، وهذا يعود لهدوء الأوضاع، حيث تنحصر أخبار القبائل في دخولها في دائرة الوحدة أو في مشاركتها في وقائع توحيد البلاد وتأمين أطرافها.

ثانياً - الربع الثاني من القرن الثالث عشر (١٢٢٦ - ١٢٥٠هـ) :

لقد شهدت هذه الفترة حوادث جسيمة ومؤثرة في تاريخ المنطقة، بدأت بدخول قوات محمد علي في حملتها الأولى منطقة الحجاز واستيلائها على المدينة المنورة ثم مكة المكرمة، وما تلا ذلك من حوادث عظيمة انتهت بسقوط الدرعية، وما تلاه من فوضى واضطرابات ستأتي بعض تفصيلاتها ضمن سياق الأخبار . كما شهدت أواخر هذه الحقبة مرحلة تأسيس الدولة السعودية الثانية، وسيلحظ القارئ خلال هذه الفترة ، تزايد مشاركات القبائل في الحوادث التاريخية والسياسية بسبب انقسام الولاءات وانقسامات التبعية السياسية في المنطقة التي حلت محل الوحدة السعودية .

كما أن من مظاهر تاريخ هذه الحقبة تزايد الاهتمام بتاريخ القبائل في المصادر التاريخية، ليس بسبب مواقفها السياسية، وإنما بسبب دخول مصادر تاريخية جديدة في منطقة نجد، كالتقارير العسكرية العثمانية عن أوضاع قواتها في وسط نجد وعلاقتها مع القبائل، فضلاً عن ما كتبه الرحالة الغربيون الذين نشطوا في استكشاف الصحراء العربية واتجاهاتها السياسية والدينية.

ثالثاً - الربع الثالث من القرن الثالث عشر (١٢٥١هـ - ١٢٧٥هـ) :

تتضمن هذه الفترة مرحلتين متباينتين، فخلال الفترة من سنة ١٢٥٠هـ إلى ١٢٥٣هـ، كان إقليم نجد مضطرباً وموزعاً بين وسطه الذي يحاول الإمام فيصل بن تركي جاهداً أن يفرض عليه الاستقرار والوحدة ، والأطراف الغربية والجنوبية لنجد التي توجد فيها قوات محمد علي باشا ، وتحاول فرض سيطرتها على قبائلها.

غير أن جهود الإمام فيصل سرعان ما توقفت سنة ١٢٥٣هـ، عندما غلب على أمره ورُحِّل إلى مصر وحل العساكر محله في وسط نجد، فانقلبت الأمور واشتعلت الاضطرابات مرة أخرى.

لكن الإمام عاد إلى نجد في أواخر سنة ١٢٥٦هـ ، واستأنف جهوده ، ولم يلبث أن استعاد مكانته وسيطرته على الأمور في وسط نجد بعد مكاتبات ومناوشات ومعارك مع القبائل النجدية ، وقد كان لكل هذه التقلبات السياسية تأثير كبير على حركة القبائل وتبادل مواقعها في نجد وعلى أطرافه.

رابعاً - الربع الأخير من القرن الثالث عشر (١٢٧٦ - ١٣٠٠هـ) :

وقد شهدت هذه الفترة عودة الاضطرابات إلى نجد فيما يتعلق بأحوال القبائل،

ليس بسبب تحول ولائاتها من الحكم السعودي إلى أشرف الحجاز أو الإمارة الرشيدية، وإنما لعدم تمكن أمراء الرشيد من تطبيق النموذج السعودي الخاص في الحكم الذي يقوم على أساس ديني وقيادي راسخ، ومن ثم لم يستطع الرشيدون توحيد البلاد وقبائلها وإخضاعها، ولم يصلوا إلى المستوى الوحدوي السعودي. وهذا ما يفسر الاضطرابات في نجد، وخاصة حوادث القبائل في وسط نجد وعلى أطرافه.

وما نود أن نشير إليه بعد استعراض هذه المراحل الزمنية والتحولات التاريخية التي شهدتها القرن الثالث عشر، هو أن تاريخ حركة القبائل ظل متفرقاً في المصادر التاريخية، ولم يكن الاطلاع عليه متيسراً لأبناء القبائل لعدم اهتمامهم بالتدوين التاريخي، ولطبيعة حياتهم البدوية غير المستقرة، وقد أدّى هذا الوضع إلى صنع تاريخ عامي موازٍ للتاريخ المدوّن، قد يتفق معه أحياناً وقد يختلف معه في أغلب الأحيان، وللأسف الشديد فإن كثيراً من المهتمين قد اعتمدوا على التاريخ العامي، واجتهدوا في استنتاجه من دواوين الأدب الشعبي أو من صدور العوام، وأغفلوا الجانب التحقيقي للمتاح من المصادر التاريخية المكتوبة المعاصرة لتلك الحوادث.

غير أنه من الجدير بالذكر قبل أن ندخل في استعراض تلك الحوادث أن نشير إلى أن الحروب القبلية وغزوات السلب والنهب، كانت جزءاً من الحياة في وسط الجزيرة العربية، حتى قام الزعماء السعوديون - الذين قيضهم الله سبحانه وتعالى لتغيير هذا الواقع المرير، وإنقاذ البلاد مما كانت عليه من الفوضى والبؤس - فجاهدوا لإيقاف تلك الصراعات الدموية عن طريق الغزوات الجهادية

لتوحيد تلك الأطراف المتصارعة ، وتوجيه نشاطها إلى الوحدة والبناء بعد أن كانت موجهة للفرقة والتطاحن الغوغائي .

وقد آتت الجهود الحيرة للزعماء السعوديين ثمارها في فترة وجيزة، إذ سرعان ما تحولت القبائل إلى أمة واحدة تقاتل تحت راية لا إله إلا الله. وتبدل الخوف في جزيرة العرب إلى أمن لم تشهده البلاد قرابة عشرة قرون، وقد بلغ هذا الأمن أوجه في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد ثم في عهد ابنه الإمام سعود. وقد شهد المؤرخون لآل سعود بهذا الإنجاز ؛ يقول ابن بشر من كلام طويل حول هذا الموضوع: (وجميع أهل الأسفار يأتون من البصرة وعُمان وبلدان العجم والعراق وغير ذلك إلى الدرعية. ويحجون ويرجعون إلى أوطانهم لا يخشون أحداً من جميع البوادي، مما احتوت عليه هذه المملكة لا بحرب ولا سرق، وليس يؤخذ منهم شيء من الإخوات والقوانين التي أحيوا بها سنة الجاهلية، يخرج الراكب وحده من اليمن وتهامة الحجاز والبصرة والبحرين وعُمان ونقرة الشام لا يحمل سلاحاً بل سلاحه عصاه، لا يخشى كيد عدو ولا أحداً يريده بسوء)^(١).

وفيما يلي استعراض للحوادث التاريخية المتعلقة بالقبائل خلال الفترة الزمنية التي يغطيها البحث ، مرتبة ترتيباً زمنياً من خلال ما جاء في المصادر التاريخية المتاحة .

أخذ أهل القصيم لبوادي شمر سنة ١٢٠١هـ :

قال ابن بشر بعد أن ذكر غزو ثويني رئيس المنتفق للقصيم ، وحصاره لبريدة في هذه السنة: "وفيها بعد رحيل ثويني من القصيم غزا حجيلان بن

(١) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٦٩ .

حمد بأهل القصيم وغيرهم وأغار على بوادي شمر، وأخذ عليهم إبلًا كثيرة وأثاثًا وأمتعة، وقتل عليهم قريب مائة رجل" (١) .

ومن الجدير بالذكر أن غزو أمير القصيم لشمر ربما يأتي ردًا على مشاركة بوادي شمر وطبئ - كما يذكر الشيخ ابن غنام - لشيخ المنتفق في غزوه لأهل القصيم وحصارهم في شهر المحرم من تلك السنة (٢) .

وقعة على بوادي عنزة سنة ١٢٠٢هـ:

وذلك أن الإمام سعوداً سار بجنوده من أهل نجد البادية والحاضرة ، وأغار على بوادي عنزة وهم مجتمعون على قنا وقني (الجلان المعروفان في عالية نجد)، فأخذهم وقتل منهم رجالاً (٣) .

مبايعة أهل وادي الدواسر للحكم السعودي سنة ١٢٠٢هـ :

قال ابن بشر في أخبار سنة ١٢٠٢هـ أيضاً ، ما نصه : (وفيها بايع أهل وادي الدواسر على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ووفد على الشيخ وعبدالعزیز بعد مجاولات ومقاتلات سنذكر بعضها، وذلك أن ربيع وبدن ابني زيد رئيسا المخاريم لما وفدوا على الشيخ وعبدالعزیز وبايعهما تبين ربيع في الوادي بدعوة التوحيد ... إلخ) .

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد، تأليف: المؤرخ عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، منشورات دار الملك عبدالعزيز، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ج ١، ص ١٦٢،

وانظر: تاريخ ابن غنام المسمى: "روضة الأفكار والأفهام"، ص ١٦٥

(٢) تاريخ نجد، المسمى: "روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام"، للعلامة

المؤرخ: حسين بن غنام، تحقيق: د. ناصر الدين الأسد، ج ١، ط ٣، ١٤٠٣هـ، ص ١٦٣ و ص ١٦٤

(٣) المصدرين السابقين.

وبعد أن يورد ابن بشر تفاصيل تلك الحوادث، يقول: (...) وطلب الرجبان من ربيع الدخول في الدين، وكذلك جميع الوداعين وبايعوه، وتتابع أهل الوادي كلهم وبايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ثم وفد ربيع وجماعته على الشيخ فأكرمهم غاية الإكرام، وطلبوا لهم معلماً للتوحيد، فأرسل معهم عبدالله بن فاضل ويقوا على ذلك ستة أشهر، ثم ارتد الرجبان والوداعين، فلما بلغ الخبر عبدالعزيز جهز سليمان بن عفيصان بجيش معه فدهمهم في بلادهم وقاتلهم أشد القتال وقذف الله في قلوبهم الرعب، وطلبوا من سليمان الأمان والقدوم على عبدالعزيز، فقدموا الدرعية وبايعوه وشرط عليهم ألفي ريال نكالا، وألف بندق فسلموها له^(١).

غير أن الشيخ حسين بن غنام يرى أن مبايعة الدواسر كانت سنة ١١٩٩هـ، حيث يقول: (وقدم ربيع وبدن ابنا زيد - وهما رئيسا المخاريم - مع جماعة من قومهما على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير عبدالعزيز، فدخلوا في الإسلام وعاهدوا على التوحيد، ثم هدى الله بهم أناساً آخرين)^(٢). أقول : ولا تعارض بين هذا الخبر وما ذكره ابن بشر من مبايعة الدواسر، حيث يفيد نص ابن بشر بمبايعة جملتهم ، في حين يفيد نص ابن غنام بداية مبايعة بعض أهل وادي الدواسر .

(١) عنوان المجد ، مصدر سابق ، ص ١٦٥ و ١٦٦ ، وتاريخ نجد لابن غنام ، مصدر سابق ، ج ١، ص ١٦٦.

(٢) تاريخ نجد ، المسمى : "روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام"، للعلامة الموزع : حسين بن غنام، تحقيق : د. ناصر الدين الأسد، ج ١، ط ٣، ١٤٠٣هـ، ص ١٦٥.

وقعة بين بني خالد والقوات النجدية سنة ١٢٠٣ هـ :

قال ابن غنام: "سار سعود ومعه جموع كثيرة من المسلمين يريد غزو بني خالد، فالتقى بهم في أرضهم - يقصد الصمان - وكانت جموعهم قليلة متفرقة، فلما رآه قوم دويحس وعبدالمحسن - يقصد دويحس بن عريعر وعبدالمحسن بن سراح - أسرعوا إلى الفرار، ولكنهم ما لبثوا أن جمعوا شملهم ونازلوا المسلمين، غير أن الحرب لم تطل بينهم إذ خشي سعود الغدر والخيانة من بعض الأعراب الذين كانوا معه، فانصرف عنهم راجعاً" (١) .

وفيهما أيضاً وقعة شديدة بين سعود وأتباعه وقبائل المنتفق بقيادة ثويني، وكان النصر في النهاية لسعود وأتباعه (٢) .

وفيهما أيضاً أخذ الإمام سعود غزواً لبني خالد ؛ قال ابن غنام بعد أن ذكر الوقعة السابقة: "ثم ورد سعود بالمسلمين ماء الوفرا فلما رحل منها صافد في طريقه ركباً من آل سحبان من بني خالد كبيرهم ابن معجل وكانوا تسعين رجلاً فقتلهم جميعاً" (٣) .

وقد أشار ابن بشر إلى أن صالح أبا العلاء من عتيبة كان دليل جيش سعود بن عبدالعزيز في تلك الغزوة (٤) .

وقعة غريميل على بني خالد سنة ١٢٠٤ هـ :

وغريميل ماء قرب الأحساء ، قال ابن بشر : "وذلك أن سعوداً سار من

(١) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام، مصدر سابق، ص ١٧٠، وانظر عنوان المجد.

(٢) انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٦٧، وتاريخ ابن غنام أيضاً، حوادث السنة المذكورة.

(٣) انظر عنوان المجد وتاريخ ابن غنام أيضاً، حوادث السنة المذكورة.

(٤) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٦٨

الدرعية بجنوده المسلمين من البادية والحاضرة وسار معه بوادي الظفير - رئيسهم ابن صويط - وبوادي العارض وزيد بن عريعر ومن معه من جلوية بني خالد ؛ فسار بتلك الجموع وقصد جموع بني خالد ؛ ورئيسهم يومئذ عبدالمحسن بن سرداح وابن أخته دويحس بن عريعر ، وهم عند غريميل المذكور. فعدا عليهم ونازلهم ووقع القتال بينهم ثلاثة أيام، فانهزم عبدالمحسن ومن معه إلى المنتفق^(١).

وقد تولى زيد بن عريعر في بني خالد بعد هذه الواقعة.

وقعة الليلية مع بني هاجر سنة ١٢٠٤ هـ :

ذكر خبر هذه الواقعة ابن بشر، إلا أنه لم يحدد موضعها، فقال : (وفي السنة التي قبل هذه - يقصد سنة ١٢٠٥ هـ - غزا قاعد بن ربيع^(٢) بن زيد الدوسري بجيش من قومه، وقصد بني هاجر ومعه هادي بن قرملة وأحمد بن بخان^(٣)، فخان بعض قوم قاعد وانخذلوا عنه، وثبت معه ابن قرملة وابن بخان، فاشتد الكرب على المسلمين، ووقع القتال والجلاد، وقتل من المسلمين نحو العشرين وأسِرَ منهم رجال، وسميت هذه الواقعة الليلية عند تلك البادية لأن القتال وقع أكثره بالليل ... إلخ)^(٤).

(١) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٠ ؛ وانظر تاريخ نجد للشيخ ابن غنام، ص ١٧٢ ؛ وتحفة المشتاق، حوادث السنة المذكورة.

(٢) عند ابن غنام: "وغزا ربيع، ويسمى قاعداً ... إلخ"، ص ١٧٣ .

(٣) عند ابن غنام: أحمد بن نجّان، ص ١٧٣ .

(٤) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٣ .

وقعة على مطير سنة ١٢٠٥ هـ :

قال ابن غنام في تاريخه : "وفي سنة ١٢٠٥ هـ سار سعود بالمسلمين يريد غزو أعراب مطير، وكبيرهم الحميداني ؛ فسبقه إليهم النذير، فرحلوا عن مواقعهم وجدّوا السير حتى نزلوا الجريسية^(١) ، فأسرع إليهم المسلمون ولاقوهم هناك، فحاول أولئك الأعراب أن يصدوا الفرسان المغيرين، فتصدوا لقتالهم .. فهزمهم المسلمون، وقتلوا منهم أكثر من خمسين رجلاً، وغنموا ما كان معهم من الأموال من الأمتعة والأثاث والزاد والغنم والإبل"^(٢) .

وقعة قصر ابن بسام سنة ١٢٠٥ هـ :

وذلك أن الشريف غالب بن مساعد شريف مكة سير جموعاً من العساكر والجنود ، وانضم إلى هذه القوات حسين الدويش وأتباعه من مطير وبعض شمر وبوادي قحطان ، وأسند الشريف قيادة قواته إلى أخيه عبدالعزيز ، وزوده بقوة هائلة من المدافع والأسلحة ، وتوجهت هذه القوات لمهاجمة الدرعية ، لكنهم مروا بطريقهم على قصر ابن بسام المعروف بالبرود في منطقة السر، فنازلوا أهله وحاصروه أكثر من عشرة أيام، فامتنع عليه، ولم يكن فيه إلا حوالي أربعين رجلاً ، وأهله من بني علي من قبيلة حرب وبالأخص أسرة آل ناهض، وبسام الذي عرف الموضع باسمه هو جدهم . قال ابن بشر: "فلما رأى الشريف امتناع هذا القصر، ولم يعطوه الدنية رحل عنهم" ، ويقول ابن جنيدل في عالية نجد:

(١) الجريسية : مورد ماء في نواحي الدوادمي (معجم البلاد السعودية، حمد الجاسر، ط ١، القسم الأول، ص ٢٤٥).

(٢) تاريخ نجد للشیخ حسین بن غنام، حوادث سنة ١٢٠٥ هـ، ص ١٧٥ .

"ففي قصر بسام هُزم - أي الشريف - وغنم أهل القصر أحد مدافعه وما زال محفوظاً عندهم" (١).

أقول : وقد كانت هذه الهزيمة سبباً في منع الشريف من مهاجمة الدرعية، حيث أدخلت الفشل والضعف في جموعه، فأقام في السر مدة ثم رجع وحاصر بلدة الشعراء ثم عاد إلى الحجاز .

وقعة على مطير أتباع حسين الدويش سنة ١٢٠٥ هـ :

وذلك أن الإمام سعوداً قام بحملات تأديبية شديدة على القبائل التي مالت للشريف في حملته السابق ذكرها، فخرج بقواته، وسار حتى نزل بأرض رُمَحَيْنَ (٢) ، فأقام بها حتى توافدت عليه جموع أتباعه، فأغار على مطير جماعة حسين الدويش في عالية نجد ؛ وكان قوم من الدواسر قد انضموا إلى الشريف وهم قوم جماهر وحويل، فأرسل إليهم سعود جيشاً التقى بهم في موقع يسمى اللدام في ناحية، وادي الدواسر، فهزمهم وانتصر عليهم .

ويقول ابن غنام عن هذا الخبر: "ثم سار سعود بمن معه من المسلمين من

(١) انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٤ ؛ وتحفة المشتاق، حوادث السنة المذكورة ، والأخبار النجدية أو تاريخ الفاخري، تحقيق: د. عبدالله بن يوسف الشبل، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى (بدون تاريخ) ، ص ١٢٣ ؛ وعالية نجد لابن جنيد، ص ٧٩٠ و ص ٢٢٣ ؛ وتاريخ بعض الحوادث في نجد ، لابن عيسى ؛ وتاريخ ابن ضويان ، تأليف الشيخ: إبراهيم بن محمد بن ضويان (ت ١٣٥٣هـ)، إعداد وتحقيق: إبراهيم بن راشد الصقير، منشورات مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٥٤ - ٥٥ ؛ وتاريخ ابن غنام، ص ١٧٦

(٢) رُمَحَيْنَ: كَثِيان رَمْلِيان بارزان وسط رمل الرغام المسمى عريق البلدان الآن، في منطقة شرقاء، (معجم اليمامة، ج ١، ط ٢، ص ٨٢).

رمحين وقصد أعراب مطير أتباع حسين الدويش، فصَبَّحُوهم بالحرب وهزموهم، وقتلوا منهم أكثر من عشرين رجلاً وأخذوا بعض إبلهم" (١) .

وقعة على بعض بوادي قحطان سنة ١٢٠٥ هـ :

قال ابن غنم بعدما ذكر رحيل الشريف بعد حصاره للشعراء : " فلما علم سعود برحيله أمر محمد بن معيقل - أمير بلدة شقراء - مع بعض المسلمين أن يتبع أثره ويغير عليه من خلفه ، فبادر محمد بن معيقل إلى ذلك، فأغار على فريق من قحطان، فأخذ إبلأ كثيرة منهم، فلحق به منهم بعض الفرسان، فقاتلهم وهزمهم، وأخذ منهم خمس عشرة فرساً" (٢) .

أقول : ولا شك أن هذا الفريق من قحطان لا يدخل فيه الشيخ هادي بن قرملة وأتباعه من قحطان الذين ثبتوا على ولائهم للسعوديين .

وقعة العدو على مطير وشمر سنة ١٢٠٥ هـ :

يبدو أن وقعة العدو المشهورة تنقسم إلى وقعتين؛ فالأولى كانت على مطير بالذات، والثانية كانت على مطير وشمر، وتفصيل هذه الوقائع كما يلي:

الوقعة الأولى : قال ابن بشر: " وفيها وقعة العدو ، وذلك أن كثيراً من البوادي الذين ساروا مع الشريف انفردوا عنه لما رجع إلى مكة وأكثرهم من قبائل مطير وقبائل شمر ؛ ما غاب من هاتين القبيلتين إلا القليل. فانحازوا إلى الماء المعروف بالعدوة وهو مزرع لشمر قرب بلد حایل، فنهض إليهم سعود واستنفر أهل نجد من البادي والحاضر، فسار بالجيوش المنصورة وقصدهم في

(١) انظر تاريخ ابن غنم، حوادث السنة المذكورة، ص ١٧٧ .

(٢) انظر تاريخ ابن غنم، حوادث السنة المذكورة، وكذلك: عنوان المجد، مصدر سابق، ج ١، ص ١٧٦

تلك الناحية ونازلهم ووقع بينهم قتال شديد، فانهزم أولئك البوادي، وقتل منهم قتلى كثيرة من فرسانهم ورؤسائهم منهم مسعود الملقب حصان إبليس، وسمرة الفارس المشهور رئيس العبيات من مطير، وعدد كثير غيرهم، وغنم المسلمون غنائم كثيرة من الإبل والغنم والأثاث والأمتعة وأخذ جميع محلهم" (١) .

الوقعة الثانية : قال ابن بشر أيضاً: "فلما انهزم أولئك البوادي وأخذت أموالهم - أي في الوقعة السابقة - استنفروا ما يليهم من قبائلهم وغيرهم ممن لم يحضروا الوقعة، وأرسلوا إلى سعود يدعونه للمنازلة ، وأنهم يريدون أن يسيروا إليه، فثبت لهم، وأقبلوا إليه مقرنين الإبل - وهو على العدو يقسم الغنائم - ، فساقوها على جميع المسلمين، فثبتوا لهم . وكان في مقدم البوادي مصلط بن مطلق الجريا، وكان قد نذر أن يجشم فرسه صيوان سعود، فأراد أن يتم نذره، فاخطفه المسلمون وضربه رجل بمشوى قرص، فطرحه عن جواده فقتل، وانهزم تلك البوادي لا يلوي أحد على أحد " (٢) . انتهى ما اخترناه من كلام ابن بشر.

ويذكر ابن عيسى في تاريخه هذا الخبر بإيجاز، إلا أنه يُسمي من القتلى: مصلط بن مطلق الجريا من شمر، وحصان إبليس أبو هليبة ، وسمرة العبوي من مطير (٣) .

(١) انظر : عنوان المجد ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٧٦ ؛ وتاريخ ابن غنم وتحفة المشتاق ، حوادث السنة المذكورة.

(٢) عنوان المجد، ج ٢، ص ١٧٦ .

(٣) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى (ت ١٣٤٢هـ)، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ، ص ١٢٥ .

ويجمل صاحب "لمع الشهاب" أخبار هذه الوقائع وما حصل من القبائل التي انضمت للشريف كما يلي: "ثم إن عرب الشريف الذين كانوا ملتجئين به من بداءة نجد تفرقوا عنه راجعين إلى أطراف نجد.. فقحطان احتازوا إلى تثليث، وعتيبة إلى برية مكة كركبة وما يليها ، وأما مطير فاحتازوا إلى أرض شمر . إلى أن يقول: وكان إذا شيخ مطير حسين بن وطبان - الدويش - رجلاً شجاعاً، فلما سمع عبدالعزيز بهذا الخبر بعث ولده سعود بجيش إليهم ومعه بعض عنزة، وكانوا أضداداً لمطير، ومعه أيضاً بدو العارض : سبيع، والعجمان، وكذا هادي بن قرملة في جماعة من قحطان ؛ وهذه المسيرة أول معاضدته لآل سعود ^(١) وشهور شأنه في جزيرة العرب ثم صار له صيت كبير، وهذا الجيش يبلغ خمسة آلاف رجل (هواردي) وثمانمائة فارس، فصَبَّحَ عرباً يقال لهم البراعصة من مطير وزعيمهم اسمه سعود، يكنى بحصان الشيطان، أو حصان إبليس، وهو الذي كنى نفسه بهذه الكنية وهو شجاع معدود ومعه مئتا فارس من رفقته. فحاربوا سعوداً وقد قتل من فرسانه نفرٌ وقد قتل حصان إبليس وأولاده وأولاد أخيه، وأخذت بيوتهم وأغنامهم، وكانت إبلهم غائبة في الفلاة. وبعد هذا اشتد الأمر على مطلق الجرباء وحسين الدويش وضائق بهم الدنيا وكانا على ماء يسمى ياطب عن حائل ثمان ساعات، فأقبلا صائلين على سعود وعسكروا يريدون المناجزة الحرب معه ، فوقع الحرب بينهم وبين سعود، فساق أولاً في وجوههم حتى دفع جموعهم بها، ثم أعقبهم بالخييل

(١) مرَّ معنا في حوادث سنة ١٢٠٤هـ، أن هادي بن قرملة اشترك مع شيخ الدواسر في قتال بني هاجر لصالح آل سعود ! .

والرجال، فقتل ولد مطلق اسمه سلطان ^(١) ... إلخ" ^(٢) .

وقعة الشقرة على مطير وحرب سنة ١٢٠٦هـ :

وذلك أن مطيراً بعد هزيمتهم في وقعة العُدوة كما سبق ، وكذلك هزيمة حلفائهم من قبائل شمر انحازوا إلى من حولهم من بوادي حرب في نواحي جبل شمر، وبذلك فقد جرّوا عداً إمام الدرعية على بوادي حرب فغزاهم، قال ابن بشر: "وفيها كانت غزوة الشقرة، وذلك أن سعوداً سار بالجيوش الكثيفة من جميع نجد الحاضرة والبادية وقصد ناحية جبل شمر، وقد ذكر له قبائل كثيرة من البوادي من مطير وحرب وغيرهم على الماء المعروف بالشقرة ^(٣) قرب جبل شمر، فعدا عليهم سعود وأخذهم جملة وحاز منهم أموالاً عظيمة ... إلخ" ^(٤) .

ويفيد رواية بني علي أن حرباً المقصودين هنا هم بعض قبائل بني علي وكان زعيمهم سويحل الفرم ^(٥) .

وقعة على مطير على الحناجج سنة ١٢٠٦هـ :

قال ابن غنام بعد أن ذكر غزوة الشقرة السابقة: "ثم غزا هادي بن قرملة - بأمر من الإمام - مع جمع كثير من الأعراب المسلمين، وسار حتى وافى قبائل

(١) الصحيح أنه مسلط وليس سلطان حسب ما تذكر المصادر الأخرى.

(٢) انظر آل الجرباء في التاريخ والأدب، تأليف: أبي عبد الرحمن ابن عقيل، ص ٥٩، نقلاً عن لمع الشهاب؛ وانظر: تاريخ ابن غنام، مصدر سابق، ص ١٧٨ .

(٣) يذكر د. الشبل في تهميشه على تاريخ الفاخري أن الشقرة وادٍ لا يزال معروفاً بين الحناكية والصويدة، أقول: وهي محطة وبلدة عامرة الآن على طريق القصيم المدينة، وسكانها بنو جابر من حرب.

(٤) انظر : عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٧٩؛ وتاريخ ابن غنام، ص ١٨٠، والفاخري، إلا أنه ذكرها في حوادث سنة ١٢٠٧هـ، وهناك اختلاف كبير بين ابن بشر وابن غنام في تفصيل الغنائم، ولذلك لم ندخل في تفصيل الغنائم واكتفينا بنتيجة الغزوة وهو المهم.

(٥) وانظر: أصول الخيل العربية الحديثة، حمد الجاسر، ط ١، ١٤١٥هـ، ص ٣٧٠ .

مطير وهم على ماء الخناج بعالية نجد، فنازلهم وبذلوا جهدهم في قتاله حتى من الله عليه بالنصر، وغنم المسلمون ثلاثة آلاف بعير" (١).

وقعة الشيطان على بني خالد سنة ١٢٠٧ هـ :

قال عبدالله بن بسام في تحفة المشتاق: "في هذه السنة غزا سعود بن عبدالعزيز ومعه جنود كثيرة من الحاضرة والبادية وصبح عريان بني خالد في الشيطان، وهو موضع معروف في ديرة بني خالد، وأخذهم وقتل منهم مقتلة عظيمة . قيل : إن عدد القتلى في هذه الوقعة نحو ألف رجل، وتسمى وقعة الشيطان، ولم يبق لبني خالد بعدها قائمة، وزالت ولاية آل حميد بعدها عن الأحساء والقطيف استقلالاً" (٢) . انتهى ما اخترناه من كلام ابن بسام .

وتفاصيل هذه المعركة أوردها ابن بشر في عنوان المجد ، وذكر بعض أعيان القبائل الذين شاركوا في هذه الوقائع ؛ فقال : "ثم دخلت السنة السابعة بعد المائتين والألف : وفيها سار سعود بالجيش المنصورة والخيل العتاق المشهورة من جميع نواحي نجد وعربانها، وقصد ناحية الشمال يريد عريان بني خالد، وهم على الجهر الماء المعروف، فلما قرب منهم وجد آثار الجيش والخيل غازية وعادية من تلك العربان المقصودة . وكان بنو خالد تابعوا عبدالمحسن، وطردوا أولاد عريعر وذويهم، فلما تولى عليهم براك نهض بهم تلك الغزوة، ونهض معه جميع بني خالد وورد اللصافة الماء المعروف، فأغار منها على عريان من سبعين وغيرهم وأخذ منهم إبلاً كثيرة، فلما وجد سعود آثارهم عادين نزل

(١) ابن غنام، ص ١٨٠ ، والفاخري وابن بشر، حوادث السنة المذكورة.

(٢) انظر: تحفة المشتاق وتاريخ بعض الحوادث، مصدر سابق، ص ١٢٦؛ والأخبار النجدية للفاخري، مصدر

سابق، ص ١٢٥ ؛ وتاريخ ابن غنام، ص ١٨١

بالمسلمين ليختبر أمر هؤلاء الجنود، فأخبره صليبي من هتيم^(١) أن هذا براك بن عبدالمحسن وجنوده من بني خالد، فأرسل سعود إلى رؤساء المسلمين واستشارهم في التنفير أو الحضير، فقال له رؤساء العريان: انهض وشن الغارة على أهلهم، وخذ أموالهم ومواشيهم ومحلهم فليس دونها صادر ولا راد، فتكلم حجيلان بن حمد فقال : كلُّ على ما يريد يشير، وهؤلاء المشيرون مقصدهم الغنيمة ونحن مقصدنا عز الإسلام والمسلمين ، كما يقال في الأمثال (الأولى رأس الحية يا موسى) انهض بالمسلمين في ساقه هذه الشوكة ؛ فإن أظفرك الله بهم لم يبق لبنى خالد بعدها قائمة، حتى الحساء بيدك، وأعطاك الله من الأموال ما هو خير مما في محلتهم، وهؤلاء الجنود رؤساء بني خالد ورجالهم وشوكتهم، فنهض سعود والجنود المسلمين وتبع ساقتهم وورد ماء اللصافة^(٢) فوجد آثار الجيوش صادرة منها، فنزل على الماء وتحقق أن قفولهم عليه، أو على اللهاية أو القرعا ؛ وكانت موارد قريباً بعضها من بعض، فبعث سعود خيلاً إلى اللهاية وخيلاً إلى القرعا خوفاً يردونها، وهو لا يعلم ورتب عيوناً لقفولهم، فلم يلبثوا إلا أن أقبلت عليهم جموع بني خالد واردين كأنها قطع الليل، فنهض المسلمون فرساناً وركباناً فلم يثبتوا له ساعة واحدة، حتى انهزموا لا يلوي أحد على أحد ولا والد على ما ولد، فتبعهم المسلمون في ساقتهم يقتلون ويغنمون واستأصلوا تلك الجموع قتلاً ونهباً، وانهزم براك بن عبدالمحسن ومعه شردمة قليلة من الخيالة إلى المنتفق، وهلك من بني خالد في

(١) ليس الصلبة من هتيم ، وليست هتيم في مستواهم [الدرعية] .

(٢) اللصافة : اليوم هجرة (قرية) يسكنها أناس من قبيلة مطير الجبلان.

هذه الوقعة بين القتل والظماً خلائق كثيرة ؛ قيل : إنهم أكثر من ألف رجل ، وأخذ جميع ركا بهم وخيلهم وأذوادهم وأمتاعهم وفرشهم وجميع ما معهم، والخيل أكثر من مائتين فرس، وحاز سعود تلك الغنائم وأخذ خمسها، وقسم الباقي في المسلمين للراجل سهم وللفرس سهمان، ولم يبق لبني خالد بعد هذه الوقعة العظمى قائمة، وتسمى هذه الوقعة وقعة الشيط، والشيط موضع معروف شرقي ماء اللصافة . ولما بلغ أهل الأحساء هذه الوقعة وقع الرعب في قلوبهم وخافوا خوفاً عظيماً، ثم سار سعود ورحل بجنود المسلمين وقصد ناحية الأحساء، وأرسل أمامه غنيم أبى العلاء من عتيبة ومهوس بن شقير إلى أهل الأحساء يدعوهم إلى دين الله ورسوله والمبايعة والسمع والطاعة، وأرسل خلفهم سعود بن غيث ومعه جيش من المسلمين يترصدون للهارب من الأحساء، فصادفوا غزواً من أهل عُمان ومعهم خيل وإبل فقتلوه ، وأخذوا ما معهم وهم يزيدون على المائة، فسار سعود ونزل الردينية الماء المعروف في الطف وأقام أياماً، وأتته المكاتبات مع رسله من أهل الأحساء ونزل عين نجم خارج البلد، فخرج إليه أهلها وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة" (١) .

كما أورد ابن بشر أيضاً أن زيد بن عريعر ما لبث أن ثار في الأحساء واستعاد حكمه عليها في السنة نفسها ، غير أن ذلك الوضع انتهى في السنة التي بعدها كما سيأتي (٢) .

وقد أوردنا هذا الخبر مع أنه يختص بمنطقة الأحساء أكثر من اختصاصه

(١) عنوان المجد، مصدر سابق، ص ص ٢٠٠ - ٢٠٢ ؛ وتاريخ ابن غنم، ص ١٨١ وما بعدها.

(٢) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٣.

بنجد : لأنه يمثل بداية النهاية لسيطرة قبيلة بني خالد على منطقة الأحساء والقطيف والأطراف الشرقية لنجد، وزوالها بصفتها قوة قبلية أدّت دوراً بارزاً في تاريخ نجد قبل قيام الدولة السعودية واستتباب الأمور لها.

وقعة على سبيع سنة ١٢٠٧هـ :

ذكر كل من ابن غنام وابن بشر أن براك بن عبدالمحسن قد تولى رئاسة بني خالد بعد مقتل أبيه، فغزا في بني خالد على سبيع قرب اللصافة وأخذ منهم إبلاً كثيرة، وذلك في سنة ١٢٠٧هـ أو السنة التي قبلها ^(١).

غارة للظفير على بني خالد سنة ١٢٠٧هـ :

ذكر ابن غنام في حوادث هذه السنة، أنه عندما كان بنو خالد مشغولين بوقعة الشيط وما قبلها ، أغار بعض بوادي الظفير وغيرهم، وصباحوا أهل بني خالد ومحالهم فنهبوا محلّتهم وأخذوا كثيراً من إبلهم ^(٢).

وقعة بين أهل القصيم وحرب سنة ١٢٠٧هـ :

قال ابن غنام : "وفيها سار حجيلان أمير القصيم - من قبل الإمام - بجيش من أهل القصيم وبعض أهل البادية، يريد بني عمرو وهم من قبائل حرب وكانوا معادين للمسلمين ، فقتلوا منهم عدة رجال وأخذوا بعض إبلهم" ^(٣).

أقول : ومع أن هذه الغزوة التي قام بها أمير القصيم كانت بأمر من

(١) انظر: عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٠ ؛ وكذلك تاريخ ابن غنام، حوادث السنة المذكورة، ص ١٨١

(٢) تاريخ ابن غنام، ص ١٨١

(٣) انظر عنوان المجد لابن بشر، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٤ ؛ وتاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام، حوادث السنة المذكورة.

الإمام عبدالعزيز بن محمد ، وتدخل ضمن غزوات الجهاد لتوحيد البلاد، إلا أنه قد يكون من المناسب الإشارة إلى العداء القديم بين بعض بوادي حرب، وخاصة بني عمرو وأهل القصيم، وبالذات حجيلان بن حمد شخصياً الذي يطمح في أن يفرض سطوته على القبائل المتاخمة للقصيم، وخاصة حرب الذين يسيطرون على طريق تجارة أهل القصيم مع المدينة، فجمع لهم في تلك الغزوة مستغلاً ما حصل بين الإمام سعود وبعض بوادي حرب في وقعة الشقرة السابقة.

نهاية سيطرة بني خالد على الأحساء سنة ١٢٠٨هـ :

في هذه السنة انتهى حكم بني خالد على منطقة الأحساء وما حولها الذي استمر حوالي ١٣٠ سنة، ودخلت المنطقة تحت الحكم السعودي، وانقسم بنو خالد إلى قسمين، منهم من تابع آل سعود ومنهم من جلى إلى البصرة والزيبر، وقد أورد ابن بشر تفاصيل هذا الخبر، فذكر خروج الإمام سعود بجيوشه نحو الأحساء في هذه السنة وحصول عدة وقائع، انتهت بتسليم بني خالد ومبايعة أهل الأحساء على يد براك بن عبدالمحسن آل عريعر، حيث يقول ابن بشر : "... وقصد براك عبدالعزيز أرسله أهل الأحساء إليه ليأخذ لهم أماناً ويبايعونه^(١) على السمع والطاعة، فأجابهم إلى ذلك، وركب براك إلى أهل الأحساء، فلما وصل إليهم نابذوه ونقضوا ما بينهم وبينه، وقاتلوه واستمروا على أمرهم، فأرسل إليه فريق السياسب وأدخلوه المبرز، وكان أولاد عريعر في الجفر والجشة البلد المعروفة، فحصل بينهم وبين السياسب وأتباعهم قتال شديد، فهرب أولاد عريعر من الأحساء وقصدوا البصرة والزيبر وسكنوا فيه، واستولى على الأحساء أميراً من جهة عبدالعزيز، براك بن عبدالمحسن وبايعوه على

(١) الصواب : وبايعوه [الدرعية] .

السمع والطاعة، وكتب إليه عبدالعزيز أنه يجلي من الأحساء رؤساء الفتن محمد بن فيروز وأحمد بن حبيل ومحمد بن سعدون، فأخرجهم براك منه، ودخل أهل الهفوف، وأهل الأحساء في طاعة براك، وصار أميراً نائباً لعبدالعزیز سامعاً مطيعاً، وبزوال ولاية زيد عن الأحساء زالت ولاية آل حميد المستقلة لهم في الأحساء والقطيف ونواحيها، لأن ولاية براك هذه كانت لعبدالعزیز بن محمد بن سعود" (١).

وقعة على بني هاجر والبقوم سنة ١٢٠٨ هـ :

قال الشيخ ابن غنام : "وغزا هادي بن قرملة رئيس قحطان ومعه محمد ابن معقل وأهل الوشم ومطير وأعراب كثيرون - من الدواسر والسهول وغيرهم - ، فأغاروا على قبائل البقوم وبني هاجر واشتد بين الفريقين القتال، ثم انتصر المسلمون، وقتلوا ناصر بن شري رئيس بني هاجر وعدة رجال آخرين، وغنموا منهم غنائم كثيرة منها ثلاثة آلاف بعير" (٢).

وقعة بين القوات النجدية وعتيبة في الحجاز سنة ١٢٠٨ هـ :

قال ابن بشر: "وفي هذه السنة سار عبدالله بن محمد بن معقل صاحب بلد شقراء بأهل الوشم، وتبعه جيش من السهول ومطير وبوادي العجمان الجميع ستمائة مطية وقصدوا ناحية الحجاز، فأغاروا على قبائل من بوادي عتيبة وهم في أرض البغث الجبل المعروف في - ناحية - ركة، ووقع بينهم قتال شديد ثم

(١) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٠٦ : وتاريخ الشيخ ابن غنام، حوادث السنة المذكورة،

وتاريخ ابن ضويان، مصدر سابق، ص ٥٥

(٢) انظر: تاريخ ابن غنام، حوادث السنة المذكورة ، وتحفة المشتاق ، حوادث سنة ١٢٠٨ هـ.

وقع على الغزو هزيمة، وأخذ من ركايبهم قريب مائة مطية، وقتل من الغزو رجال وقتل من عتيبة عدد كثير" (١) .

أقول: وهذا الخبر بالإضافة لفائدته بالإشارة إلى مشاركة بعض عربان السهول ومطير؛ فإنه يفيد كذلك انضمام بوادي من بوادي العجمان لأول مرة في غزوات الجهاد، مما يعني بداية انضمام العجمان إلى الحكم السعودي ، لكن المهم أنه يفيدنا أيضاً في موقف وموقع قبيلة عتيبة .

وقعة على الظفير في أرض الحجرة سنة ١٢٠٩ هـ :

قال ابن بشر: "وسار فيها سعود بالجيوش المنصورة والخيال العتاق المشهورة من جميع نجد وبواديها، وقصد الشمال فأغار على بوادي كثيرة من الظفير وهم في الموضع المعروف بـ: الحجرة (٢) فهزهم، وقتل منهم رجالاً كثيراً، وأخذ منهم ألفاً وخمسمائة بعير وجميع أغنامهم ومحلثهم وأثاثهم، وذلك في شعبان ... إلخ" (٣) .

وقعة على مطير سنة ١٢١٠ هـ :

قال في تحفة المشتاق: "في هذه السنة غزا سعود بن عبدالعزيز بجنوده

(١) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ٢٠٧ .

(٢) لم أجد للحجرة تعريفاً لا في المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ولا في فهارس مجلة العرب ، غير أن بعض أهل المعرفة بالبلاد السعودية أفادوني بأن الحجرة : بتسكين الحاء وفتح الجيم - كما ينطقها العامة - منطقة واسعة تقع شمال شرق الدهناء إلى الشرق من لينة ، ومن مياهها البشوك ومطرية والأعيوج ، وكانت في بلاد الظفير قديماً، أما الآن فمعظم سكانها من شمر، وهي بين الحفر ولينة تقريباً.

(٣) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢١٠ ؛ وتاريخ ابن غنام، حوادث السنة المذكورة.

من الحاضرة والبادية ، وصَبَّحَ بوادي مطير وزعب على الوفرا - جهة الكويت - ، وقتل منهم عدة رجال" (١) .

أقول : وقد أوردنا هذا الخبر وإن كان خارج نجد نسبياً ، إلا أن المقصود أحياناً الإشارة إلى مواقف القبائل النجدية ، حيث تعدّ قبيلة مطير وخاصة في ذلك الوقت من أهم قبائل نجد .

وقعة على قحطان سنة ١٢١٠هـ :

وذلك أن شريف مكة غالب بن مساعد جمع جيشاً كبيراً من أتباعه في الحجاز لقتال القبائل التابعة لعبدالعزیز بن محمد ، فأمر الإمام عبدالعزيز بعض أتباعه من القبائل والخواضر للاستعداد لملاقاة جيوش الشريف : يقول ابن بشر: "فأغاروا على هادي بن قرملة وبواديه من قحطان وهو على ماسل الماء المعروف في عالية نجد ، فتقاتلوا أشد القتال وانهمز ابن قرملة ومن معه ، فقتل من الجحادر - من قبائل قحطان - نحو ثلاثين رجلاً ، ومثّلوا برجال ، وأخذوا منهم نحو مائة ذود" (٢) ، وقتل عدة من الخيل ... إلخ" (٣) .

وقعة على عتيبة سنة ١٢١٠هـ :

قال ابن بشر في عنوان المجد: "وفيها سار محمد بن معيقل صاحب شقراء - من قبل الإمام عبدالعزيز في الدرعية - بأهل الوشم وغيرهم ، وقصدوا

(١) تحفة المشتاق ، حوادث السنة المذكورة.

(٢) الذود : هو القطيع من الإبل.

(٣) انظر عنوان المجد ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٢١١ ؛ وتاريخ ابن غنام ، وتحفة المشتاق ، وفي المصدر الأخير أن القتلى نحو مئة رجل.

بوادي عتيبة وهم فوق مَرَّان ^(١) الماء المعروف دون مكة المشرفة، فأخذ عليهم إبلاً كثيرة" ^(٢) .

وقعة أبو محيور على عتيبة ومطير سنة ١٢١٠هـ :

وخلاصة ما تذكره المصادر عن هذا الخبر أن الإمام سعود بن عبدالعزيز - رحمه الله - أغار بقوة عظيمة من أهل نجد وقصد عرباناً مجتمعين من عتيبة ومطير وهم في حرة الحجاز. فحصل وقعة عظيمة بين الطرفين انهزم فيها العتبان ومن معهم وقتل عدة رجال، من مشاهيرهم أبو محيور العتيبي والقذح من كبار مطير، وأخذ منهم نحو ألف ومئتي بغير وأغناماً كثيرة ، وقال ابن بسام : إن سببها مما لأتهم للشريف غالب ^(٣) .

ومن الملاحظات على هذه الوقعة :

أولاً: اختلف ابن بسام عن غيره من المصادر ، حيث ذكرها في حوادث سنة ١٢١١هـ .

ثانياً: ربما أخطأ الدكتور الشبل في تهميشه على تاريخ الفاخري، حيث قال "أبا محيور والقذح رؤساء مطير". في حين أن كل المصادر المتداولة تذكر أن أبا محيور من كبار عتيبة، والقذح من كبار مطير .

ثالثاً : يعدّ هذا أول ذكر لعتيبة عند الشيخ ابن غنام .

(١) مَرَّان : مورد ماء في ناحية حرة كشب.

(٢) انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ج٢، ص٢١٢ ؛ وتحفة المشتاق ، وقد أوردتها الأخير في حوادث سنة ١٢١١هـ .

(٣) انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ج٢، ص٢١٣ ؛ وتاريخ ابن غنام، حوادث السنة المذكورة ؛ والفاخري، مصدر سابق، ص١٢٧ ؛ وانظر تحفة المشتاق، حوادث سنة ١٢١١هـ.

مشاركة بعض القبائل في وقعة الجمانية بين القوات النجدية والأشراف

سنة ١٢١٠ هـ :

وموجز ما تذكره المصادر التاريخية عن هذه الوقعة أن الشريف غالب بن مساعد شريف مكة جمع جنوداً كثيرة من حاضرة الحجاز وبواديها ، وأمر على هذا الجيش الشريف ناصر بن يحيى ، ووجهه لقتال بعض القبائل الموالية للسعوديين ؛ فلما علم بذلك الإمام عبدالعزيز في الدرعية قام بإعداد قوة كبيرة من حاضرة نجد وباديتها، وقد اشترك مع هذه القوات بأمرٍ من الإمام عبدالعزيز بعض بوادي عتيبة بقيادة حمود بن ربيعان ، ومطير بقيادة فيصل ابن وطبان الدويش ، والدواسر بقيادة ربيع بن زيد، وقحطان ورئيسهم هادي بن قرملة ، واشترك بعض بوادي السهول وسبيع والعجمان ؛ وكان رئيس الجميع هادي بن قرملة، فالتقى الجمعان على الجمانية وهي مورد ماء قرب جبل النير في عالية نجد، واقتتلوا قتالاً شديداً، وقتل عدد كبير من الفريقين ، وكادت المعركة أن تنجلي بدون حسم ولكن هادي بن قرملة ومن معه من قحطان - وكانوا موتورين من الشريف كما سبق - حملوا على جنود الشريف فهزموهم وقتلوا منهم نحو ثلاث مئة ، وغنموا منهم أموالاً ومدفعاً ، وانحازت القوات الحجازية باتجاه مكة ^(١) .

وقعة على بني هاجر سنة ١٢١٠ هـ :

قال ابن بشر بعد أن ذكر الوقعة السابقة: "وكان عبدالعزيز قد بعث محمد

(١) انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢١٣ وص ٢١٤ ؛ وتاريخ نجد للشيوخ حسين بن غنام، وتحفة

المشتاق، إلا أن الأخير أوردها في حوادث سنة ١٢١١ هـ.

ابن معيقل - أمير شقراء - في جيش رداء لابن قرملة وعونا له فانقضى الأمر قبل مجيئهم، فحث محمد بن معيقل السير في أثر بوادي الشريف، وأدرك منهم بني هاجر وهم على الماء المعروف بالقنصلية قرب بلد تربة، فأغار عليهم وأخذ جميع أموالهم، وقتل عليهم نحو أربعين رجلاً^(١).

وقعة الطّف على بني خالد والمنتفق سنة ١٢١١هـ :

وخلاصة ما تذكره المصادر التاريخية أن ثويني رئيس المنتفق والبصرة من قبل سليمان باشا جمع جنوداً عظيمة من قبائل المنتفق وأهل البصرة والزيبر، وانضم إليه كثير من بني خالد وبوادي الظفير وغيرهم، وزحف ثويني بقواته وآلات حربه حتى نزل الطف في ناحية بلاد بني خالد. وكانت القوات النجدية من الحاضرة والبادية قد زحفت باتجاه الشرق لملاقاة هذه القوات الغازية، فنزلت قوات الحاضرة وأميرها محمد بن معيقل على قرية. كما أمر الإمام عبدالعزيز على ما لديه من البوادي من مطير وسبيع والعجمان والسهول وغيرهم بالتوجه إلى ديار بني خالد؛ كما خرج سعود بأهل العارض وغيرهم ونزل الموضع المسمى روضة التّنّهات في الدهنا. وشاء الله أن يموت ثويني في موقعه ذلك على يد أحد العبيد الذين معه ، وما أن شاع خبر قتله حتى دخل الفشل والتخاذل في صفوف تلك القوات، فارتحلوا منهزمين وتبعهم النجديون يقتلون ويغنمون. يقول ابن بشر: "وكان قتل ثويني في رابع المحرم سنة اثنتي عشرة وسميت هذه الوقعة سحبة"^(٢).

(١) انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢١٣؛ وتاريخ ابن غنام، وتحفة المشتاق، حوادث السنة المذكورة.

(٢) انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ص ٢٢٥ - ٢٢٦؛ وانظر: تاريخ ابن غنام وتحفة المشتاق، حوادث السنة المذكورة.

غزوة شيخ الدواسر على شهران سنة ١٢١١ هـ :

قال ابن بشر: "وفيها غزا ربيع بن زيد الدوسري بجيش كثيف من الدواسر وغيرهم، وأمره عبدالعزيز أن يقصد جهة الحجاز، فأغار على عربان شهران في الجنوب، وقتل منهم خمسين رجلاً، وأخذ منهم إبلًا وأغناماً كثيرة" (١).

أقول: ومع أن هاتين الحادثتين ليستا في نجد، إلا أننا أوردناهما بوصفهما مشاركة لقبيلة الدواسر النجدية.

كما أنه قد قام بغزوة مماثلة على أهل بيشة في السنة التي بعدها، وحاصرهم حتى بايعوا الإمام (٢).

وقعة عقيلان على قحطان سنة ١٢١٢ هـ :

قال ابن غنام: "وفي سنة ١٢١٢ هـ سیر الشريف غالب شريف مكة عثمان المضايقي مع كثير من الجنود ليقاتل المسلمين - يقصد القبائل الموالية لحكومة الدرعية - فأغار على آل روق من قحطان وغيرهم من الأعراب ورئيسهم مسفر ابن نقيحان، وكانوا واردين على ماء عقيلان دون بيشة في ناحية الحجاز، فلما أغارت عليهم فرسان الشريف ثبتوا لهم وصبروا على الجلاء، وقتلوهم قتلاً شديداً حتى هزموهم، وقتلوا منهم أكثر من خمسين رجلاً... إلخ" (٣).

وقعة على البقوم سنة ١٢١٢ هـ :

قال ابن بشر: "وفيها غزا هادي بن قرملة - بأمر من الإمام - وأغار على

(١) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣٦.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٣) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام؛ وانظر: عنوان المجد لابن بشر، وتاريخ الفاخري، حوادث السنة المذكورة.

البقوم في الحجاز فهزمهم وقتل منهم عدة رجال ، ثم بعد شهرين غزاهم وأخذ كثيراً من الإبل والغنم" انتهى .

أما ابن غنام فيفيد أن قحطان قتلوا من البقوم حوالي ستين رجلاً في الغارة الأولى وأربعين في الغارة الثانية ^(١) .

قبائل عتيبة يبايعون الإمام سنة ١٢١٢هـ :

قال ابن بشر: "وفيها أرسل حمود بن ربيعان ومن معه من عتيبة وعربان الحجاز إلى عبدالعزيز ، وطلبوا منه المبايعة على دين الله ورسوله ... إلى أن قال : فأجابهم عبدالعزيز إلى ذلك ، وأخذ على كل بيت عدة دراهم معلومة" ^(٢) . انتهى كلام ابن بشر.

أقول : أما حمود بن ربيعان وجماعته الروقة فقد انضموا إلى الإمام قبل هذا التاريخ، ولكن المقصود هنا أن بقية قبائل عتيبة التي انفصلت عن الشريف وسطوا ابن ربيعان بينهم وبين الإمام عبدالعزيز.

كما أن هذا الخبر ربما يفيد في أن ابن ربيعان وأتباعه من الروقة قد سبقوا قبائل برقاً في الانضمام للسعوديين وفي نزول نجد ^(٣) أيضاً.

والبقوم يبايعون أيضاً سنة ١٢١٢هـ :

قال ابن بشر: "وفيها وفد رؤساء البقوم أهل تربة على عبدالعزيز، وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة" ^(٤) .

(١) انظر عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣٩؛ وابن غنام، حوادث السنة المذكورة .

(٢) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٣٩ ؛ وانظر: تاريخ ابن غنام، حوادث السنة المذكورة.

(٣) ليس في الخبر دلالة على النزول [الدرعية] .

(٤) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤٠ .

مشاركة بعض قبائل نجد في وقعة الأبيّض على شمر والظفير سنة ١٢١٢هـ:

وذلك أنه في هذه السنة غزا سعود بن عبدالعزيز ومعه جنود كثيرة من الحاضرة والبادية، وتوجه إلى العراق وأغار على شمر والظفير - وغيرهم - وهم على الأبيّض - قرب السماوة - وشيخ شمر مطلق بن محمد الجرباء ، وأخذهم وقتل عدة رجال من الفريقين، من مشاهير القتلى براك بن عبدالمحسن شيخ بني خالد ومحمد آل علي شيخ المهاشير من بني خالد، هؤلاء من قوم سعود. ومن مشاهير قتلى شمر مطلق الجرباء عثرت به فرسه في نعجة، فسقطت وسقط، فأدركه خزيم بن لحيان شيخ السهول فقتله ^(١).

وقعة القنصلية بين الأشراف وقحطان سنة ١٢١٢هـ :

وملخص ما تذكره المصادر : أن الشريف غالب غزا بجنود كثيرة من الحاضرة والبادية وقصد قبائل قحطان، ولما بلغ الإمام سعوداً ذلك أرسل بعض القوات لمساعدة ابن قرملة وأتباعه من قحطان، فاجتمعت قحطان بقيادة هادي ابن قرملة والدواسر بقيادة ربيع بن زيد وغيرهم من حاضرة نجد وبواديهم، وحصل بين الطرفين قتال عنيف، وصارت الهزيمة على الشريف وعساكره، وقتل من أتباعه مقتلة عظيمة بلغت أكثر من ألف رجل ومن الأشراف وحدهم أكثر من أربعين شريفاً ^(٢).

(١) عنوان المجد، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٤١

(٢) عنوان المجد، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٤٢ - ٢٤٤؛ وتاريخ الفاخري، مصدر سابق، ص ١٢٩، وانظر: تحفة المشتاق، حوادث السنة المذكورة، وسماها ابن بشر وقعة الحرمة، في حين سماها صاحب تحفة المشتاق القنصلية .

وفي هذه الواقعة ، يقول الشريف راجح من قصيدة عامية يصف تلك المعركة بصدق :

الله لا يسقى نهارٍ ورأ تين يوم غدينا يا شجيّع به اقطاع
جينا الدواسر مع فريق القحاطين كلنا لهم بالمد وافوا لنا الصاع
يا شيب عيني يوم قالوا عقالين ودّ الذليل انه تراب من القع
جونا الدواسر مثل وردٍ مُحيمين جونا وجينا هم على كل مطواع
يا شوفة الله ليلة الغزو ملّفين لو تجمّع الستين عشّاهم الصاع
الاشراف لانوا عقب ماهم بقاسين والشق ما يرفاه خمسة عشر باع
... إلخ .

الدواسر وقحطان والقتال مع أهل بيشة سنة ١٢١٣هـ :

قال ابن بشر عن هذا الخبر: "ثم دخلت السنة الثالثة عشرة بعد المائتين والألف، وفيها في أول هذه السنة سار ربيع بن زيد بأهل وادي الدواسر وجيش من غيرهم وسار معهم قحطان وغيرهم، وسار الجميع ونازلوا بيشة، وحاصروها حصاراً شديداً، واستولوا على قراها صلحاً وعنوة، ثم بايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، واستعمل عليها عبدالعزيز أميراً سالم بن محمد بن شكبان" (١) .

مبايعة حرب للدولة السعودية الأولى سنة ١٢١٤هـ :

والمقصود هنا مبايعة بعض قبائل بني سالم، وخاصة أتباع الشيخ ابن مضيان، حيث لم يذكر المؤرخون النجديون السنة التي وقّد فيها شيوخ حرب من

(١) انظر: عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٥١؛ وتاريخ الفاخري، مصدر سابق، ص ١٣٠ .

آل مضيان على الإمام عبدالعزيز في الدرعية ليباعوه وينضموا إلى النجديين، وكل ما ذكره ابن بشر إشارة عابرة أوردتها في حوادث سنة ١٢٢٠هـ في الكلام عن دخول المدينة، حيث قال : "... وذلك أن آل مضيان رؤساء حرب وهما بادي وبداي ابني بدوي بن مضيان ومن تبعهم من عربانهم أحبوا المسلمين ووقدأ على عبدالعزيز ويايعوه، وأرسل معهم عثمان بن عبدالمحسن أبا حسين يعلمهم فرائض الدين ويقرر لهم التوحيد ... إلخ" (١) .

وبالرغم من أهمية هذا الخبر؛ فإن ابن بشر لم يدوّن السنة التي وفد فيها آل مضيان على الإمام عبدالعزيز في الدرعية، وإنما أشار إلى ذلك في أخبار سنة ١٢٢٠هـ . ولولا علاقة ذلك بدخول المدينة لسقط من تواريخ نجد .

وأظن أن وفادتهم على الدرعية ومبايعتهم كانت في حدود سنة ١٢١٤هـ أو قبلها بقليل، وذلك للاعتبارات التالية :

- أن إحدى الوثائق التركية المؤرخة في سنة ١٢١٥هـ قد أشارت إلى انضمام القبائل المجاورة للمدينة إلى عبدالعزيز بن السعود، وأنه يحاصر المدينة (٢) .
- أن وثيقة أخرى مؤرخة في ١٢١٦/٥/٩هـ قد أشارت إلى أن سعوداً وأتباعه من العربان قد وصلوا إلى قبر سيدنا حمزة، وحاولوا هدم القباب التي على قبور الشهداء، وذلك سنة ١٢١٥هـ (٣) .

(١) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة.

(٢) الأرشيف العثماني، خطي همايوني رقم ١٩٦٩٣، من والي الشام إلى الصّاري؛ وكذلك كتاب آخر من آدم أفندي إلى السلطان، تحت رقم ١٩٦٩٣٠ .

(٣) دارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٢/١ - ٤٣٨ بتاريخ ١٢١٦/٥/٩هـ، رسالة من الشريف غالب إلى السلطان في تركيا.

- أن الإمام عبدالعزيز بن محمد توفي سنة ١٢١٨هـ رحمه الله، وأن مبايعتهم له كانت قبل وفاته .

- أن الشيخ بادي بن بدوي بن مضيّان شيخ حرب المذكور قد توفي سنة ١٢١٧هـ^(١) .

- يذكر ابن بشر: أن حرباً بعد مبايعتهم اتفقوا مع الإمام على ضم المدينة فبنّوا قصراً في عواليها، وحاصروا المدينة، وأقاموا على ذلك سنين . فإذا علمنا أن دخول المدينة تم سنة ١٢٢٠؛ فإن قوله سنين يقدر له بعدة سنوات قبل فتح المدينة، وعلى هذا الأساس قدرنا المدة بخمس سنوات على الأقل.

- وأخيراً؛ فإن إحدى الوثائق التركية أشارت إلى خطاب مرسل من شيخ العرب بادي بن مضيّان إلى شريف مكة غالب ووالي جدة ومحافظ المدينة، يهدّد باقتحام المدينة ومكة في حالة عدم تسليمها للقوات السعودية، وذلك في حدود سنة ١٢١٧هـ^(٢) .

ومع أن ابن بسام في تحفة المشتاق يذكر أن حصار المدينة دام سنة ونصفاً، إلا أن ذلك لا ينفي ما ذهبنا إليه إذا ما أخذنا في الحسبان القرائن المذكورة، وأن هناك مدّة بين مبايعة حرب وبداية حصار المدينة .

أما ابن عيسى فقد ذكر في تاريخه أن أهل المدينة وفدوا على سعود بن عبدالعزيز في الدرعية وبايعوه سنة ١٢٢٠هـ، وكذلك ابن ضويان في تاريخه،

(١) دارة الملك عبدالعزيز، قسم الوثائق العثمانية، وثيقة رقم ٩/٢ - ١ في ١٩/١/١٢١٨هـ. رسالة مرفوعة من أهل المدينة المنورة إلى حضرة السلطان.

(٢) خطاب من الصدر الأعظم إلى السلطان؛ التاريخ التقريبي ١٢١٥هـ، رقم ٢/١ - ٩، قسم الوثائق العثمانية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

لكن هذا نقل غير موفق لبعض عبارات ابن بشر^(١) .

من أخبار القبائل سنة ١٢١٧هـ :

قال ابن بشر: "وفيها مات بادي بن بدوي بن مضيان رئيس عربان حرب، ومات أيضاً حمود بن ربيعان رئيس بوادي عتيبة"^(٢) .

مشاركة بعض القبائل في دخول الطائف سنة ١٢١٧هـ :

عندما قام عثمان المضايقي بثورته ضد الشريف غالب وفكر في احتلال الطائف انضمت إليه قبائل النفعة والعصمة من عتيبة. كما شاركت قوات كبيرة من نجد في ضم الطائف .. قال ابن بشر: "ثم إن عثمان المضايقي استنجد من يليه من المسلمين من الحاضرة والبادية، فسار إليه سالم بن شكبان بأهل بيشة وقراها، ومصلط بن قطنان بأهل رنية وقراها ومن كان عنده من سبيع، وسار أيضاً حمد بن يحيى بأهل تربة ومعه البقوم، وسار هادي بن قرملة ومعه جيش من قحطان، وسار إليه غير ذلك من عتيبة ... إلخ"^(٣) .

وقد تم دخول الطائف وانهزم الشريف غالب إلى مكة .

وقعة عظيمة على الظفير سنة ١٢١٩هـ :

وخلاصة ما تذكره المصادر : أنه حصل بعض التعدي من قبائل الظفير وكانوا في الشمال فلم يجد الإمام سعود بداً من تأديبهم، وكان سعود غازياً بقواته يريد العراق لكنه بعد أن وصل إلى ماء لينة في الشمال حرف الجيوش

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، تأليف: إبراهيم بن صالح بن عيسى، حوادث السنة المذكورة ؛ وتاريخ ابن ضويان، مصدر سابق، ص ٦٠ .

(٢) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٥٩ ؛ وتاريخ الفاخري، مصدر سابق، ص ١٣٢ .

(٣) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٥٩ ؛ وتاريخ الفاخري، مصدر سابق، ص ١٣٢ ؛ وتحفة المشتاق، حوادث السنة المذكورة.

إليهم ؛ يقول ابن بشر: "فحرف الجيوش إليهم وشن عليهم الغارات وأمر فيهم بالقتل والنهب، ثم بعد ذلك أعتق غالبهم. وقتل من عامة الظفير قتلى كثيرة من كل قبيلة، وأخذ جميع أموالهم من الإبل والغنم والسلاح والخيل والحلل والأمتاع والأزواد ولم ينج منهم إلا الشريد من أقاصيهم وتفرقوا، فممنهم من هرب إلى المنتفق، وبعضهم هرب إلى جزيرة العراق، وبعضهم هثلوا في نجد"^(١). انتهى ما اخترناه من كلامه .

كما أشار الفاخري إلى هذه الواقعة أيضاً، وذكر أنها كانت في شهر ذي الحجة من السنة المذكورة^(٢) .

واقعة على الظفير أيضاً سنة ١٢٢٠هـ :

وذلك أن سرية للإمام سعود بقيادة منصور بن ثامر وغصاب العتيبي، صادفت غزواً من الظفير قرب حفر الباطن، ورؤساء الغزو دوخي بن حلاف وراشد بن فهد بن عبدالله بن سليمان بن صويط ومناع بن ضويحي، وقد قتل معظم أفراد الغزو . وقال ابن بشر: "فاستاقوا جميع الغزو قتلاً وسلباً، ولم يسلم منهم إلا الشريد قدر عشرة رجال، والقتلى يزيدون عن المائة"^(٣) .

أقول: ويلاحظ بعد هذا الخبر استقرار الأوضاع تماماً في نجد، حيث لم تحدث أية معارك أو قلاقل خلال السنوات التالية، وبالتحديد حتى سنة ١٢٢٦هـ وهي سنة دخول القوات المصرية التركية لغرب الجزيرة، حيث هدأت الأمور تماماً، ودانت معظم الجزيرة العربية للسعوديين .

(١) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨٢، كما نقلها صاحب تحفة المشتاق، إلا أنه جعلها في حوادث سنة ١٢٢٠هـ .. وهثلوا بمعنى تغلبوا .

(٢) تاريخ الفاخري، مصدر سابق، ص ١٣٣ .

(٣) عنوان المجد، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٨٧، وانظر: تاريخ الفاخري، ص ١٣٤ .

الخلاصة :

بعد أن استعرضنا أهم أخبار القبائل النجدية خلال الربع الأول من القرن الثالث عشر ؛ فإنه يمكن تلخيص أهم الملاحظات على وضع القبائل كما يلي:

- أن الدولة السعودية قد استهلت هذا القرن بسيطرتها على منطقة نجد، ومن ثم على معظم القبائل الواقعة فيها، وخاصة قبائل سبيع والسهول وبعض قبائل مطير ؛ أما قبائل بني خالد في الشرق والظفير في الشمال الشرقي ومعظم قبائل مطير في شرقي نجد وغريبه وقبائل حرب بين القصيم والمدينة ، فكانت لا تزال خارج منظومة الوحدة.
- غير أن الدولة السعودية لم تلبث أن أكملت سيطرتها على تلك القبائل بعد غزوات جهادية متوالية، ومحاولات قتالية لا تعرف الكلل والملل .
- بانتهاء السنوات العشر الأولى من هذه الفترة وبالتحديد سنة ١٢١٠هـ، أكملت الدولة بسط نفوذها على جميع القبائل الواقعة في نجد أو على أطرافه باستثناء من ابتعد عن متناول القوات السعودية، مثل بعض رؤساء بني خالد وأتباعهم الذين انحازوا للعراق، وكذلك من انحاز إلى الشام مثل بعض قبائل عنزة.
- خلال السنوات العشر الثانية أي في حدود سنة ١٢٢٠هـ، أدخلت الدولة السعودية قبائل أخرى من خارج نجد تحت تبعيتها، مثل قبائل حرب الحجازية التي بايعت سنة ١٢١٤هـ، وبعض قبائل عتيبة الحجازية، وخاصة برقا التي دخلت بدخول الشريف إلى الحكم السعودي؛ إضافة إلى قبائل أخرى كالبقوم وبني هاجر، وكذلك قبائل الجنوب كقبائل عسير ومن والاهم.
- الذي يهمنا من هذه الإشارات التاريخية هو تأثير ذلك على وضع القبائل في وسط الجزيرة من ناحيتين :

- **الناحية الأولى - المواقع الجغرافية :** حيث أدى دخول كثير من القبائل في التبعية السعودية النجدية إلى انسياح تلك القبائل في نجد ، وتمدد ديارها فيها ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك قبائل قحطان وقبائل حرب الحجازية وكذلك قبائل عتيبة. في حين حصل انكماش في ديار بعض القبائل كشمير وعنزة وبني خالد ، حيث نزح قسم كبير من شمير مع الجربا إلى العراق ، وانزاح أقسام من بني خالد وعنزة باتجاه الشمال والشمال الشرقي.

- **الناحية الثانية - المواقف السياسية :** حيث لا يخفى تأثير التبعية السياسية للقبائل على وضعها بعد انتهاء الدولة السعودية الأولى ، ومجيء قوات محمد علي باشا واستيلائها على الحجاز ونجد ، فتغيرت مواقع القبائل مرة أخرى حسب درجة ولائها للحكم السعودي ، حيث سارعت بعض القبائل إلى مناصرة محمد علي لخلافها مع السعوديين ، يراودها الطموح إلى استعادة مكانتها السابقة التي قضى عليها مشروع الوحدة السعودية مثل بني خالد ، بينما اضطرت قبائل أخرى مثل قحطان والدواسر إلى الانزواء في بلادها السابقة تاركة ميدان وسط نجد لقوات محمد علي المعادية لكل من يؤيد السعوديين. بينما ظل الوضع محرّجاً للغاية مع القبائل الحجازية كحرب وعتيبة وجهينة التي تقع ديارها في عمق سيطرة قوات محمد علي في مناطق الحرمين الشريفين. والمهم من هذا كله أن هذه العوامل لم تنل حقها من الاعتبار عند محاولة تأريخ تموجات القبائل وسيطرتها في نجد خلال القرن الثالث عشر ، وخاصة لدى العوام في كل قبيلة ، ومن نقل عنهم من المؤرخين !

وسيتضح ذلك من خلال دراسة المراحل التالية إن شاء الله .

- يتبع في العدد القادم -

من أخبار القبائل في نجد

في القرن الثالث عشر الهجري

[٢]

فائز بن موسى البدراني الحربي *

توضيح :

إن الهدف من تتبع الأخبار المتعلقة بالقبائل النجدية خلال القرن الثالث عشر الهجري، كما وردت في المصادر التاريخية (وهو دراسة حركة القبائل، وتطوراتها، ومواقفها السياسية في نجد) دراسة أكثر واقعية من تلك التصورات أو الدراسات التي اعتمدت على الشعر العامي، وعلى روايات المتأخرين من كبار السن، وهي لا تخلو في كثير من الأحيان من الأخطاء والمبالغات وتمجيد الذات بصورة واضحة. كما أن هذه الدراسة لا تهدف إلى التشهير بالشخصيات أو القبائل الواردة في البحث ، أو انتقاد مواقفها المتباينة ؛ حيث إن تلك المواقف حدثت في ظروف متقلبة ، وأحوال سياسية مضطربة أملت لها عوامل ومصالح ارتبطت

* بكالوريوس - علوم إدارية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧ هـ .

- ماجستير في إدارة المستشفيات . جامعة الملك سعود ، ١٤١٠ هـ .

- دورة متقدمة - دبلوم - الثقافة الصحية - جامعة فرجينيا - أمريكا .

- يعمل الآن مديراً تنفيذياً في مركز الأمير سلطان لأمراض وجراحة القلب منذ سنة ١٤١٣ هـ .

- له عدد من الإصدارات والمقالات والأبحاث الأدبية والتاريخية .

بتلك الظروف ؛ مما يجعلنا نسجلها للعلم والدراسة بعد أن صارت جزءاً من تاريخ بلادنا .. وتلك أمة قد خلت ، وعفا الله عن الجميع .

ومما تجب الإشارة إليه أيضاً أن هذا البحث يتعلق بالقبائل البدوية التي تمارس الانتقال والترحال ، ولا يشمل أخبار القبائل المتحضرة المستقرة في الحواضر النجدية .

دور القبائل النجدية في صد الحملة المصرية الأولى سنة ١٢٢٦هـ :

مع أن هذا الخبر يتعلق بحوادث وقعت خارج منطقة نجد إلا أننا رأينا أنه من المناسب إيرادها ؛ وذلك لأهميته في التأثير على علاقة القبائل النجدية بطرفي النزاع السعودي التركي الذي انتهى بتغلب القوات الغازية ، وسيطرتها على نجد لفترة من الزمن .

وخلاصة الخبر أن الترك أجمعوا على حرب حكومة الدرعية ، وانتدبوا لهذا الأمر محمد علي باشا صاحب مصر الذي جمع جيشاً كثيفاً وزوّده بما استطاع من آلات الحرب والذخائر والعساكر^(١) .. وسارت تلك الجيوش الكثيفة من مصر قاصدة الحجاز، فلما سمع بذلك الإمام سعود أمر على رعاياه من الحاضرة والبادية بالاستعداد لملاقاة تلك الجيوش الغازية، وأمر على القوات النجدية ابنه عبدالله ؛ فسار عبدالله بجنوده حتى نزل على الخيف قرب المدينة.. يقول ابن بشر : (فلما سمع سعود بمسيرهم أمر على نواحي المسلمين من الحاضرة والبادية من أهل نجد والجنوب والحجاز وتهامة وغيرهم ؛ فسيّرهم مع

(١) من وثائق الدولة السعودية ، د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبد الرحيم ، الناشر : دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ط ١ سنة ١٩٨٣ م ، ج ١ ، ص ١٠ .

ابنه عبدالله ؛ فنهض عبدالله بتلك الجنود ، ونزل الخيف المعروف من وادي الصفراء فوق المدينة النبوية ، واستعدوا لاستقبال العساكر المصرية ، واجتمع معه من الجنود نحو ثمانية عشر ألف مقاتل وثمانمائة فارس .. ولما نزل عبدالله الخيف أمر مسعود بن مضيان ومن معه من بوادي حرب وجيش أهل الوشم أن ينزلوا في الوادي الذي بجانب منزلهم الذي هم فيه مخافة أن يأتي معه دفعة من الترك فيفتكوا بالمسلمين ويخفروهم^(١) .. ثم إن العساكر المصرية والتركية زحفت وأقبلت على المسلمين ، فأرسل إليهم عبدالله طليعة جيش وفرسان ، واستعد لهم الروم ، وحصل على المسلمين هزيمة ، وقتل اثنان وثلاثون رجلاً ؛ فنزل عسكر الروم مقابل عسكر المسلمين ، فالتقى الفريقان ، وجعل عبدالله على الخيل أخاه فيصل بن سعود وحباب بن قحيسان المطيري ، فحصل قتال شديد ، وصبر الفريقان ، وكثر القتلى في الروم والمسلمين ، وصار عدة وقائع ومقاتلات في هذا المنزل ، وابتلي المسلمون بلاء شديداً ؛ فلما حمل الروم على جميع المسلمين انهزم الأعراب، وثبت غيرهم، وأقاموا على ذلك نحو ثلاثة أيام، فأرسل عبدالله إلى مسعود بن مضيان ومن معه من عربان حرب وأهل الوشم، وأمرهم أن يحملوا على الروم ، فأقبلوا وصار أول حملتهم عليهم مع حملة جنود المسلمين عليهم ، فانهزمت العساكر المصرية لا يلوي أحد على أحد، وانكشفوا عن مخيمهم ومحطتهم، وولوا مدبرين، وتركوا المدافع (وهي سبعة)، والخيام ، والثقل، والرجال، وكثير السلاح ، وما في محلهم من جميع الآلات والذخائر .. ولا نجا منهم إلا أهل الخيل الذين أدبروا مع «باشتهم»، ومات غالب خيولهم حتفاً

(١) هكذا في الأصل المطبوع من تاريخ ابن بشر ، والصواب : ويخفروهم [الدرعية] .

وظمأ حتى وصلوا إلى البريكة^(١)، وركبوا منها في السفن إلى الينبع، واستقروا فيه ، وقتل من رجالتهم عدد كبير ، وأخذ المسلمون منهم من الأموال والسلاح ما لا يُحصر .. الذي حرّر لنا أن القتلى من الروم أكثر من أربعة آلاف رجل، وقتل من المسلمين من جميع النواحي نحو ستمائة رجل منهم: مقرن بن حسن بن مشاري بن سعود، وبرغش بن راشد الشبيبي، وسعد بن إبراهيم بن دغيشر، ورئيس قحطان هادي بن قرملة، ورئيس عبيدة مانع بن كرم، وراشد بن شبعان أخو محمد بن سالم أمير بني هاجر ، ومانع أبو وحير العجمي الفارس المشهور ، وغيرهم.. وكانت هذه الواقعة في العشر الآخرة من ذي القعدة في هذه السنة^(٢). أقول : وهكذا فإنه يمكن من ملاحظة ما ورد في هذا الخبر من أسماء بعض مشاهير زعماء القبائل القول : بأن قبائل قحطان وبني هاجر والعجمان ومطير وحرب قد شاركوا في صفوف القوات السعودية في تلك الحوادث المؤثرة في تاريخ الدولة السعودية الأولى .

وما يحسن الإشارة إليه أن المؤرخ والراوي محمد العلي العبيد ، قد أورد خبر هذه الواقعة نقلاً عن ابن بشر ، وأضاف لها بيتين من الشعر العامي مما يتناقله العوام فيها ، والبيتان ينسبان لواحد من أهل الرس ، وهما :

يا بو كفوفٍ خضبتُ بالحنّا ما شفت يوم في ملاوي الحثيف

(١) البريكة : تقع غرب بلدة بدر ، وتبعد عنها مسافة خمسة وعشرين كيلومتراً ، وهي ميناء المدينة المنورة قديماً ، وكانت تعرف بالجار .

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد ، لابن بشر، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، سنة الطبع: ١٥٧/١ . ملاحظة : نظراً لتعدد نسخ تاريخ ابن بشر المطبوعة ، واختلاف صفحاتها ونصوصها اختلافاً طفيفاً أحياناً : فسنحاول ذكر الناشر ، أو نكتفي بذكر السنة أحياناً ؛ ليسهل الرجوع إليها في جميع النسخ المطبوعة .

يوم المدافع بالعَجَل يحدثنا والشمس غابت والقمر ما شِيف
غير أن العبيد لم يذكر شيئاً عن الشيخ مسعود بن مضيان الذي كان له
دور كبير مع قبائله في قلب موازين المعركة ^(١) .

مهاجمة الإمام سعود لبعض بوادي حرب على الحناكية سنة ١٢٢٨ هـ :

بعد توغل القوات المصرية في منطقة الحجاز ، واستيلائها على المدينة المنورة ، والمناطق المحيطة بها : تَشَتَّتَ ولأء قبائل حرب والقبائل المجاورة لها ، فالواقع يُحَتِّم عليهم أن لا يدخلوا مع القوات المصرية في مواجهة معروفة النتائج ، وفي نفس الوقت فإن السعوديين اعتبروا سكوت قبائل حرب عن تقدم المصريين وتأجيرهم الجمال لنقل الإمدادات ارتداداً عن بيعتهم للمسلمين كما يُعَبَّر عن ذلك مؤرخوهم .. ليس هذا فحسب ، بل إن بعض زعماء حرب في الحجاز انضوا تحت لواء القوات الغازية ، وشاركوا في القتال إلى جانبها .. وهؤلاء فئتان : فالفئة الأولى هم من الشيوخ الذين انضوا إلى جيش محمد علي لمصالح شخصية تتمثل في منافسات قبلية داخلية مع أبناء عمهم الموالين للدولة السعودية، وهذا مثل ما حصل مع الشيخ جزا الأحمدي الذي كان ينافس الشيخ ابن مضيان الظاهري، وكذلك مع الشيخ مَدُوخ بن مُعَيَّان الذي كان ينافس أسرة الفرغ في مشيخة بني علي ^(٢) .. أما الفئة الثانية فهم الذين وجدوا أنفسهم مجبرين على إطاعة أوامر القوات الجديدة، وعدم القدرة على مخالفتها.

وهكذا فإن قبائل حرب صارت بين نارين ؛ حتى أن نخيل بني عمرو في وادي الفرع حُرِّقَتْ سنة ١٢٢٧ هـ من قِبَل القوات المصرية ، وأحرقت في السنة

(١) مخطوطة النجم اللامع تأليف محمد العلي العبيد ورقة ١٠ .

(٢) سوف يأتي بعض الأخبار التي توضح ذلك .

التالية من قبل الإمام سعود وجيوشه .

وتتمثل هذه الوقائع في أن الإمام سعوداً سار بقواته لناوشة أطراف الجيوش المصرية ، فقصد الحناكية (وكان في قلعتها قسم من العساكر ، وعلى مائها أقوام من بوادي حرب) ، فحاصر العساكر حتى سلّموا له ، وهاجم الأعراب لكنهم استطاعوا الإفلات بإبلهم ؛ فأخذ محلّتهم كما يقول ابن بشر ، وهذا نصه : (وفيها- أي سنة ١٢٢٨- في آخر ربيع سار سعود بن عبدالعزيز بن محمد رحمه الله تعالى بالجيوش المنصورة من جميع النواحي وآفاق نجد الحاضرة والبادية ، وقصد الحناكيّة الماء المعروف قرب المدينة النبوية .. وكان في قصرها عسكر من الترك مع عثمان كاشف ، وعلى الماء أعراب من حرب وغيرهم ؛ فلما أقبل عليهم هَرَبَ البوادي بإبلهم وزيّئوها الحرّة ، فدَهَمَهم المسلمون في منازلهم ، وأخذوا ما وجدوا فيها من الأثاث والأمتاع) ^(١) .

ويقول الفاخري عن هذا الخبر : (وغزا سعود رحمه الله مغزا الحناكية ، وحصر عثمان الكاشف ومعه مئتي ^(٢) عسكري في قصر آل هذال ^(٣) ، ثم أخرجهم بأمان وسيّرهم إلى جهة العراق) ^(٤) .

(١) انظر عنوان المجد أخبار السنة المذكورة .

(٢) هكذا في الأصل المطبوع من تاريخ الفاخري ، والصواب : .. قال أبو عبدالرحمن : الأصل في الرسم الإملائي المروحة بين أمرين هما : أن ما ينطق يكتب ، وأن التيسير - باختصار الكتابة - مطلوب ما لم يحدث الاختصار لبساً .. والناس الآن يقرؤون «مئة وماءتان وماءتين» بدلاً من الميم .. وهي في الرسم الإملائي تكتب ولا تنطق ؛ ولهذا اللبس كان المرجع رسمها كما تنطق هكذا : مئة ، ومئتان ، ومئتين .. وعلى هذا تفسير الدرعية في رسمها لهذه المادة [الدرعية] .

(٣) في هذه العبارة إشارة إلى أن قصر الحناكية ينسب لابن هذال ؛ حيث كانت منطقة الحناكية لابن هذال وأتباعه من عنزة إلى أن ارتحلوا عنها في منتصف القرن الثاني عشر تقريباً ، وآلت إلى قبائل حرب .

(٤) تاريخ الفاخري ص ١٤١ .

ويقول ابن بشر أيضاً : (ثم إن سعوداً رحل من الحناكية وسار إلى جهة المدينة النبوية ، فغنم في طريقه من بوادي حرب مغانم كثيرة ؛ فلما قُرب من جبل أحد وإذا خيل من الترك وجيش من حرب قد أغارت على المسلمين ، وقتلوا منهم نحواً من ثلاثين فارساً) .. ويقول أيضاً : (ثم رحل ونزل الحسا^(١) ، ثم سار في وادي الصفراء ، فحرق في الفرع نخيلاً وقَتَلَ رجالاً .. إلخ)^(٢) .

وحول قتال السعوديين لأهل وادي الفرع الذي أشار إليه ابن بشر هنا : أشارت إحدى الوثائق التاريخية إلى هذا القتال، وذكرت أنه قُتل في هذه الواقعة عدد من القواد السعوديين منهم تركي بن سعود والقائد البارز حَبَاب بن قحيسان المطيري ، كما قُتل خمسة وسبعون فرداً من القوات المهاجمة^(٣) .

وقعة بين أهل القصيم وأتباعهم وبني عمرو من حرب سنة ١٢٢٩هـ :

وذلك أن أهل القصيم ورئيسهم حجيلان بن حمد ، وأهل جبل شمر ورئيسهم محمد آل علي، ومعهم غيرهم من البوادي: ساروا لقتال عياد الذويبي أمير بني عمرو من مسروح من حرب^(٤) (وكان نازلاً في نواحي جبل العَلَم المشهور)^(٥) ؛ فالتقى الفريقان ، وحصل قتال شديد ، ودارت الدائرة على أهل

(١) الحسا : موضع جنوب غرب المدينة ، ويعتبر الآن من ضواحيها التي تجاوزها الامتداد العمراني .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تقرير مرفوع من طوسون باشا إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٢٢٨/٧/٢٠هـ / دارة الملك عبدالعزيز بالرياض / قسم الوثائق العثمانية / وثيقة رقم ١/٢ - ١٤ .

(٤) وهم غير بني عمرو من بني سالم أهل وادي الصفراء .

(٥) جبل العلم : جبل عظيم يقع في الشمال الشرقي من الحناكية ، وهو على أيمن المتجه إلى المدينة من القصيم بعد تجاوزه محطة النقرة .

القصيم وأتباعهم ، وتركوا خيامهم ومحطتهم ، وقتل منهم عدد كبير ^(١) .. وذلك في شهر محرم كما يذكر ابن بشر .

غير أنه من المهم - كما أسلفنا - أن نشير إلى أن قوات محمد علي باشا التي استولت على منطقة الحجاز وأخرجت منها السعوديين: قد فرضت سيطرتها على قبائل المنطقة، وأدخلتهم في تبعيتها، فاعتبرت جيوش الدولة السعودية قتالهم قتالاً للدولة التركية ؛ ولهذا فإن هذه الواقعة بين أهل القصيم ومن معهم وبين حرب تدخل ضمن هذا المفهوم، فقد استبشر محافظ العلا التركي بهزيمة حجيلان بن حمد وقواته التي سماها الوهابية ، كما اعتبر ذلك الانتصار انتصاراً للدولة العلية ^(٢) .

وقعة صفينة بين عبدالله بن سعود وحرب سنة ١٢٢٩هـ :

خلال سنتي ١٢٢٨ و ١٢٢٩ هجرية كان الخلاف يزداد عمقاً بين النجديين وقبائل حرب ؛ نتيجة للأسباب التي ذكرناها في الوقعة السابقة سنة ١٢٢٨هـ، وبسبب التنافر القديم الجديد بين أهل القصيم وقبائل حرب الذي بلغ ذروته بعد الهزيمة التي تلقاها أهل القصيم في الوقعة السابقة .. وهكذا فقد خرج الإمام عبدالله بقواته إلى تلك الجهات بعد تلك الوقعة مباشرة .. وأعتقد أن هذه الوقعة كانت في شهر ربيع الآخر ؛ لأنها حدثت قبل وفاة والده بقليل .. يقول الشيخ عثمان ابن بشر في تاريخه : (وفيها سار عبدالله بن سعود رحمه الله تعالى بجميع المسلمين من أهل نجد الحاضرة والبادية .. خرج من الدرعية أوّل

(١) انظر عنوان المجد ٢ / ٣٤١ ، وآل الجرباء في التاريخ والأدب ص ٣٦ ، وتاريخ نجد في عصور العامية للشيخ أبي عبدالرحمن الظاهري .

(٢) انظر وثيقة تركية برقم ١٩٦٥١٢ خطي همايوني سنة ١٢٢٩هـ ، ووثيقة أخرى برقم A ١٩٦٥١ خطي همايوني سنة ١٢٢٩هـ / أرشيف الوثائق التركية / إستانبول / تركيا .

السنة فاجتمع عليه جميع النواحي ، وقصد جهة الحجاز - وذلك قبل وفاة أبيه سعود رحمه الله تعالى - ومعه علي ابن الشيخ محمد رحمه الله تعالى ، فأغار على بوادي حرب وهم في الحرة قرب "صفينة" القرية المعروف في تلك الناحية ، فأخذ عليهم إبلاً وغنماً كثيرة ، ونزل بالغنائم صفينة ، وقفل منها ، فلماً صار إلى الخانوقة الماء المعروف ^(١) في عالية نجد بلغه وفاة أبيه .. إلخ ^(٢) .

وقائع على مطير وحرب سنة ١٢٢٩هـ :

يقول ابن بشر : (وفيها آخر رمضان سار عبدالله بن سعود بجميع المسلمين من أهل نجد الحاضرة والبادية وقصد القصيم ، فأقام فيه مدة قرب الرس ، ثم إنه جهز جيشاً ، وأغار على عربان بريه والجبلان من مطير ، فأخذ مواشيهم ، فلما كان في ذي القعدة رحل عبدالله بالمسلمين وقصد الحجاز ، وأغار على عياد الذويبي ومن معه من بوادي حرب من بني عمرو وبني علي (وهم عند الحرة قرب جبل غراب) ^(٣) ، فأخذ إبلهم ومحلهم .. إلخ ^(٤) .

أقول : ولعلّه من الملاحظ هنا أننا نورد هذه الحوادث كما ينقلها ابن بشر الذي يمثّل وجهة نظر أحد الأطراف فقط ، ولا نستطيع الحكم على مدى دقة تلك الأخبار ؛ لأنه ليس بين أيدينا ما يمثّل وجهة نظر الطرف الآخر ^(٥) .

(١) الأصوب : المائة المعروفة [الدرعية] .

(٢) عنوان المجد في تاريخ نجد / حوادث السنة المذكورة . وانظر دار الوثائق القومية / القاهرة / محافظة بحر برا وثيقة رقم ٥ / مكتبة وإدارة للمعينة السنية بتاريخ ١٣/٥/١٢٢٩هـ ، (نسخة مصورة / مكتبة الملك فيصل / فيلم ١) .

(٣) هناك أكثر من موضع بهذا الاسم في جزيرة العرب .. غير أن المقصود هنا جبل غراب الواقع في بلاد بني عبدالله من مطير ، وهو من أعمال المدينة المنورة ، ويقع إلى الجنوب الشرقي من المدينة .

(٤) عنوان المجد / حوادث السنة المذكورة .

(٥) التشكيك بلا معارض معتبر احتمال مرسل لا يُقبل منطقاً ومنهجاً .. وعادة ابن بشر وغيره ذكر النصر والهزيمة معاً [الدرعية] .

إشارة إلى موقف ابن ربيعان سنة ١٢٢٩هـ :

يُستفاد من أحد التقارير العسكرية المرفوعة إلى محمد علي باشا عن أوضاع الحرب مع عبدالله بن سعود أن الشيخ ابن ربيعان كان لا يزال موالياً للسعوديين ، وكذلك قسم من مطير ، حيث يقول القائد العسكري : إن المذكورين لا يزالون بمعية عبدالله بن سعود وأنه لا ينبغي إعطاؤهم الأمان ^(١) . وإذا ما أردنا أن نتتبع علاقة قبائل عتيبة التابعة للشيخ ابن ربيعان ، وأن نعرف متى بدأ انضمامها لقوات محمد علي وانفصالها عن القواد السعوديين ؛ بسبب عدم قدرتها على مقاومة القوات الغازية كغيرها من قبائل نجد : فإننا نجد إشارة إلى انضمام بعض قبائل عتيبة إلى قوات طوسون في تقرير مؤرخ في ١٢٣٠/٥/٩هـ ، كما سيأتي .. إلا أنه يبدو أن المقصود هنا ليس قبائل عتيبة في نجد .. والدليل أن تقريراً مؤرخاً في ١٢٣١/١٠/١٥هـ ينص على أن قبائل عتيبة التابعة للشيخ ابن ربيعان لا تزال باقية على ولائها للسعوديين ، وعداوتها لإبراهيم باشا ^(٢) .

إشارة إلى قبائل مطير وعتيبة سنة ١٢٣٠هـ :

جاء في أحد التقارير المرفوعة إلى الباب العالي من محمد علي باشا حول تحركاته في منطقة المدينة المنورة ما ترجمته ^(٣) : (... إن ولدنا صاحب السعادة

(١) من وثائق الدولة السعودية في عصر محمد علي / المجلد الثاني / ص ٤٤٣ - ٤٤٧ / تقرير مؤرخ في ١٢٢٩/٥/١٣هـ (١٨١٤/٥/٣م) .

(٢) دار الوثائق القومية، القاهرة/ وثيقة رقم (٦٨) / محفظة رقم (٤) معية تركية/ تاريخها : ١٥ شوال ١٢٣١هـ ، وانظر : كتاب من دار وثائق الدولة السعودية في عصر محمد علي ص ٥٤٦ - ٥٤٩ .

(٣) ملاحظة : قامت دارالوثائق المصرية بترجمة معظم تلك الوثائق ، وتم تصوير ما يخص الجزيرة العربية على أفلام مايكرو فيلم ، وتسمى وثائق بحر برا وتقدر بحوالي ١٢٠٠٠ وثيقة ، ويوجد منها نسخ في كل من مكتبة الملك فهد ودارة الملك عبدالعزيز .

طوسون باشا المشغول والباذل المقدرة بموجب بأمر السلطان في تنظيف وتطهير عربان نجد (الذين على مسافة ثمانية عشر مرحلة بين المدينة المنورة والدرعية) من اعتقاداتهم الفاسدة^(١) التي جُبِلُوا عليها: نَصَبَ جيشاً مؤلفاً من عساكر البيادة والسواري^(٢) الذين بمعيتهم، والجمال التي أمكن مداركتها بالأجرة أو الشراء، وذلك في قلعة الحناكية الكائنة على مسافة ثلاث مراحل شرق المدينة المنورة، وشرع في ترميم القلعة وإنشاء مخازن الذخيرة، ثم أخرج رجالاً كثيرة إلى الأطراف والجوانب، وجعل قبائل مطير وعتيبة وقبائل متفرقة أخرى يقبلون الطاعة بمحاربة بعضهم؛ وتخويف البعض الآخر منهم .. وقد دخل أهالي قرى القصيم وأيضاً قبائل العربان الذين حولها في طاعة الدولة العلية على الأسلوب السابق .. إلخ^(٣).

عبدالله بن سعود يهاجم بعض بوادي حرب ومطير على البصيري سنة ١٢٣٠هـ:

ولا تخرج هذه الواقعة عن سوابقها؛ وذلك أن الإمام عبدالله رحمه الله خرج لمقاتلة العساكر، وفي أثناء ذلك أغار على بعض البوادي من حرب ومطير وهُم على البصيري^(٤)؛ حيث يذكر ابن بشر أن الإمام عبدالله ذَكَرَ له أن عُرْبَاناً

(١) عقائدهم صريحة وصحيحة النصوص الشرعية، والافتداء بالسيرة العملية والقولية للرسول ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، وتابعيهم رحمهم الله قبل حدوث البدع .. وليست عقيدتهم دعاء الأموات، والذبح للقبور، وإبتداع الطرق الصوفية العديدة، وتجريد الله جل وعلا من صفاته الثبوتية، وتأويل دلالة النص بغير حق .. وليس من دينهم الخمر، والإفساد في الأرض كما فعل أصحاب الحملة الظالمة وأشياعهم [الدرعية].

(٢) البيادة: لفظة تركية معناها: المشاة .. السواري: الخيالة.

(٣) دار الوثائق القومية القاهرة محفوظات المعية السنية وثيقة رقم ١٤١، بتاريخ ٩ / ٥ / ١٢٣٠هـ؛

ويشير هذا التقرير أيضاً إلى إرسال رأس الشيخ بحروش شيخ زهران المقتول إلى الباب العالي.

(٤) البصيري: ماء قديم في عالية نجد، وهو الآن بلدة صغيرة بها مركز إمارة رئيس تابع لإمارة القصيم

، ويتبعها عدد من المراكز الصغرى، وسكانها الحوامضة من بني عمرو من حرب جماعة الشيخ ابن

كلاّب، ويقع البصيري في أقصى الجنوب الغربي لمنطقة القصيم.

مجتمعين من بوادي حرب ومطير نازلون على البصري ، فرحل من الروضة ، وقصدهم ، فأغار عليهم ، ودَهَمَهُمْ ، وأخذ محلّتهم وأمتعتهم وأغنامهم .. لكنهم منعوا إبلهم ، ونَجَّوْا بها من الإمام عبدالله وجنوده كما يقول ابن بشر ^(١) .

مناوشات طوسون باشا مع القوات السعودية حول الرس ودور بعض القبائل فيها سنة ١٢٣٠هـ :

يقول لوريير عن هذا الخبر : (وقرب نهاية مارس سنة ١٨١٥م تقدم طوسون باشا إلى القصيم التي كان قد أرسل إليها حوالي (٤٠٠) فارس من قبل ، واصطحب معه (٢٠٠) أو (٣٠٠) فارس آخر و (٤٠٠) جندي من المشاة وحوالي (٤٠٠) بعير للنقل ، وكذلك بضع مئات من بدو قبائل حرب ومطير ... إلخ) ^(٢) .

وبالمناسبة فقد وردت إشارة تاريخية هامة إلى أن مدّوخ بن مُعيّان من شيوخ بني علي اشترك إلى جانب طوسون باشا في قتال السعوديين في المناوشات التي دارت حول الرس ؛ فقد جاء في كتاب أصول الخيل وهو يتحدث عن مرتبط الدهماء ما نصه : (إنه أخبرهم هذال بن بصيّص عن الدهماء أن مربوطها عند شهبان ثم درجت إلى العجمان ، ثم أخذوها السهول ، ودرجت منهم إلى عبدالله بن سعود .. إلى أن يقول : وأثناء غزو طوسون باشا وهو في المدينة ، أخذها مدّوخ بن مُعيّان من بني علي من حرب ؛ فصارت عنده ... إلخ) ^(٣) .

(١) عنوان المجد / حوادث السنة المذكورة .

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج / ج . لوريير / تصنيف وتعريب د . سعيد بن عمر آل عمر ، ط١ سنة ١٩٩٦م ، ص ٥٩ .

(٣) كتاب أصول الخيل الحديثة تأليف الشيخ حمد الجاسر / منشورات دارا ليمامة / الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ / ص ٢٤٧ .

إشارة إلى بعض القبائل في جيش إبراهيم باشا سنة ١٢٣١ هـ :

تشير إحدى الوثائق التركية المرفوعة في أول سنة ١٢٣١ هـ إلى أن دفعة جديدة قد جُهِّزَت للانضمام إلى جيش إبراهيم باشا المعد للتوجه إلى الدرعية يتكون من الفئات التالية :

- ٤٠٠ خيال بقيادة علي أذن .
- ٨٠٠ خيال من رجال دائرة إبراهيم باشا .
- ٤٠٠ خيال من رجال دائرة محمد علي باشا بقيادة حسن آغا القبرصي .
- ٥٥٠ خيال بقيادة بعض الضباط الصغار .
- ٢٠٠ رجل من عربان البدو من قبيلة أولاد علي ^(١) .
- ١٠٠ من بدنة ^(٢) جميعان .
- ٢٠٠ من بدنة فوائد .
- ١٥٠ من بدنة حربي ^(٣) .
- ٢٠٠ من بدنة جهينة .
- مجموع من تقرر إرسالهم ٣٠٠٠ ، ويصبح المجموع ٧٠٠٠ ^(٤) .

(١) يبدو أن المقصود بني علي من حرب ، أو ولد علي من عنزة ، وقد وصفهم التقرير : (بأنهم مشهورون هنا بأنهم فرسان الخيل ذوي القلوب الصامدة الشجعان الصابرون على شدائد المعن والمشاق) .. وإذا كان المقصود بني علي من حرب فإن ذلك يؤيده ما سيأتي من أخبار مدوخ بن معيَّان مع طوسون باشا ثم إبراهيم باشا .

(٢) بدنة : عرب أو قبيلة .

(٣) حربي : من حرب .

(٤) دارة الملك عبدالعزيز - قسم الوثائق العثمانية / وثيقة رقم ١/٥ - ٤٧ / تقرير مرفوع من محمد علي إلى السلطان بشأن تفاصيل جيش إبراهيم باشا ، بتاريخ ١٢٣١/٤/٣ هـ .

قتال بين سبيع ومطير سنة ١٢٣١هـ :

ومفاد هذا الخبر كما تشير إحدى الوثائق التاريخية التركية : أن ابن قطنان شيخ سبيع أهل رتيّة الموالي للإمام عبدالله بن سعود هاجم بعض عربان مطير الموالين لقوات محمد علي باشا في عالية نجد ، وأن مطيراً استطاعوا كسر جماعة ابن قطنان ، وقتلوا منهم حوالي عشرين رجلاً منهم ابن شرف من كبارهم ^(١) .

وتشير وثيقة أخرى حول هذه الحوادث أن الشيخ ابن ربيعان لا يزال خارجاً على قوات محمد علي حتى هذا التاريخ ؛ حيث يقول إبراهيم باشا في تقرير له يخاطب محمد علي باشا : (...) فقط بقيت عربان ابن ربيعان وسبيع في جهة الشريف خارجة عن الطاعة ، وعليه فإنني كذلك قائم في هذا التاريخ بترتيب وتنظيم تجريدة قوية وإرسالها للزحف على عربان سبيع ... إلخ ^(٢) .

غارة لإبراهيم باشا على بعض القبائل في نواحي الحناكية سنة ١٢٣٢هـ :

يذكر إبراهيم باشا في أحد تقاريره المرفوعة إلى والده محمد علي في مصر أن إبراهيم باشا فور وصوله إلى الحناكية في شهر محرم من سنة ١٢٣٢هـ تحرك ومعه نحو (٤٥٠) من العساكر ، وشن غارة مفاجئة على بعض العربان القريبين من تلك المنطقة (وبالذات عرب ابن مخلف من عنزة ، وبعض عربان من

(١) دار الوثائق القومية / القاهرة / محفظة (٤) معية تركي / وحدة الحفظ (٦٨) / تقرير مرفوع من إبراهيم باشا من الطائف إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٥ شوال ١٢٣١هـ (١٨١٦/٩/٨م) .. انظر كتاب : من وثائق الدولة السعودية في عصر محمد علي تأليف د . عبدالرحيم عبدالرحيم / دار الكتاب الجامعي / الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م) ٢ / ٥٤٧ .

(٢) من وثائق الدولة الأولى ٢ / ٥٤٨ .

حرب ومطير) ، وذكر أنه وقعت معركة بين الطرفين انجلت عن مقتل حوالي (٣٠٠) من العرب ، والاستيلاء على مقدار (٧٠٠) من الإبل و(٥٠٠٠) من الغنم كما يقول إبراهيم باشا ! .

ويذكر التقرير أن تلك الواقعة جرت في موضع يسمى جُبَيْلَة ^(١) وهي كما يقول : تقع على بعد مرحلة ونصف من الرس ومرحلتين من جبل شمر ! .

وهذه الواقعة (كما يزعم إبراهيم باشا) كان لها أثر كبير في إرهاب العرب ، واندفاعهم للتوافد عليه ؛ حيث يقول : (وبناءً على ذلك عندما عدنا إلى الحناكية التي بلغت مدة ذهابنا منها وإيابنا إليها اثني عشر يوماً : أصاب العرب الخوف نوعاً ما ، وابتدأوا عقب ذلك يأتون إلى الحناكية ، وقد حرّر كشف مبين أسماء مشايخ العربان الذين حضروا إلى طرفنا أولاً وآخرًا ، وقُدِّم إلى طرف ولي النعم طي عريضتي ؛ فلدى الوصول بمنّه تعالى تكون أسماء العربان التي وردت للآن ^(٢) إلى طرف عبدكم معلومة لولي النعم من الكشف المذكور) ^(٣) .

أقول : ولعل الأيام القادمة تظهر هذا الكشف الذي أشار إليه إبراهيم باشا ؛ حيث إن هذا الكشف ليس ضمن الوثائق المصرية التركية المعربة المتاحة في مكتباتنا حسب اطلاعي .

(١) جبيلة : لم أجد في معجم بلاد القصيم موضعاً بهذا الاسم ، ولكن هناك جبيرة وهي مورد ماء تقع إلى الجنوب من جبل طمية المشهور .. أما جَبَلَة المشهورة فلا ينطبق عليها هذا التحديد .

(٢) أي : حتى الآن .

(٣) دار الوثائق القومية القاهرة / رقم الوثيقة (٨٣) / محافظة (٤) بحر برا / تقرير من إبراهيم باشا إلى محمد علي بتاريخ ١٣٣٢/٢/٩ هـ (١٨١٦/١٢/٢٩ م) ، وانظر كتاب من وثائق الدولة ٥٦١/٢ - ٥٦٣ .

انضمام بعض القبائل إلى إبراهيم باشا سنة ١٢٣٢هـ :

قال في تحفة المشتاق : (وفيها جهز محمد علي باشا صاحب مصر العساكر الكثيرة مع ابنه إبراهيم باشا لمحاربة عبدالله بن سعود ، فقدم المدينة ، فضبطها ، ثم سار منها إلى الحناكية ، فاجتمع إليه كثير من العربان من حرب ومطير وعتيبة والدهامشة من عنزة) ^(١) .

ولعله من المناسب هنا أن نشير إلى أن إبراهيم باشا استخدم كل ما يملك من أساليب الدهاء والخداع والعنف ؛ لإخضاع تلك القبائل واستمالة شيوخها ؛ حيث أقام في الحناكية مدة ستة أشهر يغير على القبائل ويضرب بعضها ببعض ، ويتظاهر بالدين أحياناً ، وبالقوة أحياناً أخرى ؛ حتى تمكن من تحقيق أهدافه في إخضاع القبائل وإضعافها وتنافرها ^(٢) .. فلو نظرنا إلى قبيلة حرب مثلاً لوجدنا أنه أحكم سيطرته عليها من خلال تجريد شيوخها المؤيدين للدولة السعودية من مشيختاتهم ، وتعيين مشايخ مؤيدين لحكم الأشراف أو غيرهم من ذوي المصالح الشخصية .. في حين نجد أنه استغل الخلاف بين الدويش شيخ مطير وبين الإمام عبدالله بن سعود ^(٣) ؛ فقرَّب أولئك المشايخ ومَنَاهم وطمَّعهم ، ومارس نفس الشيء مع القبائل الأخرى .

وقد مارس طوسون باشا نفس الأسلوب قبل ذلك حيث يقول محمد علي

(١) عنوان المجد ، وصقر الجزيرة لأحمد عبدالغفور عطار ص ٨٠ ، وتحفة المشتاق ، وقد أوردها ابن بشر في حوادث سنة ١٢٣١هـ .

(٢) من وثائق الدولة السعودية الأولى د عبدالرحيم دار الكتاب الجامعي القاهرة ١/٣٤٢ .

(٣) تاريخ البلاد العربية السعودية د منير العجلاني ص ٨١ ، وانظر تاريخ المملكة العربية السعودية في

دليل الخليج ، ج . لوريمر تصنيف وتعليق د سعد بن عمر آل عمر ، ط ١ سنة ١٩٩٦م ص ٦٣

باشا في تقرير مرفوع إلى إستانبول بتاريخ ٩ / ٥ / ١٢٣٠ هـ عما قام به طوسون (...) وجعل قبائل مطير وعتيبة وقبائل متفرقة أخرى يقبلون الطاعة بحاربة بعضهم ، وتخويف البعض الآخر منهم ... إلخ)^(١) .

ولعله من المهم أيضاً الإشارة إلى أسلوب جديد ابتكره إبراهيم باشا للسيطرة على القبائل وإضعافها ، وهو تقسيم القبيلة الواحدة إلى مشيخات متعددة والقضاء على المشيخة المركزية أو ما يعرف بشيخ الشمل ، كما فعل مع قبائل حرب التي كانت تجتمع على ابن مضيان ؛ وكذلك مع قبائل عسير التي قسمها إلى ثلاثين شيخاً بعد أن كانت تجتمع على شيخ واحد^(٢) .

تعليق على بعض الروايات العامة حول إبراهيم باشا :

يتناقل العوام روايات كثيرة غير محققة عن أخبار إبراهيم باشا وعلاقته ببعض الأشخاص من حواضر نجد وبواديها ، وهي روايات متباينة ومتناقضة ، وللأسف الشديد فقد نقلها بعض المؤرخين المتأخرين بدون تحقيق ، ومن أولئك المؤرخين المهتمين الشيخ محمد العلي العبيد المتوفى سنة ١٣٩٩ هـ فيما نقله عن تفاصيل معركة الماوية التي ستأتي معنا في حوادث سنة ١٢٣٢ هـ ، ومن ذلك ما ذكره أيضاً عن علاقة كل من ابن دهيان وابن مضيان بإبراهيم باشا ؛ فقد أورد ما يلي : (...) وصحب إبراهيم باشا كثير من قادة أهل نجد بدو وحضر ، فمنهم محمد بن دهيان من أهل الخبراء (وكان رجلاً شجاعاً كريماً) ؛ فمقتة سعود بن عبدالعزيز لموجدة في نفسه أو مسببة بلغته عنه ، فأرسل إليه

(١) انظر كتاب / من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي / تأليف د . عبدالرحيم

عبدالرحيم ٤٨١ / ٢ .

(٢) من وثائق الدولة السعودية ٥٨٦ / ٢ .

رجالاً من قبله، وأخذوا أمواله، وهدموا قصوره ، وقطعوا نخيله .. وبعد الذي جرى جلس بالخبرا مهضوم مستكين ^(١) ؛ فحينما سمع بخروج إبراهيم باشا شَخَصَ إليه ، وعارضه في الطريق ، وهو الذي يقول :

جينا نجر الغصن من نازح النيا قوم تعايا بالدروب جهال

الى ادعينا دارهم مثل دارنا سوى تيك يعدل الزمان أو مال

... إلخ تلك الرواية العامة ؛ فالذي يطلع على وثائق القوات المصرية

وتقاريرها اليومية عن تلك الحوادث لا يجد ما يؤيد هذه الرواية ؛ فلم يرد اسم محمد بن دهيمان ، ولم يرد ما يشير إلى موقفه ذلك ^(٢) ، وهذا مما يزيد الشك في صحة تلك الروايات ، ويؤيد القول : بأنها من اختلاق العوام ! .

أما المصادر النجدية فإنها لا تكتفي بعدم الإشارة إلى هذه الروايات فحسب، بل إن مدلولاتها تنفي حدوث مثل هذه القصة؛ فالمعروف عن الإمام سعود أنه من أكثر الحكام السعوديين ورعاً وكرماً وكياسة في تعامله مع رعاياه .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الذي غضب على أهل الخبراء وهدم سورها وأدب شيخها هو عبدالله بن سعود وليس الإمام سعوداً ، وقد نص على ذلك ابن بشر ؛ فذكر أن الإمام عبدالله بن سعود قد أنبأ أهل الرس وأهل الخبراء ؛ لأنهم أطاعوا طوسون باشا ، وكاتبوه قبل أن يصل إلى القصيم ، ولم يظهروا

(١) هكذا في الأصل : والصواب : مهضوماً مستكيناً [الدرعية] .

(٢) ورد في أحد التقارير المرفوعة من إبراهيم باشا إلى والده بتاريخ ١٢٣٣/٥/٢٥ هـ ما يفيد أن إبراهيم ابن شيخ الهلالية كان من المتعاونين مع إبراهيم باشا .. قال : (...) وأرسلت وقدمت إلى أعتاب ولي النعم ، التي تقضي الحاجات بمعرفة عبدكم إبراهيم نجل شيخ الهلالية من قرى القصيم ، فإن شاء الله تعالى لدى شرف الحصول والتفضل بإطلاع دولتكم على كيفية الأحوال والأخبار السارة ، فالأمر والفرمان لمولاي ... إلخ) . "دار الوثائق القومية القاهرة محفظة رقم (٥) بحر برا وثيقة رقم ١٨٧".

أي مقاومة أو ترث ، وهذا نصه : (... وفي مسير محمد علي هذا إلى تهامة (وابنه أحمد طوسون في المدينة المنورة يجهز العساكر إلى نجد) : وأرسل^(١) إلى أهل الرس وأهل الخبراء القريتان المعروفتان^(٢) في القصيم ، وكاتبوه ، فأرسل طوسون إلى العسكر الذي في الحناكية ، وأمرهم أن يسيرا إليهما ، فساروا إلى القصيم ، وأطاع أهل الخبراء والرس ، فدخلهما الروم) .. إلى أن يقول : (وثبت بقية بلدان القصيم وحاربوا الترك) .. ويقول أيضاً : (وكان طوسون قد استوطن الخبراء)^(٣) .

وهذا هو ما أغضب عبدالله بن سعود على أهل الخبراء ، حيث وصل إليهم بعد رحيل طوسون باشا وأدبهم .. يقول ابن بشر في حوادث سنة ١٢٣١هـ : (وفيها سار عبدالله بن سعود بجميع رعيته من المسلمين من الأحساء وعمان ووادي الدواسر والجبل والجوف وما بين ذلك من البادية والحاضرة .. قصد ناحية القصيم ، ونزل على بلد الخبراء ، وهدم سورها وسور البكيرية عقوبة لهم على ما تقدم منهم ... إلخ)^(٤) .

وهكذا فإن عقاب الإمام لهم ليس بسبب كرمهم ، وإنما بسبب تسليمهم للترك بصورة تثير الشك حول موقفهم من القوات الغازية .. وهذا من آفات الرواية العامة ! .

ونفس الشيء ينطبق أيضاً على ما ذكره العبيد حول الرواية العامة المتعلقة بابن مضيان ؛ حيث يقول عن حصار إبراهيم باشا للرس : (وفي ذلك

(١) هكذا في الأصل المطبوع من تاريخ ابن بشر ، والصواب «أرسل» دون واو عطف قبلها [الدرعية] .

(٢) هكذا في الأصل المطبوع من تاريخ ابن بشر ، والصواب : القريتين المعروفتين [الدرعية] .

(٣) عنوان المجد (نسخة مكتبة الرياض الحديثة) ١٨٤/١ .

(٤) المصدر السابق ١٨٦/٢ .

الوقت أرسل غانم بن مضيان من حرب - وكان ذلك الحين غازي ^(١) مع إبراهيم باشا - إلى منصور بن شارخ أمير الرس الذي ضُرب عليه الحصار ، وكان ^(٢) حرب ومطير قادة إبراهيم باشا ، ورحلته كلها منهم ، وهم الذين يحملونه على جمالهم من ينبع ومن المدينة ؛ فقال غانم مخاطباً منصور ^(٣) :

منصور ما سَرَّيت روحك وضَرَّيت

رَبْعَكَ وقَطَعْنَا الغُروسَ المهَانِيعَ

يوم أنْعَمَسَ رايك وللشَّرِّ حَبِيتْ

وَسَدَّيْتُ عن شور النصيحة مساميعَ

... إلخ ؛ فأجابه عنه محمد البدري الهتمي ، فقال :

يا راكب اللي راعي بالخَلَا هَيْتْ

ما يَلْحَقْنَهُ عالجَات المصَارِيعَ

تراك يا غانم بقولك تَزَرَّيْتُ

حَنَّا نصالي دون بَيْضِ مفارِيعَ

... إلخ ^(٤) .. وذكر أربعة أبيات لكل منهما .

ولكن وثائق إبراهيم باشا وكذلك المصادر التاريخية المعاصرة لتلك الحوادث لم تذكر أي دور لغانم بن مضيان في حصار الرس (وإن ذكرت أنه شارك في غزوة إبراهيم باشا على إحدى القبائل سنة ١٢٣٢هـ ^(٥) ، وأن قبائل

(١) هكذا في الأصل ، والصواب : غازياً [الدرعية] .

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب : وكانت [الدرعية] .

(٣) هكذا في الأصل ، والصواب : منصوراً [الدرعية] .

(٤) مخطوطة النجم اللامع ورقة ١٣ - ١٤ .

(٥) مصر في القرن التاسع عشر ، تأليف : إدوار جون ، تعريب : محمد مسعود ، الطبعة الأولى

١٣٤٠هـ - ١٩٢١م ، القاهرة ص ٥٣٥ .

حرب ومطير وعنزة وشمر وعتيبة وغيرها كانت تنقل إمدادات الجيوش المصرية من الحجاز إلى نجد) .. بل إنها ذكرت أن الذي شارك مع طوسون باشا في حوادث القصيم من حرب هو الشيخ مَدُوخ بن معيَّان من بني علي وفيصل الدويش من مطير وليس ابن مضيان ^(١) .

فهل نعتمد على الشيخ العبيد الذي ينفرد في إيراد هذه التفاصيل مع أنه لم يكتب تاريخه عن هذه الحوادث إلا بعد وقوعها بأكثر من ١٥٠ سنة ؟ .. أم نعتمد على المصادر المعاصرة للحدث والقريبة منه مثل الوثائق المصرية ، وتاريخ ابن بشر وغيره ؟ .

وقعة على حرب سنة ١٢٣٢هـ :

قال ابن بشر : (ثم دخلت السنة الثانية والثلاثون بعد المائتين والألف والعساكر المصريون في الحناكية مع إبراهيم باشا (ومعه البوادي المذكورون ^(٢)) وهو يغير على بوادي نجد)، فأغار على الرحلة ^(٣) من حرب عند أبانات (الجيلان المعروفان) ^(٤) في نجد فأخذهم ... إلخ) ^(٥) .

الوضع بين بعض قبائل عتيبة وسبيع وعدوان وبين إبراهيم باشا سنة ١٢٣٢هـ :

توضح إحدى الوثائق التركية الصادرة من محافظ مكة إلى والي مصر بتاريخ ١٢٣٢/٤/١١هـ بعض التحولات في الوضع بين بعض شيوخ القبائل

(١) كتاب : أصول الخيل الحديثة ، تأليف : الشيخ حمد الجاسر ، منشورات دار البمامة ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ، ص ٢٤٧ .

(٢) يقصد : من حرب ومطير وعتيبة والدهامشة من عنزة ، كما في الخبر السابق .

(٣) الرحلة : من بني سالم من حرب ، والمقصود هنا رحلة نجد ، ويشمل ذلك الجملاء والغريان والوسدة .

(٤) هكذا في الأصل ، والصواب : الجليلان المعروفين [الدرعية] .

(٥) عنوان المجد / حوادث السنة المذكورة .

(وخاصة ابن ربيعان وأتباعه من عتيبة ؛ والشيخ ابن قاسي وأتباعه من سبيع أهل رنية) ؛ حيث جاء في ذلك التقرير ما ترجمته : (في رسالة سابقة ذكرت ذهاب ابن ربيعان إلى جانب إبراهيم باشا ؛ إذ خرج المذكور من جوار الطائف - وفي معيته عتيبة وسبيع وعدوان ومطير - ووصل إلى قرب الحناكية ، ومن غير أن يتلاقى مع الباشا عرض طاعته وعودته إلى دأبه القديم .. ولما كان سلوكه هذا مكرهاً عليه ؛ فقد تلقاه المشار إليه بمظهر الحيلة والتبصر ، وغزاه وضربه والعشائر التي كانت معه ، وجعلهم فقراء الحال ^(١) .. وفي الطرف الآخر فإن وكيل تربة الشريف محمد وخیالته الـ ٦٠ أغار على نجع الشيخ ابن قاسي من سبيع في جوار رنية، وغنم كل مواشيه، وقتل الأشقياء ، وأرسل أيوب آغا وسليمان آغا برزانلو نحو عرب الطفحة والنفعة والدعاجين من عتيبة الذين لم يقوموا لطرف المشار إليه ؛ فصادفهم في أطراف صليّة ^(٢)؛ فأخذوا مواشيهم ، وأدّبوهم ، وأجبروهم على الخدمة ، ثم قام الآغاوان باكتشاف قبائل أخرى من عتيبة خارج الطاعة فطيّعوها ^(٣) .. واشترك شريف تربة محمد بن عودة وخیالته مع رشوان آغا رئيس الأدلاء في مكة باتجاههما إلى ما بين بيشة ورنية حيث أكلب وسبيع وابن شكبان ؛ فكانت هذه الغزوة كتلك مكلفة بالنصر والفيض .. وفي خلال الغزوات الـ ٤ دمّروا ما يقرب من (١٥٠) شقياً ، وغنموا أكثر من (٢٠٠) جملاً و(٣٠) ألف من الأغنام ، وأقبل الطائعون من

(١) يقصد أنه استولى على حلالهم .

(٢) هكذا في الترجمة ، ولعل المقصود الصليّة الواقعة جنوب شرق جبل النبر المشهور في عالية نجد

(المجاز لابن خميس ، ص ٨٣) .

(٣) هكذا في الترجمة .

عتيبة ومطير وعدوان والدعاجين وغيرهم إلى أمام الحناكية، ونزلوا مع نجوعهم، وعاد العسكر (الخيالة كلهم) لطرفي ... إلخ) ^(١).

كما يفيد تقرير آخر مرفوع من إبراهيم باشا الموجود في نواحي الدرعية إلى والي مصر مؤرخ في ١٩ شوال ١٢٣٣هـ أن عربان مطير وبني حرب وعتيبة قائمون بنقل الذخائر من ينبع إلى الدرعية ^(٢).

الدويش وحصار الرس سنة ١٢٣٢هـ :

تفيد المصادر التاريخية أن إبراهيم باشا (بعد أن استمال عدداً كبيراً من القبائل الحجازية والنجدية عن طريق المهادنة أحياناً ، وعن طريق القوة أحياناً أخرى) : سار إلى بلدة الرس .. يقول الدكتور عبدالرحيم حول حصار الرس ، وما سبقه من إرهابات : (وأصبحت كفة آل سعود في ذلك الوقت بتصدع شديد : نتيجة لانضمام فيصل الدويش ^(٣) بعربانه إلى جانب قوات إبراهيم باشا ... إلخ) ^(٤). ويقول فؤاد حمزة أيضاً عن انضمام بعض القبائل إلى إبراهيم باشا : (... وصل إلى المدينة عام ١٢٣١هـ (١٨١٦م) ، واحتل الحناكية الواقعة على بعد تسعين ميلاً شرق المدينة .. وحينما استوثق من ولاء مطير وشمر وحلفائهم سار إلى الرس ، فحاصروهم أربعة أشهر ... إلخ) ^(٥).

(١) دارة الملك عبدالعزيز / الوثائق التركية / وثيقة رقم ٣٣/٢/٢ / تقرير مرفوع من محافظ مكة

حسن باشا إلى محمد علي باشا والي مصر بتاريخ ١١ ربيع الثاني سنة ١٢٣٢هـ .

(٢) دارة الملك عبدالعزيز / الوثائق التركية / وثيقة رقم ١/٢ - ٣٠ / رسالة من إبراهيم باشا إلى والي

مصر بتاريخ ١٩/١٠/١٢٣٣هـ .

(٣) المقصود فيصل بن وطبان الدويش المتوفى سنة ١٢٤٨هـ كما سيأتي ، وليس فيصل بن سلطان .

(٤) من تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث / الدولة السعودية الأولى تأليف الدكتور عبدالرحيم

عبدالرحيم / الناشر دار الكتاب الجامعي / القاهرة / الطبعة الخامسة ١٩٨٧م ٣٤٣/١ .

(٥) في قلب جزيرة العرب ص ٣٤٢ .

ويلاحظ من المصادر التاريخية (بما فيها وثائق إبراهيم باشا) أنها لا تشير إلى أي دور هام للقبائل النجدية في الحوادث التي تلت حصار الرس مثل حوادث الاستيلاء على عنيزة وبريدة وشقراء وضمها .. حتى حصار الدرعية نفسه لم يكن للقبائل دور واضح ومباشر فيه ، ولعل في ذلك إشارة إلى تخلي القبائل عن إبراهيم باشا بعد أن عرفت نيّاته وأهدافه ووعوده الكاذبة ؛ حيث كان تعامله مع القبائل خالٍ من الحكمة والسياسة ؛ فما بالك الاعتبارات الدينية والأخلاقية .. وهذا ليس رأي أهل البلاد فيه ، ولكن رأي من عرفه وفاوضه من الإنجليز ؛ حيث يقول سادلير: (... من خلال ملاحظاتي الشخصية التي ينبغي عليّ أن أضيف إليها : أن الواقع التاريخي العام للحملة الأخيرة التي عهد بها إلى تديبره ^(١) يعرض سلسلة لأبشع الأعمال الوحشية والهمجية التي ارتكبت ؛ لتدنس ^(٢) العقيدة التي تتسم بأعلى درجات القداسة في تعاليمها وتوجيهاتها .. كان يرتكب تلك الوحشيات في بعض الأحيان بهدف إثراء نفسه بنهبه للقبائل نفسها التي كانت قد أسهمت في نجاحاته ، وكان في حالات أخرى يهدف إلى وضع يده على ثروات أعدائه المقهورين ؛ لمجرد أنهم حجبوا أنفسهم عن الأنظار في لحظة غضبته ؛ فبعد تضليله لأولئك

(١) يقصد إبراهيم باشا .

(٢) رحلة عبر الجزيرة العربية ص ١٨٥ .. قال أبو عبدالرحمن : الكتابي المتدين من النصاري إذا سلم من كيد اليهود أقرب إلى الرحمة .. وهكذا جاء عنهم في سورة المائدة ، وهكذا وصفهم عمرو بن العاص رضي الله عنه كما في صحيح البخاري .. وهذا الباشا عبدالوئمة أنتزعت منه الرحمة؛ لما فقد التدين .. ولقد صدق الإمام أبو محمد ابن حزم إذ قال في مداواة النفوس : ثق بالمتدين وإن كان على غير دينك ! . وسادلير أيد جنود الدعوة في الجزيرة العربية ، فلم يرههم إلا على الدين الصادق ، والأخلاق العربية النبيلة [الدرعية].

البائسين تعيسي الحظ بأعلى الوعود : إذ يقعون ضحايا تصرفاته الجشعة ، وتعطشة - الذي لا يرتوي - إلى سفك دماء البشر^(١) .

ومع هذا فقد ذكر أمين الريحاني أن جيش إبراهيم باشا عندما وصل إلى الدرعية ، وباشر حصارها : كان يتألف من (٤٠٠٠) من المصريين والألبانيين و (٥٠٠) من المغاربة ، وبضعة آلاف من عربان مطير وحرب وعتيبة وبني خالد .. وهنا أود الإشارة إلى أن الريحاني ليس معاصراً للحدث ، ولم يذكر مصدره لهذا الخبر^(٢) .. بينما ذكرت مصادر أخرى أقرب للحدث منه تفاصيل جيش إبراهيم باشا الذي حارب الدرعية ، ولم تذكر هذه الآلاف كما سنرى في الخبر التالي :

دور القبائل في حوادث سقوط الدرعية سنتي ١٢٣٣ و ١٢٣٤ هـ :

يلاحظ أن هناك تضارباً في الروايات المتعلقة بالدور الذي قامت به القبائل النجدية أثناء حروب الدرعية بين إبراهيم باشا وزعماء الدولة السعودية الأولى.. إلا أن ذلك التضارب (خاصة في الروايات العامة) يعود إلى سببين رئيسيين : أولهما : أن المصادر التاريخية لم توضح هذا الدور بشكل دقيق . وثانيهما : أن كثيراً من الرواة لا يرجعون للمصادر التاريخية ، وإنما يتناقلون حكايات الآباء والأجداد مع ما فيها من المبالغات والتهويل والأهواء ، وعلى الرغم من أن مؤرخ الدولة السعودية عثمان ابن بشر أورد تفاصيل مهمة ودقيقة عن سقوط الدرعية إلا أنه لم يتكلم بشكل مباشر عن دور القبائل في

(١) الترجمة - أو تعبير سادليز - غير موفقة : لأن العقيدة لا ينالها دنس من أفعال المجرمين ، فلعله أراد أن تدنيس العقيدة ادعا بترويج الأكاذيب عليها لهذا الإجماع [الدرعية] .

(٢) نجد وملحقاته / منشورات الفاخري بالرياض ص ٨٨ .

تلك الحوادث التي ركز فيها على دور آل سعود ومن صدق معهم من أتباعهم في معاركهم البطولية ضد إبراهيم باشا وعساكره .

وقد أورد الكابتن فورستر سادليز الذي زار الدرعية بعد خرابها مباشرة (وذلك سنة ١٨١٩م) معلومات مفصلة عن مكونات جيش إبراهيم باشا الذي حاصر الدرعية، وذكر أن ذلك الجيش يتكون من (٥٦٠٠) من العساكر منهم (١٥٥٠) من الفرسان الأتراك و(٤٠٠) من الفرسان الأجانب و(٤٣٠٠) من المشاة الأرنأوط والأتراك .. لكنه لم يذكر المقاتلين من أبناء القبائل النجدية في جيشه^(١).

ولن ندخل هنا في تفاصيل حروب الدرعية ؛ لأن الذي يهمنا هنا هو دور القبائل النجدية في تلك الحوادث .. أما من أراد مزيداً من التفاصيل حول هذا الموضوع فليرجع إلى تاريخ ابن بشر، ونستثني من ذلك بعض من وردت أسماؤهم من أعيان القبائل الذين شاركوا في تلك الحوادث ؛ فمنهم من وقف مع آل سعود في البداية ثم تحول إلى معسكر إبراهيم باشا كالفراس غصاب العتيبي^(٢)، ومنهم من خرج من الدرعية ولحق بأهله ، ومنهم من قاتل إلى أن قتل .

كما تشير إحدى الوثائق التركية إلى أن الشيخ مبارك الظاهري وولده سعد وهما من قبيلة حرب ولهما مشيخة الشنادة في ذلك الوقت ، قد لجأ إلى الباشا وانضموا إليه^(٣) .

(١) رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩م أنس الرفاعي / تحقيق سعود جمران العجمي دار الفكر دمشق / الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ص ١٤٦ .

(٢) تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تأليف سنت فيليبي تعريب عمر الديسراوي مكتبة مدبولي القاهرة ط ١ سنة ١٩٩٤م ، ص ٢١٩ .. قال أبو عبد الرحمن : إنما هو عمر الديراوي ، ولكن طبعة المدبولي مشوهة بعشرات من التصحيقات والتحريفات [الدرعية] .

(٣) دارة الملك عبدالعزيز ، الوثائق العثمانية ، وثيقة رقم ١٥٣/١/٥ ، تقرير بشأن أسرى الدرعية من محمد علي إلى رئيس الكتاب بالباب العالي ، سنة ١٢٣٣هـ .

غير أنه من الإنصاف الإشارة إلى الموقف البطولي للأمراء السعوديين ورجالهم من أهل الدرعية ومن حولها من قرى نجد الذين صدقوا في جهادهم وقتالهم دون بلادهم إلى النهاية ^(١) .

كما أنه من الإنصاف أيضاً القول بأن كثيراً من الذين تحولوا إلى معسكر إبراهيم باشا كانت لهم مواقف صادقة ومآثر كبيرة مع آل سعود (وبخاصة غصاب العتيبي؛ فقد كان قائداً شجاعاً فارساً مظفراً شارك في كثير من المهمات التي كلفه بها الإمام سعود وابنه عبدالله من بعده ؛ فقام بها على أحسن وجه) ، ولكن تغير المواقف بعد توغل القوات المصرية في نجد كان من الابتلاء الذي حل بالبلاد .

بنو خالد يعودون لحكم الأحساء والقطيف سنة ١٢٣٤ هـ :

قال ابن بشر : (وذلك أن الباشا لما استولى على الدرعية واستقر فيها سار من عنده ماجد ابن عريعر الذي أبوه رئيس الأحساء ومعه أخوه محمد ابن عريعر ؛ فاستوليا على الأحساء ، واستقرا فيها .. ثم سار محمد ابن عريعر إلى القطيف وتسلمها واستولى عليها) ^(٢) .

وقد أشار إلى هذا الخبر أيضاً الكابتن فورستر سادليز ؛ فذكر أنه لما كان في بوشهر الفارسية وجد أن الفرس يمجّدون أعمال إبراهيم باشا في الجزيرة ، ومنها توطينه لقبيلة بني خالد ، وتوليتهم على الأحساء ^(٣) .

ويورد لوريمر مزيداً من التفاصيل حول هذا الموضوع ؛ حيث قال (وهو يصف انسحاب القوات المصرية من الأحساء سنة ١٢٣٤ هـ) : (... وقد بدأ

(١) انظر عنوان المجد حوادث السنة المذكورة ، وتاريخ نجد لسنة فيلبي ص ٢١٩ .

(٢) عنوان المجد ، وتحفة المشتاق حوادث السنة المذكورة .

(٣) رحلة عبر الجزيرة العربية ص ١٥٠ [الحاشية] .

الكاشف^(١) يُعدُّ العدة للرحيل ؛ فجمع من أهل الأحساء حوالي مليون قرش ، وترك وراءه شيخ بني خالد^(٢) ممثلاً للحكومة التركية في الأحساء .. وكان شيوخ بني خالد هم الأعداء التقليديين للوهابيين ، وقد سبق للوهابيين أن حطموا قوتهم من قبل ، وكان مقرراً أن يحملوا الجزية السنوية من الأحساء إلى القصيم ؛ حيث كانت ستقيم حامية مصرية إقامة دائمة^(٣) .

وفي هذا الخبر إشارة هامة إلى موقف بعض زعماء آل عريعر من حكومة الدرعية ؛ حيث نزحوا عن الأحساء بعد دخولها في حكم آل سعود كما أسلفنا في الحلقة السابقة ، ومسارعتهم للعودة إليها بعد سقوط الدرعية بترتيب مع إبراهيم باشا .

حملات إبراهيم باشا على قبائل سبيع والسهول وغيرهم سنة ١٢٣٤ هـ :

وذلك أن إبراهيم باشا بعد سقوط الدرعية أكثر الغارات التأديبية للقبائل حولها ممن لم ينضم لقواته أو يتعاون معه (وبخاصة سبيع والسهول والعجمان وعنزة) ؛ فأغار على سبيع في جهات رماح ، فأخذ منهم إبلاً وأغناماً ، ثم أغار على بعض بوادي عنزة فأخذ منهم أغناماً وإبلاً ؛ وذلك في أرض الزلفي^(٤) . كما يضيف فيلبي أن الباشا نجا بأعجوبة من طعنة خنجر شقت بنطلونه وسرج حصانه في إحدى هذه الغزوات^(٥) .

(١) الكاشف : قائد القوات المصرية .

(٢) المقصود : الشيخ ماجد ابن عريعر ، وكان معه أخوه محمد .

(٣) رحلة عبر الجزيرة العربية لسادير ص ٩ وص ٦٢ ، وانظر تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج ص ٧٠ ، وتاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تأليف سنت جون فيلبي تعريب عمر الديراوي مكتبة مدبولي القاهرة ط ١ سنة ١٩٩٤ م ص ٢٦٦ .

(٤) عنوان المجد حوادث السنة المذكورة ، وتاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج ص ٦٩ .

(٥) تاريخ نجد سنت فيلبي ص ٢٢٨ .

فيصل الدويش ومهاجمة الدرعية سنة ١٢٣٥ هـ :

وذلك أن ابن معمر أراد استرداد الدرعية من مشاري بن سعود ؛ فاستقر في حريملا ، وكاتب أهل تلك النواحي ، وكاتب فيصل الدويش .. فأرسل إليه جيشاً من مطير ، وتمكن بعد ذلك من دخول الدرعية ، والقبض على مشاري بن سعود ، وتسليمه لجيش من الترك بقيادة خليل آغا وفيصل الدويش الذين نقلوه إلى الحامية التركية في عنيزة ؛ فقتل هناك ^(١) .

من أخبار الشيخ غانم بن مضيان وبعض شيوخ عنزة سنة ١٢٣٥ هـ :

جاء في إحدى الوثائق المصرية المرفوعة إلى محمد علي باشا بتاريخ ١٢٣٥/٦/٢٧ هـ ما مفاده : إنه حدث وقعة بين غانم بن مضيان - ومعه بعض العساكر وبين بعض من عربان عنزة وعلى رأسهم ابن مجلاد شيخ الدهامشة وابن سودان وغيرهم من شيوخ عنزة ، وذلك على بُعد مرحلتين أو ثلاث من الحناكية - حيث دارت بين الطرفين معركة شديدة بالبنادق ، وقُتل من عنزة حوالي مئتي نفر ، وغنم ابن مضيان والعساكر غنائم كثيرة ^(٢) .

كما حدثت مناوشة أخرى في شهر جمادى الثاني من نفس السنة بين الشيخ غانم بن مضيان وبين الشيخ ابن مخلف من عنزة ، كما يستفاد من أحد التقارير العسكرية من محافظ المدينة المنورة إلى مصر بتاريخ ١٢٣٥/٦/٢٧ هـ ..

(١) عنوان المجد (نسخة الدارة) ٤٤٦/١ ، وتحفة المشتاق حواد السنة المذكورة .. ويرى الجبرتي بخاصة أنه مات في الطريق بين عنيزة ومصر أثناء محاولة الأتراك لنقله إلى مصر للمرة الثانية .. (انظر عجائب الآثار في التراجم والأخبار ص ٣٤٠ وص ٣٤١) .

(٢) دار الوثائق القومية محفظة (٧) بحرا برا رقم الحفظ (٢٩) / إفادة مرسلة من محافظ المدينة إلى محمد علي بتاريخ ١٢٣٥/٦/١٧ هـ (١١/٤/١٨٢٠ م) .

جاء فيه ما ترجمته : (سيدي إن الشيخ غانم بن مضيان كان مقيماً في المكان المسمى ماوية ^(١) مع قبيلته ، فسار عليه من أعراب العنزة ابن مخلف وابن سودان والمشايخ الذين في معيتهم ، فأرسل إلينا الشيخ غانم رسولاً يستنجد ، وعندما وصل هو وقبيلته إلى الحناكية رتبنا نحن من الأدلاء ومن عساكرنا ثلاثمئة فارس على أن يكونوا في معية الشيخ غانم .. ولما علم بذلك هؤلاء رجع كل من ابن مخلف وابن سودان إلى الورا على بعد مرحلتين أو ثلاث مراحل تاركين في ذلك المحل كمية كبيرة من الأغنام وبضعة أشخاص من المشايخ، وعندما بلغ ذلك الشيخ غانم استصحب الجنود من الحناكية؛ فتعقبوهم يوماً أو يومين حتى أدركوهم في صباح أحد الأيام، فدارت بين الطرفين معركة شديدة بالبنادق، فقتلوا منهم عدداً يربو على مئتي نفر، واغتنموا الغنائم ^(٢)).

من أخبار عتيبة وقحطان سنة ١٢٣٥ هـ :

يفيد تقرير تركي مؤرخ في ٣/ ١٠/ ١٢٣٥ هـ أن قبائل قحطان جاءوا إلى نواحي رنية طلباً لرعي حيواناتهم في المراعي القريبة منها ، فتحاربوا هم وسبيع أهل رنية وتقاتلوا قتالاً عنيفاً قتل فيه عدد من رجال الفريقين وانسحبت قبائل قحطان إلى جهات بيشة ، ثم يقول محافظ مكة في تقريره المرفوع إلى محمد علي باشا والذي يشير فيه إلى أن قحطان لم تكن على وفاق مع القوات المصرية في تلك الأثناء : (...) وحيث يظهر أنه لم تظهر قحطان بمظهر الطاعة في أول الأمر بإرسال هجآن ثم تعديهم على أهالي رنية على خلاف ما بلغوا به

(١) في الأصل : معاوية .. والمقصود الماوية ، وهي مورد ماء قديم إلى الغرب من جبل ماوان ، وتقع الآن في أقصى الحدود الشرقية لإمارة المدينة المنورة عند ملتقى الحدود الجنوبية الغربية لإمارة القصيم .

(٢) دار الوثائق القومية / القاهرة / محفظة رقم ٧ بحريرا / وثيقة رقم ٢٩ .

الهبان إلا من خيانتهم ومن مكرهم وخداعهم ، أرسلتُ أوراقاً إلى ابن ربيعان شيخ عتيبة والشيخ الدويش وسائر المشايخ ليضيقوا على قحطان ... إلخ^(١).

من أخبار الدويش سنة ١٢٣٥هـ :

يقول ابن بشر : (ثم إن الترك والدويش ساروا من سدوس ، وقصدوا الرياض ، وثبت لهم تركي وحارهم ، فرجعوا وأقاموا في بلد ثادق .. إلى أن يقول : وأقبل الدويش ومعه عسكر من الترك ، وطاول بلدان سدير .. كل بلد ينزلها ويأخذ من أهلها شيئاً كثيراً من الدراهم والسلع)^(٢).

موقف بعض القبائل من مشاري بن سعود سنة ١٢٣٦هـ :

يذكر أحمد عبدالغفور عطار أن الإمام تركي خرج من الرياض سنة ١٢٣٥هـ بعد أن هاجمها الأتراك وحاصروها ، ومضى يجمع الصفوف ، واستولى على العارض بعد أن نازع الترك الذين تعينهم قبيلتا شمر ومطير^(٣). ويورد تقرير تركي مؤرخ في ١٣/٥/١٢٣٦هـ ما مفاده : أن أحد الأمراء السعوديين^(٤) قد قدم إلى الدرعية وبنى فيها قلعة وأنه يفكر بالاستيلاء على ما حولها واسترداد الأحساء ، فكتب محمد بن عريعر شيخ بني خالد إلى إبراهيم باشا يخبره بذلك ، فتم إرسال قوة كبيرة قوامها أكثر من ألف فارس وطائفة من

(١) دار الوثائق القومية ، القاهرة ، المحفظة غرة (٧) تحت غرة سلسلة (٢١٠) من محفوظات المعية السنية ، (صورة لدى مكتبة الملك فهد) .

(٢) عنوان المجد حوادث السنة المذكورة ، وانظر تاريخ نجد تأليف سنت جون فيليبي ص ٢٣٦ وص ٢٣٧ ، وتاريخ المملكة في دليل الخليج ص ٧٣ ، وتاريخ المملكة العربية السعودية تأليف الدكتور عبدالله العثيمين / ط ٢ سنة ١٩٨٩م ص ٢٠٥ - ٢١٤ .

(٣) صقر الجزيرة ، أحمد عبدالغفور عطار ، ج ١ ، ص ٨٥ .

(٤) المقصود : مشاري بن سعود ، لكن التقرير يسميه محمد بن المشاري ، وهذا خطأ .

العربان من عتيبة ومطير، واسندت قيادة تلك القوة إلى حسين بك، ونظراً للخوف من هذه القوة فقد قام ابن معمرّ بالقاء القبض علي مشاري بن سعود وتسليمه للعساكر ، فقام تركي بن عبدالله بالقبض على ابن معمرّ وقتله ... إلخ ^(١) .

وحول هذا الموضوع يورد تقرير تركي مرفوع إلى إبراهيم باشا ما ترجمته: (اطلعنا على ترجمة العريضتين الواردتين إلى طرفنا التي أرسلها فيصل الدويش وابن ربيعان مع رجلهم المدعو ابن عريقان ، التي يقولان فيها : إنه وإن كان سبق ارسال الجواب على أمركم الوارد إلى طرفنا مع رجل محمد بن عريعر إلا أنني لم أعلم بوصوله .. ؟ ^(٢) ، والحالة هذه أن كل مصلحة طبق مرامكم تماماً، وأنه بعد ورود أوامركم المذكورة فإن مشاري أوقد نار الفساد في الدرعية بنجد ^(٣) واجتمع عربان حرب حوله ، وأطاعه أهالي البلدان التي في تلك الجهات ، وأنه لدى سماعنا بالكيفية فقد سرنا عليه توّاً ، وأننا وإن كنا قبضنا عليه إلا أن تركي بن سعود ذبح ابن معمرّ وولده وذهب إلى جهة الرياض، وأن باقي جماعته موجودون في الدرعية ، وأننا نحاربهم إلى تاريخ هذا الجواب ، ونأمل أن نقوم بالعمل وفقاً للمطلوب ... إلخ ^(٤) .

(١) دار الوثائق القومية / القاهرة / وثيقة رقم (١٨٠) ، وحدة الحفظ (٤) معية تركي ، تقرير مرفوع من محمد علي باشا إلى الباب العالي عن الوضع في الدرعية ، مؤرخ في ١٣/٦/١٢٣٦ هـ .. وأنظر : كتاب/ من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي، مصدر سابق / المجلد الأول ص ٥٤٤ .

(٢) كلمة غير واضحة .

(٣) العساكر يُسمّون أي عمل مناهض لهم بالفساد ، علماً أن الأمير مشاري ومثله تركي وبقية الأئمة السعوديين لم يكن لهم أهداف إلا إستعادة ملكهم وبناء بلادهم وإصلاح ما أفسده العساكر .

(٤) دار الوثائق القومية - القاهرة ، ترجمة المكاتبه نمرة (٢٤٩) ، دفتر (٦) معية تركي ، خطاب مرفوع إلى إبراهيم باشا بتاريخ ١٥/٦/١٢٣٦ هـ .

سبيع يهاجمون منفوحة آخر سنة ١٢٣٦هـ :

قال ابن بشر عن هذا الخبر وهو يتكلم عن حوادث سنة ١٢٣٧هـ : (...) وفي أواخر التي قبل هذه سار^(١) بوادي سبيع على بلد منفوحة ، وأخذوها عنوة ، ونهبوها ، وسلبوا النساء ، وقطعوا الثمار ، واستولوا على البلد^(٢) .
أقول: لا شك أنه يقصد بعض بوادي سبيع وليس كلهم ، ولا شك أيضاً أن هذا نتيجة لغياب السلطة التي تفرض الأمن وتحمي حقوق الجميع من بادية وحاضرة .

الخلاف بين غانم بن مضيان وأحد شيوخ عنزة سنة ١٢٣٦هـ :

تشير إحدى وثائق محمد علي باشا الموجهة إلى محافظ المدينة حسين بك إلى أنه حصل خلاف بين غانم بن مضيان وابن مخلف من شيوخ عنزة ، وذلك في شهر جمادي الثانية سنة ١٢٣٦هـ ، وكان الشيخان المشار إليهما بصحبة عبوش آغا أحد قواد محمد علي في رحلة لنقل الذخائر من المدينة إلى عنزة ؛ حيث قام ابن مضيان بأخذ مبالغ مالية فرضها على بعض القرى التي كانت تحت حماية عنزة جماعة ابن مخلف ؛ فقام ابن مخلف بمباغته إبل غانم بن مضيان مرتين : إحداها عند النبهانية ، والثانية عند طَمِيَّة ؛ حيث قام ابن مخلف بنهب بعض جمال ابن مضيان المصاحبة للرحلة .

رسالة من محمد علي إلى الشيخ محمد بن ربيعان سنة ١٢٣٦هـ :

تشير الوثيقة التركية التالية إلى العلاقة بين الشيخ محمد بن ربيعان وبين قوات محمد علي في نجد ، وكما يتضح من ترجمة الرسالة فإنها رد على

(١) هكذا في الأصل المطبوع من تاريخ ابن بشر ، والصواب : سارت [الدرعية] .

(٢) عنوان المجد (نسخة الدارة) ٤٦١/١ .

رسالة مرفوعة من ابن ربيعان ، وهذا نصها : (فخر القبائل وعمدة العشائر شيخ عربان عتيبة حالاً الشيخ محمد بن ربيعان زيدت عشيرته ؛ بعد السلام المنهي إليك أنه وصل عرضحالك وكافة ما ذكرته من أمر مثابرتك على صدق الخدمة المرضية لدينا وذكر مسك مشاري بن سعود وأنت دائماً مع الشيخ فيصل الدويش مواظبين على تأدية الخدمات المبرورة وطلبك من لدينا الإكرام بمقابلة صداقتك .. جميع ذلك صار معلوم لدينا وحصل لنا منه كمال المحظوظية ، فبخصوص الإكرام والاسعاف من طرفنا لهذا نواله مقرون بصدق الخدمة المطلوبة منك ، حيث أننا أصدرنا إلى افتخار الأمراء الكرام الحاج حسين بك محافظ المدينة وسر عسكر حالاً بتنظيم أحوال بلاد نجد وتمهيد العصب الخارجية منها ، فيقتضي منك المثابرة على الثبات على قدم الاطاعة لولدنا المومى إليه امتثال أوامره بكلما يأمر بك به وينهاك عنه ، وإن شاء الله تعالى عند نهاية هذه الخدمة المبرورة ونظام أحوال تلك الجهات نرسل من طرفنا أحد خدام بابنا لطرفنا ولدنا المومى إليه ، وبذلك الوقت نشاهد من طرفنا كلما يسر خاطرك من العناية والاسعاف ، يكون معلومك والسلام .. ديو عربان عتيبة شيوخ شيخ محمد بن ربيعان . امضا لوا بيور لدى ، باز المشد .. ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٢٣٦هـ^(١) .

وتفيد الوثيقة التاريخية بأنه قد تم توبيخ القائد عبوش آغا الذي سمح بهذه الحادثة والانتان في معيته ، وتطالبه بمساعدة غانم بن مضيان باسترداد ما أخذ له ؛ لتفادي وقوع القتال بين الطرفين^(٢) .

(١) دار الوثائق القومية / القاهرة / وثيقة رقم (١٥٢) ، دفتر (١) معية تركي ، بتاريخ ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٢٣٦هـ ، (صورة مكتبة الملك فهد الوطنية) .

(٢) دار الوثائق القومية / القاهرة / المكاتبات المحررة إلى محافظ المدينة المنورة حسين بك ، والمقيدة بدفتر غمرة ٧ معية تركي برقم ١٥٦ و ١٦٠ ، وتاريخ ٢٦/٦/١٢٣٦هـ .

في القبائل وحمدة الفخار شيخ عربان عتيبة هائل الشيخ محمد بن ربيعان زبير عتيبة بعد العلوم المنهية اليك
انه وصل عنمواليك وكافة ما ذكرته من امرنا برزلك على صدق الخدانة المفضلة لدينا وذكر مسلك من ادرك
ابن سعود وانك دأبنا مع الشيخ فهد البديوي مواصلي على تأدية الخدانات البرورة وطلبك من لدينا
الكلام بمقابلة صدقك جميع ذلك صاد معلوم لدينا ونعلم نفاضة كان الخليفة فني من الكرام والاسعاف
من طرفنا هذا قوله مفردون بصدق الخدانة المطلوبة منك حيث اننا اصدرنا امرنا الى افتقار الامراء الكرام الحاج
مسي بك كما نطد الدينه وسعرك والديتكم لهدول بلو نجد ونهد العصب التي ارجية منها فيقتضي منكم
التاثيره على ائبان على قدم الاطاعة لادنا الذي اليه اعتال اوامر بكما يامرلي به بركك حقه وانشاء الله
عند نهاية هذه الخدمة البرورة ونظام احوال تلك الجهاد نرسل من طرفنا امد قدم باننا لفرقا ولنا الذي
وبذلك الوقت نشاهد من طرفنا الكا بسد خالرك من العصابة والاسعاف يكون معلومك وسلمك ببرورنا
عتيبة شينجي شيخ محمد بن ربيعان ايضا الوبير ولي بارك الله فيهم

صورة الرسالة المرسله من محمد علي باشا إلى الشيخ محمد بن ربيعان

السهول يهزمون فرقة من عسكر الترك سنة ١٢٣٧هـ :

وخلاصة ما تذكره المصادر: أن سرية من عسكر الترك الذين بقوا في نجد
أخذت تعيث في بلاد سدير فساداً، وكانت بقيادة موسى كاشف وعبدالله الجمعي
ومعهم نحو (٨٠) فارساً تركياً .. دخلوا بلد المجمع، وقتلوا اثنين من رؤسائها،
ثم لما كان في آخر شهر رجب ركبوا غازين على أعراب السهول ؛ فأغاروا
عليهم في مجزل، فنهض عليهم السهول من البيوت، ووقع بينهم قتال شديد،
وقتلوا غالب الترك، وهزموهم، وقتلوا كبيرهم موسى الكاشف وغالب جنده^(١).

(١) عنوان المجد (نسخة الدارة) ٤٦٢/١، وتحفة المشتاق، وتاريخ بعض الحوادث/ حوادث السنة المذكورة.

سبيع يهزمون فرقة أخرى سنة ١٢٣٧ هـ :

وذلك أن العساكر الذين بالرياض بقيادة إبراهيم كاشف ومعهم بعض رؤساء الرياض خرجوا لقتال بوادي سبيع وراء حابر سبيع .. يقول ابن بشر : (فشنوا عليهم الغارة، ووقع بينهم قتال شديد ؛ فنصر الله سبيعا، وانهزم الترك وأتباعهم هزيمة شنيعة ، وقتل غالبهم ، وكانت القتلى أكثر من ثلاث مئة بين فارس وراجل ، وقتل رئيس الترك إبراهيم كاشف ، وانهزم ناصر أمير الرياض على جواده ، ودخل في غار قبالة الحابر ومعه رجل من سبيع مجيره ، ثم إن السبيعي سار من عنده بالفرس يسقيها من البلد ؛ فرآها رجال من سبيع ، فعرفوها ، فعمدوا إليه في غاره وقتلوه)^(١) .

وقعة بين عنزة والعساكر سنة ١٢٣٧ هـ :

وذلك أن حسن بيك أبو ظاهر (وهو من العساكر الذين قدموا من المدينة ومعهم (٨٠٠) فارس) نزل في هذه السنة الرس مظهراً التنسك والطاعة ، وقصده استمالة أهل نجد ؛ فعاث في البلاد فساداً باسم الدين ، وأخذ يشن الغارات على البوادي ؛ فأغار على بعض بوادي عنزة^(٢) وأخذهم^(٣) .

مطير يشاركون في مهاجمة بلدة جلاجل سنة ١٢٣٧ هـ :

قال ابن بشر : (وفيها سار الكيخيا - أي القائد العسكري - الذي في ثرمدا بما عنده من العساكر ، وسار معه فيصل الدويش وجملة من بوادي مطير

(١) عنوان المجد ١/٤٦٣ ، ونسخة مكتبة الرياض ١/٢٣٤ ، وتحفة المشتاق ، وتاريخ بعض الحوادث ، وتاريخ ابن ضويان حوادث السنة المذكورة .

(٢) وردت في بعض نسخ تاريخ ابن بشر المطبوع برسم «عنيزة» ، وأعتقد أن المقصود عنزة .. قال أبو عبد الرحمن : وهذا هو الصواب بدلالة السياق من كلمة «بوادي» .

(٣) عنوان المجد ١/٤٦١ .

وعدة رجال من أهل ثرمدا، وقصدوا ناحية سدير (وذلك أنهم أشغلوا الناس بالأوامر، وأخذ الأموال منهم ؛ فعصى عليهم صاحب جلاجل سويد ، ثم نزلوا الروضة، وسار معهم أناس من أهل سدير ورحلوا منها ونزلوا جلاجل .. إلخ)^(١). وفيما يلي رسالة من فيصل الدويش إلى محمد علي باشا: (الحاج محمد علي باشا سلم من الأكدار وصفا من الأغيار ، وثناء يدوم بدوام الليل والنهار، ودعاء مستجاب^(٢) إلى الملك الغفار بحرمة^(٣) محمد سيد الأبرار .. آمين .. إلى من طابت أرومته، وثبتت جرثومته^(٤)، ذي الذات الزكية، والأأيادي الحاتمية، والأفعال المرضية .. أعني به الهُمام الأسد الضرغام أفندينا ولي نعمتنا ...؟^(٥) لازالت أيامه مشرقة كالشمس وضحاها ، وأيام أعدائه كالأرض وما طحاها ، وكلمته نافذة ولا يخاف عقباها^(٦) .. آمين .. أما بعد فإننا من فضل الله ثم بأنظاركم المباركة طيبون، وأحوالنا وعشائرننا وأطرافنا ساكنة الحركات من المخالفات على ما تحب وكما تحب، والجميع لكم داعون، ولله حامدون، ولجميلكم وإحسانكم شاكرون ؛ وذلك بإرسالكم الحضرة الزكية، والأخلاق المرضية ولدكم العزيز حسن بيك وحسن تنظيمه وانظامه^(٧) مع حسن سيرته وأخلاقه مع رعيته^(٨) .. والبلدان

- (١) عنوان المجد / حواد السنة المذكورة ، وتاريخ الفاخري ص ١٦٠ .
 (٢) قال أبو عبدالرحمن : الصواب «مستجاباً» ، ولكنها رسائل عوام [الدرعية] .
 (٣) قال أبو عبدالرحمن : تعبير صوفي جاري به أسلوب الأتراك .. ووسيلة محمد صلى الله عليه وسلم وشفاعته إنما هي بعد البعث [الدرعية] .
 (٤) قال أبو عبدالرحمن : هذا يليق بأصلاء العرب لا بأمة من ألبانيا كان يبيع السجائر [الدرعية] .
 (٥) فراغ بمقدار كلمتين في الأصل ، انظر صورة الوثيقة .
 (٦) قال أبو عبدالرحمن: ينس والله هذا الدعاء للبقاء الذي تقبضه دم الدولة الوحيد ودعاء عليها [الدرعية] .
 (٧) هكذا في الأصل ، ولا معنى لانتظامه ، ومن المحتمل أن يكون الصواب «وانضمامه» [الدرعية] .
 (٨) تجمع المصادر التاريخية على أن هذا القائد من أكثر قواد محمد علي في نجد خبثاً وأكثرهم ظلماً وسوء أخلاق.

والبدوان آمنون مطمئنون والحمد لله على ذلك ، ونحن لكم سامعون مطيعون
كما أشرتم إلينا بحسب الطاقة ، ولأوامركم الشريفة ممتثلون ، وعلى ساق الخدمة
واقفون على وفق إشارتكم ، وطبق مرادكم إن شاء الله تعالى .. والسلام ..
١٦ شوال سنة ١٢٣٧ .. التوقيع : الشيخ فيصل الدويش شيخ مطير^(١) .

فصل في بيان

سأدم من يولد له وصف من الأغيار وثنا ويدهر به المأقيل والشاد ورفاء سجايا الملك المنفرد
تجربته محمداً لا يروا أمير لك من لا ينادى ومنتد وثبت جروءه وديا الذات الكريمة والآداب والمخاتبة في حال
للمنية اعزهم كلام لا سدا في غم الخذلان والي نعمنا .
عدا كالأدب وما لظننا وكلنا نأخذ ولا يذنب في حجة بنا آتينا اشابه فاننا من فعل الله ثم باظهار كرمه
والمرانا وعشائرا وللافتا كانت في كرات من الخافضات على شامخ وكأخب ويجمع كبريا ومن ربه
يزامدون ولحكيم وانحبا انكم ورحمتكم تذكرون وذلك بادنا كوكبه في الزمنية ولا خلاف في قرينة وكلمة الغرض
حسن ملك ورسول فنتبه وانما بد مع حسن بهر واخلاقه مع نعمته والبدله والبدوان اسلم مطيع
ولهذا على لك ومن كبر سامعون مطيعون كما اشرتم إلينا بحسب الطاقة ولأوامركم الشريفة ممتثلون وعلى
ساق الخدمة واقفون على وفق إشارتكم ويطبق مرادكم إن شاء الله تعالى .

فصل في بيان

صورة الخطاب المرسل من فيصل الدويش إلى محمد علي باشا

(١) دار الوثائق القومية القاهرة نسخة مصورة على ما يكره فيلم مجموعة وثائق بحر برا مكتبة الملك فهد
الوطنية .. قال أبو عبد الرحمن : هذه رسالة خيانة للدين والوطن والدولة ، ومناصرة لكفرة وفساق لا
يقيمون للدين وزناً ، ولا للمروءة احتراماً ، ولا للإنسانية قدراً .. والعزاء في ذلك : أن تلك فتنة عمت
وطمت ، وأن خالد بن سعود - وهو من الأسرة السعودية كان صنيعة للترك حكمه حكم الدويش - ، وأن
الله أخرج من أصلهم أولاداً وأحفاداً آمن أعاد الله بهم وحدة الأمة ، ووحدة الولاء للدين ، وللدولة القائمة
به ، وللوطن الذي هو أرضيته بإمامة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمهم الله [الدرعية] .

ثورة القبائل على محمد علي باشا سنة ١٢٣٧هـ :

يورد الدكتور عبدالرحيم نقلاً عن وثائق محمد علي باشا أن معظم القبائل الحجازية وبغض القبائل النجدية قد ثارت على قوات محمد علي باشا في منتصف سنة ١٢٣٧هـ ؛ ففي جهات المدينة المنورة ثارت قبائل بني علي وعوف وبني عمرو وبني السفر ، وهاجموا المدينة المنورة ، وأعاقوا نقل الإمدادات من ينبع إلى مراكز قيادات محمد علي في الجزيرة العربية .. وذلك ابتداء من منتصف سنة ١٢٣٦هـ (١) .

وتشير الوثائق التركية إلى أن الشيخ غانم بن مضيان قد اشترك في هذا التمرد ، وتحالف مع الشيخ مبارك العبيدي شيخ أهل أبو ضُبَاع بوادي الفرع (٢) . ويضيف الدكتور عبدالرحيم : (...) وانتشرت تمرداتهم ، وشملت قبائل حرب وهذيل وثقيف وعتيبة وغيرهم من العربان .. وجرت اتصالات بين هؤلاء العربان والمنشقين من الأشراف من ناحية ، وبينهم وقبائل وادي الدواسر من ناحية ثانية ، وقبائل عسير من ناحية ثالثة .. وكان الهدف الذي يجمع كل هذه الجبهات المتحالفة مقاومة الأسلوب الذي أرادت السلطة أن تفرضه عليهم (٣) .

رسالة من محمد علي باشا إلى الشيخ مشعان بن هذال سنة ١٢٣٧هـ :

ولكي يواجه محمد علي باشا تمردات القبائل تلك لجأ إلى الضغط عليها عسكرياً من جهة ، واستمالة القبائل الأخرى وحشدها ضد القبائل المناوئة ..

(١) من تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث ٣٨/٢ .

(٢) دار الوثائق القومية القاهرة / مكاتبة عربية من محمد علي إلى الشيخ وصل بن عامر الأحمدى شيخ

الجديدة بتاريخ ١٢٣٧/٥/١٧ هـ / دفتر ٧ معية تركي / نمرة ١٣٨ .

(٣) من تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث ١١١/٢ .

وفي هذا الصدد أرسل عدداً من رسائل التأليف إلى شيوخ القبائل الذين لم يشتركوا في التمرد من قبائل مطير وعنزة وغيرهم ، وفيما يلي نص الرسالة إلى الشيخ مشعان بن هذال : (فخر العشائر ، شيخ العرب : مشعان بن هذال شيخ عربان عنزة .. زين قبيلته .. بعد السلام المنهى إليك : إنه وصل إلينا كتابك بصحبة آدمك^(١) ، وكامل ما ذكرتموه صار معلومنا .. من قبل إخلاصك في خدمتنا ، والتجائك لطرفنا ، وانقيادك ، وامثالك ، مع إبراز حسن الخدمة إلى قدوة الأمثال والأقران حسن بك محافظ المدينة المنورة : فالذي يخدم بابنا بالصدقة ، وحسن الاستقامة : لا يضيع سعيه ، ويرى مكافأته : فيلزم أن تكون صادقاً في كل خدمتك ، ومنقاداً إلى الميرمير^(٢) المومي إليه .. وطاعتكم له كطاعتكم لنا .. وكذلك عرضتم أن آل عريعر أهل الحسا وأهل القطيف قايين ومستقيمين^(٣) تحت خدمتنا ، وهم مجربون في الصدقة والاستقامة عندنا ، ومأمول منهم ذلك ، وحسن نظرنا شامل عليهم ، ومرسلين^(٤) لك الكسوة بصحبة آدمك الراجع إليك تلطيفاً لك والسلام)^(٥) .

مناخ الرضيمة بين مطير وعنزة وغيرهم سنة ١٢٣٨هـ :

وخلاصة ما يذكره ابن بشر : أن مطيراً بقيادة فيصل بن وطبان الدويش ومعه العجمان ناوخوا بني خالد ورئيسهم ماجد ابن عريعر (ومعهم عنزة

(١) آدمك : آدميك .. لكنة تركية معناها خادمك ، أو مندوبك من بني آدم !! .

(٢) هكذا في الأصل ، ولعل المقصود الميرميران ، ومعناه بالتركية أمير الأمراء .

(٣) في هذا إشارة إلى طبيعة العلاقة بين كل من آل عريعر وابن هذال ومحمد علي .. قال أبو عبد الرحمن : الصواب : قائمون ومستقيمون [الدرعية] .

(٤) الصواب : ومرسلون .

(٥) دار الوثائق القومية القاهرة / دفتر ١٠ معية تركي / رقم ٣٥٢ / خطاب عربي إلى مشعان بن هذال شيخ عنزة بتاريخ ٤ ذي الحجة ١٢٣٧هـ (١٨٢٢/٨/٢٢م) .

وسبيع) على الرضيمة في نواحي العرمة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم صارت الدائرة على بني خالد وعنزة .. ومن مشاهير قتلى هذا المناخ مغيلث^(١) بن هذال من شيوخ عنزة ، وحباب بن قحيصان شيخ البرزان من مطير^(٢) .

ونود هنا أن نشير إلى ملحوظتين هامتين ، وهما :

الملحوظة الأولى : ذكر هذا النص أن مغيلث بن هذال من شيوخ عنزة مع أن المصادر التي مرت معنا تدل على أن مشعان بن مغيلث بن هذال كان شيخ عنزة كما ورد في مكاتبة محمد علي باشا التي مرت آنفاً ، كما أن رواية عنزة يذكرون أن مشعان هو الذي عاد بعنزة إلى الجزيرة بعد سقوط الدرعية !! .. فهل كان مشعان هو شيخ القبيلة في حياة والده ، أم أن الخطأ من ابن بشر ؟ .

الملحوظة الثانية : ذكر مقتل حباب بن قحيصان المطيري في هذا المناخ ، وخلاف ذلك مصادر محمد علي التي ذكرت أنه قتل في غزوة القوات السعودية على وادي الفرع سنة ١٢٢٨هـ كما مرَّ إلا أن الصحيح ما ذكره ابن بشر هنا ؛ حيث يؤيده الفاخري ، وتؤيده رواية قديمة أخرى ؛ فقد ذكر مؤلف كتاب أصول الخيل نقلاً عن نقاد بن زيدان من الصقور من عنزة أنه قال وهو يتحدث عن أحد مرابط الخيل ، ما نصه : (وفي أثناء مناخنا مع الدويش يوم الرضيمة يوم قتل حباب بن قحيصان هربنا وتركنا المهرة في المراح ، فصارت عند ابن قويد من الدواسر ... إلخ) ^(٣) .

(١) يرد اسم هذا الشيخ في بعض المصادر وخاصة عند ابن بشر : مغيلث ، وقد أكد لي بعض أسرة آل

هذال وكذلك الأخ الباحث عبدالله بن عبار العنزي بأنه : مغيلث وليس مغيلث .

(٢) عنوان المجد ٢/٢٧ ، والفاخري حوادث السن المذكورة .

(٣) انظر تاريخ الفاخري حوادث سنة ١٢٣٨هـ ، وكتاب أصول الخيل الحديثة ص ٦٠٣ .

مطير يشاركون في وقائع الرياض سنة ١٢٤٠هـ :

قال ابن بشر: (وفي أولها - أي سنة ١٢٤٠ - سار تركي رحمه الله بجنوده من منفوحة، ونازل أهل الرياض وفيه العساكر المصرية، وحصل بينهم وقائع عديدة ... إلى أن قال : ثم إنه أقبل فيصل الدويش بجميع عربانه ؛ فزعاً لأهل الرياض؛ فرحل تركي ونزل بجنوده بلد عرقة، وأقام الدويش عند أهل الرياض أياماً ثم رحل عنهم، فرجع إليهم تركي بجنود المسلمين، وحاصره أشد الحصار) (١).

عنزة يأخذون قافلة لأهل نجد سنة ١٢٤٠هـ :

وذلك أن عنزة صادفوا قافلة كبيرة قادمة من البصرة والزبير لأهل سدير والوشم والقصيم والزلفي والعارض وغيرهم (ورئيس القافلة علي آل حمد من أهل الزلفي، ومع القافلة أموال عظيمة وبضائع)، فاعترضتها عنزة بقيادة مشعان بن مغيلث بن هذال على جراب الموضع المعروف شرق الزلفي .. وبعد قتال شديد أسرت عنزة رئيس القافلة بعد أن أعطاه ابن هذال الأمان، ثم نادى ابن هذال على أهل القافلة: إنه سوف يقتل رئيسهم إن حاربوا دون القافلة .. قال ابن بشر: (وأخذ مشعان ومن معه القافلة ، وأقبل أهلها يمشون حفاة على أرجلهم مسلويين أموالهم وركابهم وسلاحهم ولباسهم؛ فلم يلبث بعدها مشعان إلا نحو خمسين يوماً حتى قتل) (٢).

ويقول الدكتور عبدالرحيم معلقاً على هذا الحدث والحدث الذي قبله : (ويبدو أن محمد علي كان وراء هذه الأعمال المضادة لحكم تركي ؛ حيث أن مشعان هذا كان من بين مشايخ العرب الذين عمل محمد علي على استمالتهم ... إلخ) (٣).

(١) عنوان المجلد ٣٤/٢ ، وتحفة المشتاق / حوادث السنة المذكورة .

(٢) عنوان المجلد ٣٨/٢ ، وص ٣٩ ، وتاريخ الفاخري، ص ١٦٢ ، وتحفة المشتاق/ حوادث السنة المذكورة.

(٣) من تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث ص ٢٤٨ .

أقول: وإذا صح ما ذهب إليه الدكتور عبدالرحيم : فإن هذا الموقف يدخل ضمن المواقف الكثيرة التي وقف فيها شيخ عنزة ضد آل سعود ، وقد لاحظ ذلك كثير من المؤرخين .. منهم لويس بلي (١٨٢٥ - ١٨٩٥م) الذي ذكر أن الحُكم السعودي : (غالباً ما يكون على علاقات غير ودية مع قبيلة عنزة)^(١) . ولكنه يقصد الدولة السعودية في عهدها الأول والثاني بالطبع .

وقعة الشماسية بين عنزة ومطير ومقتل ابن هذال سنة ١٢٤٠هـ :

ذكر ابن بشر ما ملخصه : إنه بعدما أخذ مشعان بن هذال القافلة تزوج بنت أحمد السديري في بلد الغاط ، وأقام فيه نحو شهر ، ثم خرج منه وتوجه إلى عربانه من عنزة - وهم إذ ذاك على بلد الشماسية المعروفة من بلدان القصيم - ، وقدم عليهم ، فلما كان بعد أيام أقبل عليهم فيصل بن وطبان الدويش بمن معه من عربان مطير ومعه غانم بن مضيّان وأتباعه من حرب (ومعهم عدد من العسكر) ، وحصل بين الفريقين قتال شديد ، وصارت الهزيمة على الدويش ومن معه من العسكر وحرب ، وقتل من الفريقين عدد كثير ، وقتل مشعان في هذه الوقعة .. قتله فارس من الترك^(٢) .

أقول : ولكن التساؤل هنا هو : كيف يكون قتله أحد العساكر مع العلم بأن العلاقة بين ابن هذال ومحمد علي كانت جيدة كما تشير المصادر التاريخية التي مرت ؟! .. أما الذي أشك فيه أكثر فهو ما يذكره بعض الرواة المتأخرون من أن العسكري التركي كان هارباً وبندقيته موجهة إلى الخلف ؛ فثارت بدون تصويب ، فقتلت شيخ عنزة .. أعتقد أن هذه واحدة من عدة خرافات نقلها

(١) رحلة إلى الرياض ص ١٠٧ .

(٢) عنوان المجد ٣٩/٢ ، وتاريخ الفاخري ، ص ١٦٢ ، ومعجم بلدان القصيم رسم الشماسية .

الشيخ العبودي بدون تثبيت ، ونقلها عنه من يطرب لمثل هذه الأخبار ^(١) .

وقعة على بني خالد سنة ١٢٤٢هـ :

قال ابن بشر : (وفيها بعث الإمام تركي ابن عمه مشاري بن عبدالرحمن آل سعود بغزو أهل العارض والمحمل وسدير ، فأغاروا على آل عبيد الله من بني خالد وهم في حفر العتك ^(٢) المعروف ، وأخذ المسلمون كثيراً من أغنامهم وأثاثهم ، وجرح مشاري جرحاً بليغاً ؛ لأنه باشر القتال) ^(٣) .

وقعة على الدواسر سنة ١٢٤٣هـ :

قال ابن بشر : (وفيها أغار الإمام تركي - بن عبدالله - على آل حسن من الدواسر في أرض الخرج ، فأخذهم) .. كما يذكر ابن بشر أيضاً أن الإمام تركياً قد أغار على بعض بوادي الدواسر قبل ذلك في إقليم الوشم وصالحوه ^(٤) .
أقول : لعل القارئ يلاحظ قلة أخبار الدواسر في هذه الحوادث ، وليس ذلك نتيجة لخمول تلك القبيلة النجدية القوية ، ولكن لأن هذه الحوادث تتعلق بحركة البوادي (خاصة في وسط نجد) بينما غلب التحضر على قبيلة الدواسر التي استقرت في حواضر نجد الرئيسية وبخاصة في القرن الثالث عشر الهجري

(١) معجم بلاد القصيم ١٢٧٦/٣ - ١٢٧٧ .. قال أبو عبدالرحمن : القصة محتملة ، ولم يسقطها الكاتب الفاضل ببرهان .. ونص ابن بشر المذكور آنفاً صريح في الدلالة على أن مع خصوم مشعان عدد من العسكر - ويراد بهم الترك - .. والمسألة للجنود الأتراك مسألة غنم وابتزاز سواء أكان الطرف الآخر في يوم ما موالياً أم معادياً [الدرعية] .

(٢) حفر العتك : يسمى في السابق حفر سعد ثم حفر سُبَيْع ، ويبعد عن الرياض شمالاً حوالي مائة وخمسين كيلاً (معجم اليمامة لابن خميس ١/٣٣٤) .

(٣) عنوان المجد ٥١/٢ .

(٤) عنوان المجد ٥٩/٢ .

الذي هو مجال هذا البحث .. وقد كان لقبيلة الدواسر مشاركات وحوادث بالغة الأهمية في مقاومة القوات المصرية، وفي المواقف الصادقة مع زعماء الدولة السعودية في عهدها الأول والثاني، ولكن تلك المواقف تدخل ضمن أخبار الحواضر النجدية التي لا تندرج في موضوع هذا البحث .

من أخبار العجمان سنة ١٢٤٣هـ :

قال ابن بشر : (وفيها سار تركي بجنود المسلمين ^(١) ، وأغار على بوادي العجمان وهم عند بيان ^(٢) المعروف فأخذهم) ^(٣) .

من أخبار مطير سنة ١٢٤٣هـ :

قال ابن بشر : (وفيها سار تركي بجيوشه المنصورة ، والخيل العتاق المشهورة من جميع رعاياه من العربان، وقصد جهة الشمال، وأغار على السوقي وعربانه من الملاعبة من مطير (وهم في أرض الصمان)، فأخذ أوباشهم ^(٤) ؛ فلما حازها أتاها مدد من حولهم من مطير وغيرهم من بني خالد ؛ فأمر المسلمين ، وحَقُّوا بالغنيمة من كل جانب ، فقاتلوهم دونها بالرصاص والسيف حتى ردوهم على أعقابهم خائبين ، ورجعوا مسرورين غافين) ^(٥) .

(١) ليس مقصود ابن بشر أن غيرهم ليسوا مسلمين ، وإنما هذه تسمية أطلقها المؤرخون النجديون ، وغلبت على الأئمة السعوديين وأتباعهم .. قال أبو عبد الرحمن : يعني أن ابن بشر ذكر أهل دولة التوحيد بوصفهم الحقيقي - وهو الإسلام - ، ولم يرد التعريض بغيرهم بأنه غير مسلم [الدرعية] .
(٢) بَيَّان أو بَنِيان : موضع قديم باليمامة ، وهو الآن قرية تقع إلى الشمال من مدينة الرياض ، وتبعد عنها حوالي (٥٠) كيلاً (انظر معجم اليمامة ١/١٧٩ وما بعدها) .

(٣) عنوان المجد ٦٣/٢ .

(٤) هكذا في الأصل ، ولعل المقصود : أدياشهم .

(٥) عنوان المجد ٦٤/٢ .

آل كثير يأخذون قافلة سنة ١٢٤٣هـ :

قال ابن بشر أيضاً: (وفيها أخذ هادي بن مذود رئيس آل كثير الحُدرة، فقتل قبل انقضاء السنة)^(١)، وعند الفاخري : (وفيها أخذ ابن بكر الحُدرة)^(٢)، وعند ابن بشر في نسخة مكتبة الرياض: (قافلة لأهل نجد)^(٣).. والحُدرة هي القافلة .

قبائل العارض وما حوله يهايعون الإمام تركياً سنة ١٢٤٣هـ :

قال ابن بشر أيضاً : (وفيها وفد رؤساء العربان من سبيع والسهول والعجمان ومطير وقحطان وغيرهم على تركي رحمه الله ، فأرسل معهم عمالاً يقبضون منهم الزكاة)^(٤) .

أقول : ولا شك أن المقصود ليس كل بطون القبائل المذكورة ، وإنما هو من إطلاق الكل على البعض في مثل هذه الأخبار ، والدليل موقف جماعة فheid الصيفي من سبيع في وقعة السبية التي ستأتي .

فيصل بن تركي يغير على الصقور من عترة سنة ١٢٤٤هـ :

قال ابن بشر أيضاً : (وفيها سار الإمام تركي من بلد الرياض وركب معه ابنه فيصل ، واستنفر جميع رعيته من الجنوب والوشم وغيره ، وقصد جهة الوشم ، ووافق في بلدان الوشم وباء من الضرب المعروف أبو زويعه ، واستلحق غزوهم ، فلما جاوز الضلع المعروف ، وهبط في وادي المجمة : وقع في قومه

(١) عنوان المجد ٦٤/٢ .

(٢) تاريخ الفاخري ص ١٦٧ .

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر / مكتبة الرياض الحديثة سنة الطبع بدون ٢٢/٢ .

(٤) عنوان المجد ٦٤/٢ .

شيئ من هذا المرض ، فمات منهم عدد كثير فيما بين الجمعة والحمادة نحو سبعين رجلاً .. منهم سلطان بن عبدالله رئيس بلد ثرمداء ، وفواز أبو شوريات رئيس البرزان من مطير وولده ، وبتال المطيري رئيس الجيوش في عمان ... إلى أن يقول : (ثم إنه - أي الإمام تركي - أمرَ على ابنه فيصل ، فركب في نحو مئتي مطية ، وأغار على عريان من الصقور من عنزة (وهم على ماء قرب الدهناء) ، فأذروا عنه ، وهربوا ، فرجع قافلاً^(١) .

شريف مكة وعساكر محمد علي بهاجمون عتيبة على الدفينة سنة ١٢٤٥هـ:

يفيد خطاب مرسل من محمد بن عون شريف مكة إلى محمد علي : أن الشريف خرج على رأس قوة كبيرة من عساكر الحجاز ، وقد قاموا بغزو قبائل عتيبة لأخذ الزكاة منهم ؛ حيث امتنعت تلك القبائل عن دفع الزكاة لممثلي الشريف بحجة أنهم تابعون للحكومة نجد وزعيمها الإمام تركي بن عبدالله بن سعود ، حيث يقول الشريف في رسالته : (ولما رأينا فيهم مَيْلاً عظيماً وانقياداً قلبياً إلى تركي بن سعود ، وكنا نعلم يقيناً أن تأديب عريان عتيبة أمر يوافق رغبتكم السامية : اخترنا خمسمئة فارس من عبيدكم فرسان الأدلاء ورماة البنادق والهوارية الموجودين بمكة المكرمة ، وقمنا معهم ومع الأشراف والموظفين المسجلين في دفتر خزينتكم السنية ؛ فغادرنا مكة المكرمة يوم الجمعة الموافق ١٣ رجب المبارك ، وأطلقنا عنان السفر قاصدين تأديب العريان من قبائل عتيبة المقيمين بجهة نجد ، ثم مررنا من جهة المضيق وسرنا بسرعة ، وقد كان الشريف هزاع أخو مخلصكم قام من الطائف ومعه أشراف الطائف وعربانه ، فوصلنا أنا

(١) عنوان المجد ٦٦/٢ ، وتاريخ الفاخري ، ص ١٦٧ .

وأخي في خمسة أيام إلى المحل الذي يقال له مَرَّان «ويقع جهة الشرق»، وقمنا من هناك مع عبيدكم الجنود والأشراف وغيرهم مستعينين بالله، فوصلنا في اليوم العاشر إلى المحل الذي يقال له الدفينة ، ويقع بأعالي نجد ... إلخ) .
ثم يذكر بعد ذلك أنهم تقاتلوا مع البقوم ، ثم مع عتيبة الذين لم يؤدوا الزكاة ، واستولوا على بعض ممتلكاتهم، وقتل منهم بضعة أشخاص .. وبعد ذلك وفد على الشريف وأتباعه بعض مشايخ مطير وعتيبة وحرب، وطلبوا الأمان^(١).

وقعة بين بني خالد وأهل حَرْمَة سنة ١٢٤٥هـ :

وخلاصة ما تذكره المصادر أن بني خالد بقيادة طلال بن برغش آل حميد خرجوا من الأحساء، وقصدوا سدير، فأغاروا على بلد حرمة ، وأخذوا أغنامهم، وقتلوا من أهل حرمة حوالي تسعة^(٢) رجال .. ويقول المؤرخون : إن هذه الغزوة هي آخر مجد آل حميد ؛ حيث دارت عليهم الدوائر ، ولم يمتنعوا بسيطرتهم على الأحساء إلا قليلاً كما سيأتي^(٣) .

وقعة السبئية المشهورة على بني خالد سنة ١٢٤٥هـ :

وخلاصة خبر هذه المعركة أن بني خالد بقيادة ماجد ابن عريعر شيخ الأحساء والقطيف وأخاه محمداً خرجوا من الأحساء لمحاربة الإمام تركي بن

(١) انظر كتاب : من وثائق الدولة السعودية الأولى في عهد محمد علي ، تأليف الدكتور عبدالرحيم ، طبعة سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار الكتاب الجامعي / القاهرة / مجلد ١ ، ص ٨٥ - ٨٨ .
(٢) هكذا في نسخة مكتبة الرياض ٣٥/٢ ، وفي نسخة المكتبة السلفية بمكة ٣٥/٢ : ستة رجال .
(٣) عنوان المجلد ٧٠/٢ ، وتاريخ الفاخري ، ص ١٦٨ ، وتحفة المشتاق ، وتاريخ بعض الحوادث في نجد / حوادث السنة المذكورة .

عبدالله ؛ فسار ابن عريعر بأتباعه حتى نزل على الخفيسة (وهي موضع بين الصمان والدنهاء) ، وأخذ يكاتب شيوخ العربان ، فاجتمع إليه كل من : ضويحي الفغم شيخ الصهبة من مطير بعربانه ، وفهيد بن مبارك الصييفي من شيوخ سبيع بعربانه ، ومزيد بن مهلهل بن هذال من شيوخ عنزة بعربانه ، ومطلق بن نخيلان من رؤساء بني حسين وعربانه ، وفدغم بن لامي من شيوخ مطير، وفراج بن شبلان من كبار مطير وغيرهم .. ثم سار إليهم فيصل بن تركي بجنود من الحاضرة، والبادية.. وقد كان معه من رؤساء القبائل محمد بن هادي بن قرملة وأتباعه من قحطان، وعساف أبو اثنين وأتباعه من سبيع، وسلطان بن قويد وأتباعه من الدواسر، ومطلق المصخ وأتباعه من عربان سبيع، وضويحي بن خزيم بن لحيان وأتباعه من السهول، ووغيدان وأتباعه من آل شامر والعجمان .. وقد تناوخ الفريقان عدة أيام ، وبادرت المنية ماجد ابن عريعر ، فتوفي أثناء ذلك المناخ؛ فاشتد الأمر على أتباعه، وقوى الله أتباع فيصل بن تركي، ثم قدم الإمام تركي بمزيد من الجنود ومعه حشر بن وريك رئيس آل عاصم من قحطان بأتباعه، والتقى الطرفان في آخر رمضان.. وبعد مقاتلات شديدة ووقائع عظيمة: دارت الدائرة على بني خالد وأتباعهم من البوادي ، وقتل منهم خلائق كثيرة ، كما قتل كثير من أتباع الإمام تركي (ومنهم مطلق المصخ من شيوخ سبيع)، وغنم الإمام تركي ومن معه من الأموال والإبل والأغنام شيئاً كثيراً .

وبعدها سار الإمام تركي بجنوده إلى الأحساء ، ودخلها ، وبايعه أهلها ، وقبض على محمد ابن عريعر شيخ بني خالد وعامله معاملة كريمة ، وأرسل

بعض سراياه لملاحقة بعض عربان بني خالد الذين خرجوا من الأحساء مع طلال بن ^(١) برغش بن حميد ^(٢) من كبار بني خالد ^(٣) .

وقد ذكر ابن بشر أنها سميت السبيّة لكثرة السبي والغنائم ، ونقل عنه كثيرون .. غير أنه ينبغي التنبيه إلى أن هذا الاسم قديم ، وقد ذكره ذو الرمة المضري النجدي (٧١ - ١١٧هـ) في شعره حيث يقول :

وقد جعلوا السبيّة عن يمينٍ مقاد المهر وانتجعوا الرمالا ^(٤)

ووجدت في ديوان ابن شيحان السبيعي ما يلي : (السبيّة موقعة بين سبيع وابن عريعر علم بها العماني - من شيوخ سبيع - ، وحضر بجيشه من وديان سبيع ، وكان النصر لهم - أي لسبيع - بتلك المعركة، وقال شاعر سبيع ضويحي بن دغيم :

يوم حنّا نوينا بالرحيل وقفت من قبايلنا العلام
فازعين لهم فزعة شليل كلها للرفاقة واليمام

(١) جرى الرسم الإملائي على كتابة «ابن» بالألف - وإن كان الأصل أنها بدون ألف - إذا كانت أول السطر .. وحيث أن تعدد التجارب يجعل ما كان أول السطر وسطه ؛ فتبقى الألف ملبسة ؛ لهذا كان الراجع إسقاطها أول السطر ، لأن مراعاة أمن اللبس من أهم أصول الرسم الإملائي [الدرعية] .

(٢) في نسخة الدارة من عنوان المجد : برغش بن حميد .. بينما في بقية النسخ ؛ طلال بن برغش بن حميد .. وربما يكون اسم طلال سقط سهواً من تلك النسخة أثناء التحقيق .

(٣) عنوان المجد ، ٢ / ٧١ وما بعدها ، وتاريخ الفاخري ، ص ١٦٨ ، وتاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، وتاريخ ابن ضويان (وسماها مناخ العرمة) .

(٤) قال الشيخ حمد الجاسر في معجم المنطقة الشرقية ٨٣١/٢ - ٨٣٣ : «والسبيّة رملّة مرتفعة (عدامة) واقعة على مقربة من حوزاً بينهما نحو عشرة أكيال ، وهي في الجنوب الغربي من معقلّة شرقي دحل فتّاح، وتلبّ بها من الشرق جبل الحفق ورياض العوسجيات ورمّلها امتداد لرمّل الدهناء .. ويقربها أرضٌ مستوية رملية وروضة واسعة .

... إلخ القصيدة^(١) .

أقول : ولا شك أن هذا من آفة رواية العوام حيث ينسبون لقبائلهم الوقائع التي يشتركون فيها إلى جانب غيرهم^(٢) ، ومن ذلك مثلاً ما اشتهر عند رواة عنزة من أنهم قتلوا زعماء مطير سنة ١٢٠٥ هـ ثاراً لمقتل شيوخ عنزة في وقعة كير سنة ١١٩٥ هـ .. والواقع أن زعماء مطير المذكورين (وعلى رأسهم حصان إبليس) قتلوا في وقعة العدو بين الإمام سعود وقبائل مطير وشمر التي اشترك فيها بعض قبائل عنزة إلى جانب القوات النجدية .. أما ما يتعلق بوقعة السبيّة فإن البيت الثاني من القصيدة يوضح أن سبيعاً اشتركوا نصرة لرفاقهم وإمامهم ، ولأن الوقعة ليست خاصة بسبيع .

وقعة على سبيع سنة ١٢٤٦ هـ :

وذلك أن الإمام تركياً وأتباعه من أهل وادي الدواسر والجنوب والأحساء وسدير والوشم والقصيم وجبل شمر وعربانهم : صادف بعض عربان سبيع (وكان رئيسهم فهد بن مبارك الصيّفي ، ومعهم أخلاط من بني حسين ، وغيرهم)

== ويقرب السبيّة حدثت وقعة مشهورة بين الإمام تركي بن عبدالله وبين بني خالد في شهر رمضان سنة ١٢٤٥ هـ ذكرها ابن بشر في «عنوان المجد» وغيره .

ولكن ابن بشر قال عنها : (سميت السبيّة لكثرة ما سُبِي فيها من الحلبي والحللي والأثاث والأغنام والإبل) .. انتهى والصواب أنها سميت لوقوعها في هذا المكان ، وملخصها أن محمد بن عريعر جمع بني خالد وأتباعهم وسار بهم إلى نجد لمحاربة الإمام تركي ، فنزلوا حُفَيْسَةَ المهجري فسار فيصل بن تركي بأمر أبيه ومعه أهل نجد من بادية وحضر حتى نزل بهم بين معقلة مورد قوم ابن عريعر ، وبينهم .. ثم لحق بهم الإمام تركي فحدثت الوقعة في ٢٧ رمضان فانهزم قوم ابن عريعر ، شُرُّ هزيمة ، وكانت هذه الوقعة توطئة لفتح الأحساء .

(١) ديوان ابن شيخان ، ص ١٢٦ / الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .

(٢) قال أبو عبدالرحمن : هاهنا من ابن شيخان .. أما الشاعر فقد نص في شعره على أنه جاء لنصرة الإمام ، وليس مستقلاً بقومه في الحرب .. وهذا ما سيبينه الكاتب فيما بعد .

بين حفر الباطن والوقباء ^(١) فأخذهم ، لكنه عفا عنهم بعد أن طلبوا العفو ، وأعاد لهم ما أخذه منهم ؛ لأنهم أدّعوا أن لهم عنده عهد ^(٢) .

أقول : وقد مر معنا أن فهيد الصييفي وأتباعه من سبيع ، وكذلك مطلق بن نخيلان وأتباعه من بني حسين : كانوا في المعسكر المقابل للإمام تركي وابنه فيصل في وقعة السبية التي سبقت هذه الحادثة ؛ فهل يكونون بايعوه بعدها ، أو شفع لهم بعض رؤساء سبيع الآخرون ؟ .

بعض شيوخ عنزة يفدون على الإمام تركي سنة ١٢٤٦هـ :

كما يذكر ابن بشر أن الإمام تركياً بعد غزوته السابقة على سبيع وبني حسين نزل بغزوانه على الدجاني المعروف قرب سدير بطرف الدهناء ، ووفد عليه رؤساء عنزة وبايعوه ^(٣) .

من أخبار مطير سنة ١٢٤٦هـ :

وخلاصة هذا الخبر الذي نوره ، لعلاقته بمطير وعنزة : أن مشاري بن

(١) الوقباء : لم يرد لها تحديد في حواشي تاريخ ابن بشر .. غير أن الشيخ العبودي حددها - استناداً علي ما ذكره لغدة الأصبهاني - بأنها مائة قريبة من الينسوعة .. والينسوعة هي التي تسمى الآن بركة الأجردي التابعة لمركز قبة (معجم بلاد القصيم ١٩٢٢/٥م) .. كما ذكر سعد بن جنيديل أنها مائة عظيمة تقع عند ملتقى الحدود العراقية بحدود المملكة (مجلة العرب ٨٤/٦) .. قال أبو عبد الرحمن : وهذه هي التي يدل عليها سياق الحدث [الدرعية] .

(٢) عنوان المجد / حوادث السنة المذكورة .. ملاحظة : أحياناً تعتمد عدم ذكر الصفحة ، ونكتفي بذكر سنة الحادثة ، وذلك لتعدد النسخ المطبوعة لتاريخ ابن بشر ووجود اختلافات طفيفة في النصوص أحياناً .. ناهيك عن اختلاف رقم الصفحة في كل نسخة مختلفة الناشر .. قال أبو عبد الرحمن : الصواب «عهداً» [الدرعية] .

(٣) عنوان المجد (نسخة الدارة) ٧٧/٢ .

عبدالرحمن عم الإمام تركي خرج من الرياض مغاضباً عمه تركياً ؛ فذهب إلى مطير ، واستنصر بمنديل بن غنيمة رئيس الملاعبة (وكان نازلاً بعربانه في المستوي) ^(١) فلم ينصروه ، وذلك مراعاة للإمام تركي ؛ فذهب وتركهم ؛ فسار إلى بعض عربان عنزة ، فلم يقوموا معه ، فقصده مكة ، ثم رجع منها وتصلح مع خاله تركي الذي عفا عنه وأكرمه ^(٢) .

يوم عروى بين عنزة ومطير سنة ١٢٤٦هـ :

أشار إلى هذا الخبر باختصار شديد المؤرخ الشيخ محمد بن مانع في مذكراته ، فقال : (يوم عروى من أيام عربان نجد ، وهو بين قبيلة عنزة وقبيلة مطير ، وقد تصابر الفريقان ، وتجادل الشجعان أربعين يوماً ، وذلك في حدود سنة ١٢٤٦هـ) ^(٣) .

أقول : وعروى هذه لها شهرة في أيام العرب المتأخرين ، ومن أشهر أيامها يوم عروى بين محمد ابن رشيد وعتيبة سنة ١٣٠٠هـ .

وقعة بين فيصل بن تركي وعتيبة سنة ١٢٤٧هـ :

وخلاصة ما تذكره المصادر: أن فيصل بن تركي سار في شهر صفر، وخرج بجنوده من أهل العارض والجنوب وسدير والوشم، وانضم إليه بعض بوادي سبيع

(١) هكذا في نسخة الدارة ، أما في نسخة مكتبة الرياض الحديثة فهي : (في نفود السر) .. ولعله لا تعارض في ذلك لتداخل المنطقتين .

(٢) انظر عنوان المجد / حوادث السنة المذكورة ، وتحفة المشتاق .. إلا أن الأخير يذكر أنه توجه إلى عربان عنزة وليس إلى مطير .. ولا تعارض في ذلك ؛ لأنه توجه إلى عنزة بعد أن لقي عدم الاستجابة من مطير.

(٣) مذكرات تاريخية كتبها الشيخ محمد ابن مانع (١٣٠٠ - ١٣٨٥هـ) ، ونشرت بمجلة العرب ج ٣ ، و٤ س ١٦ ١٤٠١هـ ص ١٨١ .

والسهول والعجمان وبني حسين، وقصدت هذه الجموع عالية نجد، فأغاروا على الروقة من عتيبة (وهم على طلال الماء المعروف في عالية نجد، وشيخهم سلطان بن ربيعان)، وحصل قتال شديد، وكادت الهزيمة أن تقع على بوادي عتيبة، لكنهم استصرخوا من حولهم من بوادي الحجاز؛ فأقبلت عليهم مطير جماعة الشيخ ابن بصيص شيخ بُرَيْه وعضدوهم، فكَرَّتْ جموع عتيبة ومطير على قوات الإمام فيصل المنشغلين بجمع الغنائم، فحصلت عليهم هزيمة وانتصرت بوادي عتيبة ومطير^(١).

من أخبار الظفير والعجمان سنة ١٢٤٧ هـ :

ذكر ابن بشر في حوادث سنة ١٢٤٧ هـ أن الإمام تركياً سار بغزوانه ، ونزل الرمحية الماء المعروف بالعرمة ، وورد عليه كثير من أعيان العربان من أهل الشمال وغيرهم مبايعين .. وممن وفد عليه رؤساء الظفير .. يقول ابن بشر : (فكلهم سمعوا وأطاعوا ، وأدوا الزكاة إليه سوى العجمان ؛ فإنه بلغه أنهم امتنعوا، فرحل من موضعه ذلك ، وعدا عليهم ، فلما وصل أبا الجفان^(٢) الماء المعروف بلغه أنهم دفعوها إلى عماله ؛ فقفل راجعاً إلى وطنه ، وأذن لغزوانه يرجعون إلى أوطانهم)^(٣) .

غزوة على العجمان وآل مرة سنة ١٢٤٨ هـ :

قال ابن بشر : (وفيها سار الإمام تركي بجنود المسلمين ، وعدا على

(١) عنوان المجد ٢/ص ٧٩ ، وتحفة المشتاق / حوادث السنة المذكورة ، وتاريخ الفاخري ، ص ١٧٠ ، وتاريخ نجد في عصور العامة ١/١٦١ .

(٢) أبا الجفان : من أودية العرمة الجنوبية ، وبه موارد مائية بهذا الاسم .. تقع على الطريق القديم بين الأحساء والعارض ، وهو من مناهل قبيلة الدواسر (معجم اليمامة ١/٥٦) .

(٣) عنوان المجد (نسخة مكتبة الرياض الحديثة) سنة الطبع بدون ٢/٤٢ ، و(نسخة الدارة) ٢/٨٥ مع اختلاف طفيف بالنص .

فلاح ابن ^(١) حثلين وعربانه من العجمان (ومعهم أخلاط من العربان ، وهم على أم ريبة الماء المعروف في ديرة بني خالد) ، فسبقه النذير إليهم فانهزموا ، فنزل الإمام تركي بجنود المسلمين على أم ريبة ، فلما استقر بها أتى إليه المرضف وأتباعه من آل مرة فصالحوه ، فلما علم بذلك ابن حثلين دخله الرعب وأتى إلى تركي بلا ذمة ولا عهد ، فقيدّه في الحديد سبعة أيام ثم أرسله إلى الرياض ^(٢).

وأخرى على بعض بوادي عنزة سنة ١٢٨هـ :

يقول ابن بشر أيضاً : (وفيها أمر الإمام تركي على ابنه فيصل أن يسير بجنود المسلمين غزاة ، فسار بهم ، وعدا على ابن عشة وأتباعه من عنزة (وهم في الدهناء) ، فسبقه النذير إليهم ، فهربوا ، فرجع ونزل الجمعة) ^(٣).

وفاة فيصل الدويش سنة ١٢٤٨هـ :

قال ابن بشر: (وفيها مات فيصل بن وطبان الدويش رئيس بوادي مطير ^(٤)، وتولى مكانه ابنه محمد المكثي أبو عمر) ^(٥).

(١) قال أبو عبد الرحمن : ثبت ألف «ابن» إذا كانت ابن بين علمين غير مباشرين ، بل بينهما أب أو أكثر .. وهذه قاعدة سها عنها المعاصرون ، ونص عليها القدماء كما في درة الغواص [الدرعية] .
(٢) عنوان المجد ٨٥/٢ .

(٣) عنوان المجد / نسخة مكتبة الرياض الحديثة ٤٢/٢ .

(٤) هكذا ورد في نسخة مكتبة الرياض الحديثة .. وفي نسخة الدارة : رئيس كافة مطير .. وأظن أن العبارة الأخيرة غير دقيقة ، وربما تكون اجتهداً من الناسخ ؛ وذلك أنه ابتداء من دخول قوات محمد علي باشا إلى الجزيرة لم يعد هناك شيخ يكف قبيلته ، وإنما تم تقسيم القبائل إلى مشيخات متعددة كما أسلفنا ، غير أن هذا لا ينفي المكانة الكبيرة للشيخ فيصل الدويش ، وأنه أكبر شيوخ مطير .. قال أبو عبد الرحمن : حبذا أن يحقق الباحث هذه الدعوى تدليلاً وتعليلاً ؛ فالأمر غير مسلم بمجرد هذه الدعوى دون براهين وأمثلة [الدرعية] .

(٥) عنوان المجد / حوادث السنة المذكورة .

أقول : والمقصود فيصل بن وطبان الدويش أشهر شيوخ مطير ، وقد مرت معنا له أخبار كثيرة .

مناخ المربع بين قبائل نجد سنة ١٢٤٩هـ :

وهذا المناخ من أغرب المناخات القبلية ، وأكثرها غوغائية وبشاعة .. انقسمت القبائل فيه على نفسها ، فصارت القبيلة الواحدة قسمين متحاربين ، بل انقسم البطن الواحد كذلك كما سنرى .

وقبل الدخول في تفاصيل هذه المعركة لابد من الإشارة إلى ظروفها ومسبباتها؛ فهذه المعركة كانت مهياة للوقوع في أية لحظة في تلك الظروف التي أفرزها الغزو الخارجي لنجد، وما أحدثه سقوط الدرعية من فوضى سياسية وضغائن وأحقاد وقتن عمت بلدان نجد وقبائلها، فالمعروف أن إبراهيم باشا وعساكره قبل رحيلهم من نجد قتلوا كثيراً من زعماء القبائل أو أخذوهم إلى مصر، فاتهمت القبائل بعضها بعضاً بملاأة العساكر، وقد نجح العساكر في إشعال نار الفتنة ؛ فكان من نتائجها تلك المعركة ، وكان ذلك أحد أهم أسباب ذلك المناخ .

أما الإمام تركي أثناء تلك الواقعة فقد كان مشغولاً بإرساء دعائم ملكه؛ فكان يصارع الأعداء في الجنوب والشرق ، ويحصن مملكته ، ولم يكن قد أخضع تلك القبائل نهائياً ، بل إنه كان مشغولاً على وجه الخصوص بمسألة مشاري بن عبدالرحمن، وبمسألة الأحساء التي كان يعد لها جيشاً بقيادة ابنه فيصل كما يقول ابن بشر .

أما أخبار المعركة فتتلخص في أن محمد بن فيصل بن وطبان الدويش وأخاه الحميدي حشدوا أتباعهما من مطير (ومعهم بنو سالم من حرب رئيسهم

ذياب بن غانم بن مضيان^(١) ، وعتيبة ورئيسهم سلطان بن ربيعان ، والدهامشة من عنزة ورئيسهم غازي بن ضبيّان ، وبعض آل حبلان من عنزة برئاسة مزيد بن مهلهل بن هذال .. هؤلاء أتباع مطير) ، و نزلوا على عين الصوينع جنوب بلد المذنب في القصيم .. أما الطرف الآخر فكان قبائل عنزة برئاسة زيد بن مغيلث ابن هذال (ومعه قسم من آل حبلان ، وقاعد بن مجلاد وأتباعه من الدهامشة ، والغضاورة من ولد سليمان ، وابن وضيحان وأتباعه من الصقور من عنزة ، وصحن الدريعي بن شعلان وأتباعه من الرولة .. هؤلاء قبائل عنزة ومعهم محسن بن فرز الفرم وأتباعه من بني علي من حرب ، وحسين أبو شويربات وأتباعه من البرزان من مطير ، وعدوان بن طوالة وأتباعه من شمر .. هؤلاء أتباع عنزة) ، ونزلوا على الثليما من عيون بلدة المذنب الجنوبية .

وقد أقاموا في مناخهم ذلك نحو أربعين يوماً حتى هزلت مواشيهم وغلا عندهم الزاد ، وكان طراد الفرسان والقتل على أشده بين الفريقين طيلة تلك المدة، ثم إنه سار أربعمئة فارس مطوسين - عليهم لباس الحرب - من مطير وأتباعهم ، وحملوا على عنزة وأتباعهم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم دارت الدائرة على عنزة ، وتركوا محلهم وأغنامهم وشيئاً من إبلهم .. وكانوا قد هربوا إبلهم ليلاً لما أحسوا ببوادر الهزيمة^(٢) .

(١) هذا ما ذكره ابن بشر في حين أن أسرة آل مضيان لا يعرفون هذا الاسم ، وإنما الثابت أن أبناء غانم سبعة وهم : سيف وشاهر وشلاش وضيدان والبلهي ومناور وعبدالله ، ولكن هناك ذياب بن شلاش بن غانم ، وهو متأخر عن مناخ الربع .. كما أن الوثائق التي اطلعت عليها لم يرد فيها ذياب بن غانم بن مضيان .

(٢) عنوان المجد / حوادث السنة المذكورة ، وتاريخ ابن ضويان ، وتاريخ الفاخري ، وتاريخ مقبل الذكير ، وتاريخ بعض الحوادث / حوادث السنة المذكورة ، وانظر الأحوال السياسية في القصيم ص ٨١ .

وقُتِلَ في هذه المعركة من مشاهير مطير مطلق بن ضويحي الدويش وولده إسماعيل الدويش ، وقُتِلَ من عنزة عدّة قتلى كما يقول ابن بشر الذي يبدو أنه ينقل عن راو من مطير ! .

وقد ذكر هذا المناخ مقبل الذكير وقرن بينه وبين مناخ كير بين عنزة ومطير الذي حدث قبل مناخ المربع بخمسين عاماً ! .

أقول : ولا يستبعد أن الأسباب الحقيقية التي كانت وراء هذا القتال لا تخرج عن كون هذه الحروب من إفرازات عصر الفوضى الذي ساد بعد سقوط الدرعية كما أسلفنا ؛ حيث انغرسَتْ في تلك الفترة بذرة الأحقاد والثرات بين القبائل (خاصة خلال وجود عساكر محمد علي باشا في نجد خلال الفترة الواقعة بين سقوط الدولة السعودية الأولى في أول سنة ١٢٣٤هـ حتى انسحاب تلك القوات من الجزيرة العربية سنة ١٢٥٦هـ) .. وقد روى لي بعض كبار السن من قبيلة حرب مزيداً من التفاصيل عن هذا المناخ الشهير ، ومن ذلك أن قبيلتي حرب ومطير قد رتبوا أنفسهم على أن الدوشان يقابلون آل هذال شيوخ عنزة ، وعتيبة يقابلون آل مجلاد شيوخ الدهامشة من عنزة ، وحرب يقابلون آل شعلان شيوخ الرولة من عنزة .

ومن شيوخ حرب ومشاهيرهم الذين حضروا هذا المناخ (بالإضافة إلى من ذكرهم ابن بشر) ثواب بن نحيث شيخ مزينة ، وصامل بن مريخان من شيوخ الجملاء ، ومناع بن ناهض من النحايتة ، والبشرى .. وكل هؤلاء من بني سالم.

وأعتقد أن سبب انقسام حرب في هذا المناخ له علاقة بالخلاف الذي حصل

بين الشيخ غانم بن مضيان والشيخ الفرْم الذي لعبت فيه دسائس عساكر محمد علي باشا دوراً كبيراً ، ونجحوا بذلك في شق عصا حرب والتفريق بين أبناء العم .. ويبدو أنه لم يشترك أحد من مسرُوح في هذا المناخ ضد عنزة تعاطفاً مع الشيخ محسن الفرْم شيخ بني علي الذي كان مع عنزة .

وفي هذا المناخ يقول أحد شعراء حرب الذين حضروه (وهو محمد بن الفعير البشري) من قصيدة طويلة يخاطب الشيخ صَحَن بن الدريعي بن شعلان:
يا راکب من فوق زین الدلالِ مرّبع ما بين فردة والامّار
إلى أن يقول :

يا ذيب عيّد بالمرّبع ليالي
حد النفود وُحد ما اقبل به الطار
عيّد على صُم الرّمك والعيال
وخلّك عليهم يوم تبعثك الامطار
شفتوا وعفتوا يا صَحَن كل غالي
ودونك هلّ العليّا على غبرة الدار
هفّوا وقفّوا يَم عيّن الشمال
وعلمّ هلّ الخابور في كل ما صار

... إلخ^(١) .. وما تجب ملاحظته أيضاً أن ابن شعلان كان يتنقل مع قبائله في بلاد الشام وغرب العراق في عهد الدولة السعودية الأولى^(٢) ، لكنه

(١) رواية الشيخ درع بن سالم الحربي وغيره .

(٢) انظر رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام/ تحقيق الدكتور يوسف شلحد / المركز القومي الفرنسي للبحث العلمي/ باريس ، وانظر عن هذا المؤلف مجلة العرب ، ج ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٩٩٠ ، ص ١٥٢ - ١٦٨ ؛ فقد ذكر المؤلف أنه كان مع الدريعي بن شعلان وابنه صحن قرب دير الزور بالشام سنة ١٢٢٦هـ (ص ١٠) ، كما ذكر غارة سعود بن عبدالعزيز على الدريعي (ص ١١٤) وغيرها .

عاد إلى نجد مع عودة عنزة أتباع ابن هذال ، ثم عاد إلى الشمال بعد هذا المناخ الذي يعتبر من آخر مناخات عنزة في وسط نجد .

ومع أنني لا أميل كثيراً إلى الاعتماد على الرواية العامة .. إلا أنني أورد من الرواية ما يخلو من المبالغات ، ولا يتعارض مع مدلولات النصوص التاريخية المعاصرة للحدث كما هو الحال في هذا الخبر .

وقعة على بعض الدواسر سنة ١٢٥٠هـ :

قال ابن بشر : (وفيها سار الإمام فيصل بجنود المسلمين ومعه الشيخ إبراهيم بن سيف ، فأغار على فريق من الدواسر في أرض العرمة^(١) ، فأخذهم وقتل منهم عدة رجال)^(٢) .. ثم يذكر ابن بشر أن الإمام فيصلاً بعد هذه الغزوة ارتحل بغزوانه وقصده ناحية بلدة الشعراء ، وأقام عليها نحو أربعين يوماً ، وشن منها بعض الغزوات لإخضاع القبائل المناهضة له ، وقبض الزكاة منها .. وفي تلك الأثناء وفد عليه أهل وادي الدواسر وهو في منزله ذلك ، وطلبوا منه العفو والصفح عما جرى منهم ؛ فعفا عنهم ، وبأيعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، وأرسل معهم أميراً^(٣) .

من أخبار قحطان ومطير سنة ١٢٥٠هـ :

وقال أيضاً بعدما ذكر أن الإمام فيصلاً ارتحل ، ونزل الشعراء بعد الوقعة

(١) العَرْمَة : عارض جبلي مستطيل من الشمال إلى الجنوب بما يقارب ٣٠٠ كم طولاً و ٣٠ كم عرضاً في المتوسط، .. تقع إلى الشرق من عارض اليمامة ، وتمتد بمحاذاة الصمان والدهناء (معجم بلاد اليمامة ١٤٥/٢).

(٢) عنوان المجد نسخة / مكتبة الرياض الحديثة ٦٧ / ٢ .

(٣) عنوان المجد ٦٧/٢ .

السابقة: (فبلغه أن ابن الدجما وعربانه من قحطان قد هربوا من العُمَال^(١)، وامتنعوا من أداء الزكاة) ؛ فحشد بالمسلمين عليهم ، ودهمهم في مكانهم ذلك ، وقتل نحو ستين رجلاً، وغنم المسلمون كثيراً من أموالهم من الإبل والغنم والأثاث، ثم رجع إلى منزله في بلد الشعرا ، ووفد عليه رؤساء العربان : محمد بن فيصل الدويش، ومحمد بن هادي بن قرملة رئيس قحطان، وغيرهما^(٢) .

[وللحديث بقية]

(١) أي عُمَال الزكاة .

(٢) عنوان المجد ٦٧/٢ .

من أخبار القبائل في نجد

(١٢٠٠هـ - ١٣٠٠هـ)

[٣]

فائز بن موسى البدراني الحربي *

توطئة : إن الهدف من تتبع الأخبار المتعلقة بالقبائل النجدية خلال القرن الثالث عشر الهجري كما وردت في المصادر التاريخية ، هو دراسة حركة القبائل وتوجاتها ومواقفها السياسية في نجد دراسة أكثر واقعية من تلك التصورات أو الدراسات التي اعتمدت على الشعر العامي وعلى روايات المتأخرين من كبار السن التي لا تخلو في كثير من الأحيان من الأخطاء والمبالغات وتمجيد الذات بصورة واضحة.

كما أن هذه الدراسة لا تهدف إلى التشهير بالشخصيات أو القبائل الواردة في البحث أو انتقاد مواقفها المتباينة، حيث إن تلك المواقف حدثت في ظروف متقلبة وأحوال سياسية مضطربة وأملتها عوامل ومصالح ارتبطت بتلك الظروف ؛ مما يجعلنا نسجلها للعلم والدراسة بعد أن صارت جزءاً من تاريخ بلادنا، وتلك أمة قد خلت، وعفا الله عن الجميع .

ومما تجب الإشارة إليه أيضاً أن هذا البحث يتعلق بالقبائل البدوية التي تمارس الانتقال والترحال ولا يشمل أخبار القبائل المتحضرة المستقرة في الحواضر النجدية .

* بكالوريوس - علوم إدارية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٧هـ .

- ماجستير في إدارة المستشفيات - جامعة الملك سعود ، ١٤١٠هـ .

- دورة متقدمة - دبلوم - الثقافة الصحية - جامعة فرجينيا - أمريكا .

- يعمل الآن مديراً تنفيذياً في مركز الأمير سلطان لأمراض وجراحة القلب منذ سنة ١٤١٣هـ .

- له عدد من الإصدارات والمقالات والأبحاث الأدبية والتاريخية .

من أخبار عنزة في القصيم سنة ١٢٥١هـ :

يذكر ابن بشر في حوادث هذه السنة، أن الإمام فيصل سار بجنود المسلمين من العارض والخرج والفرع والأفلاج ووادي الدواسر والقصيم والجبل والوشم وسدير وغيرهم، وجميع غزوان العربان، فنزل روضة التنهات المعروفة عند الدهناء، وأقام فيها أكثر من شهرين، وذلك لامتناع بعض العربان عن أداء الزكاة، فلما سمعوا بخروجه، توافدوا عليه طائعين، فقبض منهم الزكاة .

وللأسف فإن ابن بشر لا يذكر أسماء تلك القبائل ؛ لكنه يذكر بعد ذلك أن الإمام أرسل خادمه خيرالله مملوك سعود إلى القصيم ومعه رجال، وأقام فيه، وسعى في قبض الزكاة من عربان عنزة وغيرهم^(١) .

أقول : ويستفاد من هذا الخبر تواجد بعض قبائل عنزة في منطقة القصيم .

عنزة يأخذون قافلة لأهل سدير سنة ١٢٥٢هـ :

قال ابن بشر : « وفي هذه السنة أعني سنة اثنين وخمسين في رمضان، أقبلت قافلة من الزبير لأهل سدير وغيرهم ، فلما كانوا قرب الدهناء رافقهم عربان السويلمات من عنزة، فأخذوا القافلة المذكورة »^(٢) .

وصول عساكر جديدة إلى نجد وموقف بعض القبائل سنة ١٢٥٢هـ :

تذكر المصادر التاريخية النجدية أنه مع دخول هذه السنة جاءت الأخبار إلى نجد بظهور قوة عسكرية من مصر بقيادة إسماعيل آغا وخالد بن سعود^(٣)، وهو من آل سعود المقيمين في مصر منذ ترحيل أعيان آل سعود إلى مصر بعد سقوط الدرعية، ويذكر ابن بشر

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد . تأليف : الشيخ عثمان بن بشر ؛ تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ - ط ٤ - الرياض : مطبوعات دائرة الملك عبدالعزيز ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الجزء الثاني، ص ١٣٨، وانظر: حوادث السنة المذكورة في النسخ الأخرى من تاريخ ابن بشر.

(٢) عنوان المجد، طبعة مكتبة الرياض الحديثة، ص ٧٩، وقد أوردها المؤلف ضمن أخبار سنة ١٢٥٣هـ.

(٣) هو : خالد بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود .

أنهم لما وصلوا إلى ينبع بلغ خبرهم الإمام فيصل، فأرسل إليهم محمد بن ناهض الحربي رئيس قصر بسام بهدية لهم، ويستفحص خبرهم، ثم إنهم ساروا إلى أن وصلوا الحناكية، فاستنفر الإمام أهل النواحي من رعيته من الأحساء والجنوب إلى ما يليه من البلدان إلى جبل شمر وما حوله من العربان، وركب من الرياض آخر شوال ونزل الخفيسية الماء المعروف عند الدهنا. ثم يذكر إنه سار إلى القصيم ونزل في رياض الخبراء ونزل العساكر في الرس. ثم انتهى الأمر برحيل الإمام فيصل راجعاً في بداية شهر ذي الحجة وقصد الرياض، وأذن لأهل النواحي بالرجوع إلى بلدانهم، ومنهم أهل الحرج وأهل الفرع^(١)، ومحمد بن هادي بن قرملة رئيس قحطان^(٢).

أقول : ومن أهم دلالات هذا الخبر، الإشارة إلى موقف عبدالله ابن رشيد ومن معه من شمر وكذلك موقف محمد بن هادي بن قرملة ومن معه من قحطان، حيث كانوا إلى جانب الإمام ضد عساكر محمد علي، وقد كان لهذا الموقف أثره في السنة التالية وما بعدها، حيث استولت القوات المصرية على البلاد النجدية ورحلت الإمام فيصل إلى مصر للمرة الثانية، وأما عبدالله ابن رشيد فقد اضطر إلى الاعتراف بالتبعية لمحمد علي فاحتفظ بإمارته على جبل شمر، وأما ابن هادي فانزوى إلى عمق بلاد قحطان وترك وسط نجد، كما سيأتي معنا.

بعض عربان سبيع وقحطان يهاجمون الرياض سنة ١٢٥٣هـ :

وذلك أن الإمام فيصل بن تركي بعد عودته من القصيم في آخر السنة السابقة خرج من الرياض وانتقل إلى الحرج ثم إلى الأحساء ثم عاد إلى الرياض وحاصر الرياض يريد إخراج العساكر الذين فيها مع خالد بن سعود وإسماعيل آغا، وأثناء ذلك الحصار جاءت تلك القبائل نجدة للمحاصرين في الرياض. قال ابن بشر : (ثم إنه أقبل فهيد الصيفي

(١) المقصود : الفرع الواقع جنوب العارض ويشمل قرى وادي بريك كالحوطة والحريق ونعام والحلوة والعطيان والصدر والمفيعر.

(٢) عنوان المجد، نسخة الدارة، مصدر سابق، ج٢، ص ١٤١ وما بعدها.

رئيس سبيع فزعاً - أي نجدة - لخالد ومحارباً لفیصل، ونزل على بيان وحشد معه قاسي ابن عضيبي وعربانه من قحطان وشنوا الغارة على فیصل وجنوده يريدونهم أن يزعولوا عن الرياض، فراسلهم فیصل فلم ينجع ذلك فيهم، فلما كان آخر الليل ثاني عشر شعبان رحل فیصل من مكانه ذلك... الخ^(١).

وهذا الخبر لا يتنافى مع ما ذكرناه في الخبر السابق عن ابتعاد عريان قحطان جماعة الشيخ محمد بن هادي عن وسط نجد لناواتهم للقوات المصرية، وإنما بقي قلة منهم انحازوا إلى جانب خالد بن سعود وإسماعيل آغا وهم جماعة قاسي بن عضيبي .

مقتل الفارس بداح العجمي سنة ١٢٥٣ هـ :

ويذكر ابن بشر أيضاً أنه في ثاني عشر رمضان من سنة ١٢٥٣ هـ، وقعت مناوشة بين أصحاب الإمام فیصل وبين أهل الرياض التابعين لخالد بن سعود والعساكر، وكان الإمام فیصل محاصراً لهم، فقتل في هذه المناوشة عدة قتلى من الفريقين، منهم الفارس المشهور بداح العجمي من أصحاب فیصل بن تركي^(٢).

كما تذكر وثيقة مصرية تركية أنه قتل في هذه السنة أيضاً الفارس سعد بن بتال المطيري من رجال الإمام فیصل أثناء قتال العساكر مع فیصل بن تركي في الدلم^(٣). وبالمناسبة فقد ذكر هذا التقرير بعض القتلى من رجال الإمام فیصل الذين لم يذكرهم ابن بشر، ومنهم : محمد بن هديان وابن إدريس وعبدالرحمن بن نفيسه.

موقف بعض القبائل من العساكر سنة ١٢٥٣ هـ :

قال ابن بشر : «وفي آخر رمضان أقبل ابن عمران السبيعي من القصيم ومعه خمسة عشر مطية عليها رجال من قومه وقوم خالد، وكان ابن عمران هذا ساعياً للترك من

(١) عنوان المجد، طبعة مكتبة الرياض الحديثة، مصدر سابق، حوادث السنة المذكورة.

(٢) عنوان المجد، مصدر سابق، حوادث السنة المذكورة.

(٣) دار الوثائق القومية - القاهرة، وثيقة غرة (٩٣) / (١٨٩)، محفظة (٦٤) عابدين، أصلية حمراء، تقرير مؤرخ في ١٢/٩/١٢٥٤ هـ، تقرير من محرم آغا محافظ المدينة إلى الباش معاون الحديوي عن قتال فیصل بن تركي والعساكر في نواحي الدلم.

الرياض إلى القصيم، وبذل الإمام فيصل الجهد في إمساكه ولا ساعده القدر بذلك، وكان معه دراهم كثيرة للعسكر خراجاً لهم - أي مرتبات - فلما وصل إلى سبيع وكانوا في أرض عشيرة البلد المعروفة في سدير ركب معه فهيد الصييفي وقاسي بن عضيْب^(١) ومعهم ثلاثمائة مطية وخمسة وعشرون خيلاً، وكان فيصل أرصد لهم أرصاداً من الخيل والرجال فلم يظفروا بهم، ودخلوا الرياض في خامس شوال^(٢).

من أخبار بعض شيوخ مطير سنة ١٢٥٣هـ :

ذكر ابن بشر أثناء كلامه عن قتال الإمام فيصل لعساكر إسماعيل آغا في الدلم والحلوة، أن مضاف المريخي من شيوخ بريه من مطير كان مع خالد بن سعود والعساكر .. يقول ابن بشر عن خروج خالد بن سعود والعساكر من الرياض إلى نواحي الخرج في ربيع الآخر سنة ١٢٥٣هـ: «... فلما وصلوا الماء المعروف بالخفس اجتمعوا للمشورة وكان بينهم وبين الماء نحو يومين، فقال لهم إبراهيم المعاون التركي : اجمعوا الغراير^(٣) واملاؤها تبناً وعشباً وتراباً واقصدوا بلد الحوطة، وادفنوا حفرةم، وكرؤوا عليهم كرة واحدة، حتى تنزلون^(٤) نخيلهم وتشربون من مائهم، وكان مضاف المريخي رئيس عربان بريه^(٥) معهم، فقال لهم : اقصدوا بلد الحلوة وادهموا أهلها وأخرجوهم منها، واشربوا من الماء وكلوا من التمر، وأطعموا الخيل، فإن ملكتموها كاتبكم من كان سراً لكم في الحوطة والحريق، وأتى إليكم. فأجمعوا أمرهم على ذلك... الخ»^(٦).

فهيد الصييفي يرحل بعربانه إلى القصيم ثم إلى الجبل سنة ١٢٥٣هـ:

وخلاصة ما يذكره ابن بشر : أن العسكر الذين في الرياض مع خالد بن سعود وإسماعيل احتاروا في نقل بعض عسكرهم الذين في القصيم إلى الرياض وذلك خوفاً من

(١) من قحطان.

(٢) عنوان المجد، طبعة مكتبة الرياض الحديثة، مصدر سابق، ج ٢، ص ٧٧.

(٣) الغراير : جمع غرارة وهي وعاء كبير من الصوف يجعل على شكل كيس.

(٤) الصواب لغة : تنزلوا، وتشربوا.

(٥) ورد في معظم طبقات عنوان المجد : بريدة، والصحيح : بريه.

(٦) عنوان المجد، مصدر سابق، حوادث السنة المذكورة.

اعتراض فيصل وجنوده لهم قبل وصولهم إلى الرياض، فقرروا أن يسير إبراهيم المعاون - من العسكر - ويرحل معه فهيد الصيفي بعربانه إلى القصيم ويحملون^(١) العسكر إلى الرياض ؛ فرحل الصيفي بعربانه إلى القصيم ولكن خطة نقل العساكر لم تتم ، فرحلوا عربان سبيع من القصيم وقصدوا الجبل^(٢) .

من أخبار أمراء الرشيد سنة ١٢٥٣هـ :

حيث مر معنا في بداية حوادث هذه السنة الإشارة إلى قيام العساكر بتعيين عيسى ابن علي على إمارة جبل شمر بمساعدة أربعمائة رجل من العساكر بقيادة إبراهيم المعاون، وخروج عبدالله ابن رشيد من حائل، فإنه من المفيد أن نشير هنا إلى ما ذكره ابن بشر في حوادث آخر هذه السنة من تمكن عبدالله ابن رشيد من مهاجمة خصمه عيسى بن علي والاستيلاء على حائل مرة أخرى^(٣) ، حيث إن هذه الإشارات التاريخية لها دلالات مهمة على سير العلاقات مع العساكر المصرية التي عادت للمنطقة بقوة بعد هذه الحوادث كما سيأتي.

كما وردت إشارة أخرى إلى هذا الخبر في رسالة مرفوعة من رئيس العساكر في عنيزة إلى خورشيد باشا بتاريخ ١٢٥٣/٥/١هـ، جاء في ترجمتها ما يلي : «... بعد تقبيل أياديكم الكريمة والدعاء لسعادتكم على الدوام لا يخفى على شريف علمكم الكريم .. نخبر حضرة سعادتكم أنه يوم أمس الساعة العاشرة من النهار حضر لنا نجاب كنا أرسلناه إلى حضرة سعادة مير اللواء إسماعيل بيك بجوابات بخصوص الحرايه الحاصلة بيننا وبين أهل جبل شمر من خصوص دعوى ابن رشيد...^(٤) ، وحضر لنا النجاب وصحبته جواباتنا التي أرسلناها معه، وأخبرنا شفاهاً أنه بلغ إلى ضرما بينها وبين الرياض يوم واحد، ووجد العربان تأخذ بعضها بعضاً، وأهل ضرمة أخذوا بعضاً من الرحلة كانوا هارين من عند

(١) الصواب : ويحملوا.

(٢) عنوان المجد، مصدر سابق، حوادث السنة المذكورة.

(٣) المصدر السابق، حوادث السنة المذكورة.

(٤) الفراغ يشير إلى جملة محذوفة للاختصار.

حضرة البيك ...^(١) ، وحضر بصحبته جواب من أحد كبار أهل ضمرا إلى أخينا يحيى بن سليمان^(٢) ، ومضمونه أن حضرة البيك والعساكر توجهوا من الرياض إلى الحوطة والحريق يوم الأربعاء ١٦ ربيع آخر، ونزل بالخرج وأقام فيه خمسة أيام، وتوجهوا معه أهل الخرج بجملته العساكر، وحط في بلد يقال لها الحلوة، وحاربوا وأخذوها العساكر، ففرغ أهل الحوطة والحريق، وصار بينهم حرب شديد ... الخ».

ثم يذكر أنه بعد القتال الشديد وقعت الهزيمة على العساكر وأخذ منهم مدفعان وكثير من إبلهم وأمتعتهم، إلى أن يقول : «فنحن حررنا هذا لسعادتكم لكي يكون في شريف علمكم، ونحن ساعة تاريخه مقيمون في عنيزة في الأمن والأمان وصحبنا ثمانية وثلاثين خيلاً فقط، ومائة وعشرة في جبل شمر في حراية ابن رشيد ... الخ» .

ثم يذكر في ملحق الرسالة أن هذا الخط كتب بحضور الشيخ علي بن إبراهيم أحد كبار أهل الرس، وغازي بن ضبيان من كبار عنزة، وأن العربان كلها مشوشة بسبب ما بلغهم من هذه الأخبار، ويقصد هزيمة إسماعيل بك في الخرج من قبل الإمام فيصل^(٣) .

كما أن محضراً آخر يعطي تفاصيل أكثر عن الوضع في نجد، وتكمن أهمية هذا المحضر أنه مسجل باللغة العربية ويتوقع أربعة من كبار أهل نجد ثلاثة منهم من شيوخ حرب والرابع عبدالعزيز بن قرناس شيخ الرس. ويتضح من هذا التقرير أن مشايخ حرب المذكورين وهم سعد الشطير من شيوخ بني عمرو وثواب بن نحيث شيخ مزينة وشاهر بن غانم بن مضيان شيخ الظواهرة ومن معهم من عربانهم أهل الحِمْل أرغموا على الذهاب إلى الحوطة والحريق لدعم قوات الحاج إسماعيل بيك وخالد بن سعود؛ فقد كانوا في الأصل مؤجرين جمالهم لنقل ذخائر من المدينة إلى الحناكية، لكنهم أجبروا على إيصال الحمل إلى

(١) الفراغ يشير إلى جملة محذوفة للاختصار.

(٢) يقصد : أمير عنيزة.

(٣) دار الوثائق القومية - القاهرة، وثيقة رقم (٧٧) حمراء، محفوظة (٢٦٢) عابدين، مؤرخة في غرة جمادى الأولى سنة ١٢٥٣هـ.

عنيزة، ولما وصلوا عنيزة أجبروا على إيصالها إلى الحوطة ولم يُسَمَحَ لهم بالعودة إلى أوطانهم. ولما حصلت الكسرة على قوات إسماعيل بيك في الحوطة وتفرقت العساكر والعربان، عادوا إلى ديارهم عن طريق بَبَّان ثم القصب ثم شقراء ثم عين ابن قَنُور ثم عنيزة ثم الرس حتى وصلوا إلى المدينة، حيث طُلِبَ منهم تحرير هذا الاستجواب للحصول على معلومات مؤكدة عن وضع العساكر بعد معركة الحوطة والحلوة .

ويعطي هذا التقرير تفاصيل مهمة منها على سبيل المثال :

- سوء تعامل عساكر محمد علي مع القبائل، حيث يرغمونهم على تأجير جمالهم لنقل الذخائر من ينبع إلى المدينة، ومن المدينة إلى الحناكية والقصيم، وأنهم لم يكتفوا بذلك بل إنهم لما وصلوا القصيم أرغموهم على إيصالها إلى إسماعيل بيك في جهات الخرج والحوطة، وأجبروهم على البقاء عندهم لأكثر من ثلاثة أشهر .
- أن أهل الحوطة والحريق وعربانهم قد عدوا على جمال حرب قرب الحوطة وأخذوا منها حوالي (٣٠٠) جمل من جمال الحمل .
- أن مضاف المريخي وأخاه كانا من المقربين لإسماعيل بيك، وهما اللذان شجعا وأشارا عليه بالهجوم على بلدة الحلوة القريبة من الحوطة .
- أن قوات إسماعيل بيك كان معها عدد كبير من جمال عتيبة ومطير، وهم أول من وقعت عليهم الكسرة في القتال، وهربوا بجمالهم أثناء القتال، وأن فهد بن هندي؟ من شيوخ عنزة ومدوخ بن معيَّان من شيوخ بني علي من حرب الذين كانوا مع إسماعيل بيك سألوا مضاف المريخي عن سبب خيانتة إسماعيل باشا، فكان جوابه : « أن الدولة ليس إخواني وليس لي بهم غرض » ، كما يقول التقرير .
- أن جمال حرب فقد منها (١٥٠٠) منذ خروجها من عنيزة إلى عودتها للمدينة، ومعظمها فقد أو عدم أثناء قتال الحوطة وما حولها .
- أن كبار أهل نجد والعربان الذين مع إسماعيل بيك بعد وصولهم إلى الرياض طلبوا منه

تعيين خالد بن سعود أميراً على نجد، أو يأخذه ويرحل من الرياض، فوافق على جعله أميراً تابعاً لإسماعيل بيك، فقام كبار أهل الرياض بمبايعته.

- أن عربان سبيع وقحطان والعجمان والدواسر وعتيبة ومطير جماعة المريخي^(١)، الذين كانوا مع إسماعيل بيك تخلوا عنه بعدما حدث في تلك الوقعة، وصاروا خارجين على العساكر، إلا أنهم بنفس الوقت غير تابعين للإمام فيصل.

- أن الإمام فيصل مقيم بالأحساء ومعه بعض القبائل من مطير جماعة الدويش وبعض العجمان والدواسر.

- أن الأمن في نجد قد وصل إلى أقصى درجات الانحلال، وأن القبائل قد خرجت على الطرق والقرى بسبب انكسار العساكر وتشتتهم وغياب سلطة الإمام فيصل الذي لجأ إلى الأحساء وأقام فيه يتدبر أموره.

- أن هذا المحضر محرر وموقع بتاريخ ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٥٣هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٨٣٧م^(٢).

غارة للعساكر على الفِرم والعواحي سنة ١٢٥٣هـ :

وخلاصة ذلك حسب ما أوردته بعض الوثائق المصرية سنة ١٢٥٣هـ، أن القائد أحمد باشا خرج في آخر تلك السنة يريد قتال محسن الفِرم شيخ بني علي من حرب شمال

(١) يبدو أن المقصود : ليس كل القبائل، وإنما من كان منها مع خالد بن سعود وإسماعيل بيك، وقد تقدم معنا أن الذين معه من سبيع هم جماعة فهيد الصيفي، ومن قحطان هم جماعة قاسي بن عضيبي، ومن مطير جماعة مضاف المريخي، ومن حرب مدوخ بن معيان.

(٢) من وثائق الدولة السعودية في عصر محمد علي، مصدر سابق، ج ٢، ص ٥٧٦ - ٥٧٩، وما تحجب ملاحظته وجود أخطاء مطبعية كبيرة وقع فيها مؤلف الكتاب د. عبد الرحيم عبد الرحيم، ومنها على سبيل المثال :

- ثواب بن بخيت شيخ قرينة، والصحيح : ثواب بن نحيث شيخ مزينة.

- منصف المرتجي، والصحيح : مضاف المريخي.

- مدوه من بني علي، والصحيح : مدوخ، وهو مدوخ بن معيان.

- با شقره، والصحيح : بشقرا.

- عين ابن قنود، والصحيح : عين ابن قنور.

القصيم، فخرج من الرس على رأس قوات كبيرة، وانضم إليه الشيخ مضاف المريخي بعربانه من مطير، لكنهم لم يدركوا الشيخ محسن الفرم لأنه ارتحل بعربه ونزل مع عنزة، إلا أن تلك الوثيقة تفيد أن الباشا المذكور ومن معه من مطير والعساكر غزوا على عنزة وحصلت وقعة عظيمة على عرب عقاب العواجي ومن معهم من عنزة عند قرية السعيرة الواقعة بين حائل والقصيم قتل فيها ٩٥ رجلاً من عنزة واستولى العساكر على ١٥٠٠ جمل و ٨٠٠٠ رأس من الغنم حسب تقرير أحمد باشا^(١).

من أخبار عبدالله ابن رشيد مع خورشيد باشا سنة ١٢٥٤هـ:

قال ابن بشر : «وفي آخر صفر أقبل خورشيد باشا من الحناكية بعساكره ومعه جلوي بن تركي^(٢)، ونزل بلد عنيزة، فتابعوه، ووفد عليه كثير من رؤساء العربان وأمرأء القصيم». إلى أن يقول : «فلبث خورشيد في عنيزة خمسة أشهر، وفي مدة مقامه فيها وفد عليه عبدالله بن علي بن رشيد رئيس جبل شمر فأعطاه الباشا وكساه... الخ» . ويقول أيضا : «وقدم على خورشيد في موضعه ذلك محمد الدويش رئيس مطير وفهيد الصييفي رئيس سبيع ، واستدعى خورشيد أحمد السديري - رئيس بلد الغاط - فأتى إليه فأكرمه وكساه وبنى له خيمة وأقام عنده»^(٣).

وحيث إن هذه أول إشارة عند ابن بشر لبداية العلاقة بين عبدالله ابن رشيد وخورشيد باشا، إلا أن الوثائق المصرية التركية تفيد أن العلاقة قد بدأت قبل هذا التاريخ، فقد ذكر خورشيد باشا في تقرير مرفوع منه إلى محمد علي باشا في منتصف سنة

(١) دار الوثائق القومية - القاهرة - وثيقة نمرة ٧، تقرير من نوري حسين إلى ولي النعم، بتاريخ

١٢٥٨/١١/٢١هـ، (ص/ مكتبة الملك فهد الوطنية، المحافظ المصرية، فيلم ٤).

(٢) يبدو أن جلوي بن تركي بن عبدالله، لم يكن قادماً معه من مصر، لكنه كان مرسلأ إلى خورشيد باشا في المدينة من قبل أخيه فيصل بن تركي للتفاوض معه.

(٣) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة

١٢٥٣هـ، أن عبدالله ابن رشيد قد وفد عليه في المدينة وباعه على السمع والطاعة والتزم له بتزويده بأعداد كبيرة من الجمال من قبائل شمر وعنزة. حيث يقول خورشيد باشا في تقريره المؤرخ في ١٧ رجب سنة ١٢٥٣هـ : «... ولكن لما كان نقل الجنود والمؤن من المدينة إلى نجد لا يمكن إلاً بجلب الجمال من الشرق، فقد علمت من الموافقين على لدينات الأمور أن المدعو عبدالله ابن رشيد شيخ جبل شمر الذي سبق أن فرّ بدون أن يقابل إسماعيل بيك سينفعا في جمع الجمال وسائر الشئون، وأن إحضاره يؤدي إلى إخماد نار الفتنة ويسهل مهمة الجيش، ولذلك عملت على إحضاره إلى هنا حتى حضر بالأمس، ووعدته بأنه سينال منا العطف والنوال إذا أتى بجمال أعراب شمر وعنزة القاطنة حواليه وسخرها في نقل المؤن وأبدى نشاطاً فيما يعرض من الأمور من غير تقصير ولا ثواب، وقد تعهد الشيخ بأنه سيبذل السعي ما وسعه الجهد في إحضار الجمال المائة الذكر، وسيباشر فعلاً في إحضارها عما قريب، وعاهدني على هذا الشروط، وبناء على ذلك وكليته مشيخة منطقته، فأكسيه الخلعة» .

ثم يذكر خورشيد باشا في تقريره أنه قد أرسل مع عبدالله ابن رشيد مجموعة من العساكر بقيادة الآغا سوق الذيب محمد حتى يساعده في تحقيق مهمته ومحاربة المناوئين لشيخ الجبل^(١).

وبالمناسبة فهذا الآغا التركي هو الذي تسميه البادية ساق الذيب، وهو الذي يقول فيه عبدالله ابن رشيد متوعداً خصومه بأنه قد أحضر لهم ساق الذيب وعساكره :

يا شارخ اركب فوق عَوَج المصَاليب

فَلْيَا رَكِبْتَهُ قَدَمَ الحَمْدِ لِلَّهِ

(٢) دار الوثائق القومية، القاهرة ٠ - وثيقة رقم (١٨٩)، وحدة الحفظ (٢٦٢) عابدين ، بتاريخ ١٧ رجب ١٢٥٣هـ. وانظر كتاب : من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي، تأليف : د. عبدالرحيم عبدالرحيم ٠ - ط ١ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المجلد الأول، ص ٩٨٠، وانظر عن هذا الموضوع : نشأة امارة آل رشيد، تأليف : د. عبدالله العثيمين ٠ - ط ٢ - ص ٢٠٩ وما بعدها، وتاريخ نجد في عصور العامية، للششيخ أبو عبدالرحمن الظاهري، مصدر سابق، ج ٢، ص ٤٦١ .

سِقْهَا إِلَى مَا جِيتَ صَدَيَّانَ وَشَعَيْبَ
أَبُو خَلَفَ يَا رِيفَ رَكْبٍ تَنْصُأَ
أَبْشَرُ بِسَاقِ الذِّيبِ جَا بِهِ لَكَ الذِّيبُ
حُرٌّ جَلَبَ عُمُرُهُ عَلَى التَّرِكِ وَاهْدَاهُ^(١)

وفود القبائل على خورشيد باشا في الحناكية سنة ١٢٥٤هـ :

يورد تقرير مرفوع من خورشيد باشا إلى القائد العام، معلومات مهمة عن وضع القبائل وعلاقتها مع خورشيد باشا الذي وصل إلى الحناكية في بداية هذه السنة متوجهاً إلى نجد بهدف القبض على الإمام فيصل بن تركي حيث يذكر التقرير أن قبائل جبل شمر وبني سالم وبني عمرو من حرب، والرخمان والمريخات وعربان سلطان السور من مطير وعنزة : قد وفدوا على خورشيد في الحناكية، وكذلك قبائل آل عاصم من قحطان والروقة جماعة ابن ربيعان من عتيبة والعمور من سبيع والروسان من عتيبة.

ثم يذكر خورشيد أنه تحرك من الحناكية ميمماً شطر القصيم في الثالث من شهر صفر، ووصل بقواته الكبيرة إلى عنيزة في العشرين من الشهر نفسه.

كما يذكر أيضاً أنه في مسيره إلى القصيم وأثناء إقامته في عنيزة توافد إليه مزيد من رؤساء العربان، فضلاً عن جميع أمراء بلدان القصيم الذين سلموا له بالكامل. وأن من الذين وفدوا عليه من العربان : غازي بن ضبيّان أحد مشايخ عنزة، ومنديل بن غنيمان وحجاب وبهيشان الحصان وضويحي الفغم ومحمد والحميدي الدويش وغيرهم من مطير، وابن جامع وبداح العقيلي^(٢) وسلطان بن ربيعان ومرزوق الهیضل من عتيبة.

ثم يختتم خورشيد باشا تقريره بالإفادة بأنه قد فرض على أولئك المشايخ عدداً كبيراً من الجمال لاستخدامها في نقل المؤن من المدينة إلى نجد^(٣).

(١) من آدابنا الشعبية . منديل الفهيد، ١١٨/٣

(٢) قد يكون المقصود : ابن عقيل من عتيبة.

(٣) دار الوثائق القومية - القاهرة، وثيقة رقم (٢٠٨) زرقاء، محفوظة رقم (٢٦٤)، تاريخها ١٢٥٤/٣/٤هـ. وانظر ترجمتها في كتاب : من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي، مصدر سابق، ج ١، ص ٥٩٨.

القتال بين العساكر وبعض قبائل عتيبة سنة ١٢٥٤هـ :

يذكر تقرير مطول مرفوع من خورشيد باشا عن الوضع في نجد مؤرخ في رمضان

سنة ١٢٥٤هـ ، جملة أخبار عن توتر الوضع بين القبائل والعساكر، ومن ذلك :

- أن بعض القبائل قد حاولت الامتناع عن إعطاء الجمال للعساكر؛ فقام خورشيد باشا بشن الغارات على القبائل الممتنعة وأخذ الجمال بالقوة.

- أنه في شهر ربيع الأول أرسل خورشيد باشا قوة لغزو قبيلة الهبضل من عتيبة وقتل منهم (١٠٠) شخص وأخذ جميع أموالهم وجمالهم، وأن حدجان بن جامع وبعض مشايخ عتيبة الذين لم يدخلوا تحت الطاعة قد هربوا بقبائلهم إلى جهات بيشة ورنية مبتعدين عن العساكر التي مركزها القصيم.

- أن قوة أخرى لخورشيد باشا قامت بتاريخ ١٢٥٤/٥/٣هـ بغزو عرب حشر بن وريك شيخ آل عاصم من قحطان، وقتل منهم (١٥٠) رجلاً، ولم ينج منهم إلا أهل الخيل، ومع ذلك فلم يدخلوا في الطاعة، فانحازوا بذلك إلى ابن قرملة الذي لم يدخل في الطاعة، وذهبوا إلى جهات بيشة وتركوا نجداً، ولذلك فإنه يطلب من القائد العام إصدار توجيهاته بغزوهم من قبل العساكر الموجودة في الحجاز والجنوب لتضييق الخناق عليهم وفرض الطاعة عليهم بالقوة^(١).

كما يشير تقرير آخر مرفوع من محافظ المدينة المنورة إلى القيادة في مصر إلى استعانة العساكر بالشيخ ابن ربيعان لقتال ابن قرملة، حيث جاء في التقرير : «... وكذلك فإن الشيخ ابن ربيعان قد قدم على الباشا المشار إليه^(٢)، واتفق معه على غزو ابن قرملة أكبر شيوخ قحطان، وقد قدم الشيخ المذكور في جماعته لهذه الغاية، بعد أن سير

(١) دار الوثائق القومية - القاهرة، محفظة (٢٦٦) عابدين، رقم الحفظ (٦) أصلية، تقرير مرفوع من خورشيد

باشا إلى أحمد باشا سر عسكر أقطار الحجاز، بتاريخ ١٢٥٤/٩/٣٠هـ. وانظر : من وثائق الدولة السعودية

الأولى في عصر محمد علي، مصدر سابق، المجلد الأول، ص ٦٠٦ .

(٢) يقصد : خورشيد باشا.

معه دولة الباشا (٣٠٠) خيال من الترك و(٢٠٠) خيال من المغاربة وحسن اليازجي رئيس الأدلاء... الخ»^(١).

من أخبار عنزة وحرب سنة ١٢٥٤هـ :

ورد في تقرير تركي مؤرخ في ١٢٥٤/٥/٣هـ بعض الإشارات التاريخية عن قبيلتي حرب وعنزة، ومن ذلك ما يلي :

- أن الشيخ غنيم بن بكر من مشايخ عنزة قد وعد خورشيد باشا بتقديم (٣٠٠) جمل لتستخدم في نقل الذخائر من المدينة إلى نجد، وأنه قد ورد منها (١٥٠) وأن الباقي سوف يرد بعد أيام.

- أن خورشيد باشا طلب من قاعد بن مجلاد شيخ الدهامشة من عنزة جملاً لنقل الذخائر، فأرسل له مائتين وستين جملاً، ولكن قبيلة بني سالم من حرب نهبت قسماً كبيراً من تلك الجمال قبل وصولها للمدينة، فرجع ابن مجلاد مع ما بقي من جماله إلى الباشا في نجد^(٢).

إشارة إلى نزوح قحطان إلى بيشة سنة ١٢٥٥هـ:

من الخطأ الذي يقع فيه كثير من تناولوا تموجات القبائل في نجد إغفال دور العساكر في تذبذب وضع قبيلة قحطان خلال الفترات التي سيطر فيها العساكر على وسط نجد، وخصوصاً بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجري .

وقد ورد معنا في أخبار السنتين السابقتين بعض الإشارات إلى تدهور العلاقة بين قبيلة قحطان وقواد محمد علي ونزوح تلك القبيلة إلى جهة الجنوب ، وذكرنا أيضاً أن ذلك لا يشمل بعض شيوخ قحطان مثل قاسي بن عضيبي وجماعته الذين تعاونوا لفترة من

(١) دار الوثائق القومية، محافظة (٢٦٣) عابدين، رقم (١٥٧) حمراء، خطاب من محافظ المدينة : عبده محرم بتاريخ ١٢٥٤/٥/٢٧هـ.

(٢) دار الوثائق القومية، القاهرة، وثيقة رقم (٣٣) النمرة الحمراء (٦٧)، محافظة (٢٦٣) عابدين، تقرير مرسل من محرم آغا محافظ المدينة إلى باشمعاون جناب الحديوي، في ١٢٥٤/٥/٣هـ.

الزمن مع إسماعيل بيك ، إلا أن هذا التقرير ينص على أن جميع قحطان قد خرجوا عن طاعة الدولة وذهبوا إلى جهات بيشة ، حيث يقول التقرير المؤرخ في ١٣/١/١٢٥٥هـ ما نصه : «... ولما عرفوا أن الجيش سيستقر في ثرمدة فمن خوفهم لم يجسروا أن يدنوا إلى هذه الجهات ، فقاموا يذهبون إلى جهات بعيدة المسافة ومن الجملة جميع قحطان فقد نزحوا نحو بيشة ورنية ، فأكثر العرب مجتمعون في تلك الأطراف ، ومنهم من استوطن نواحي الكويت».

ويقول في موضع آخر من التقرير : «وقد أكدنا وشددنا على شيوخ القرى بأن لا يعطوا من الآن فصاعداً لطوائف البدو شيئاً من أصناف الطعام ، وأن من يأتي منهم لهذه الجهات لهذا الغرض يقبض عليهم ويسجنون وتؤخذ أموالهم وأملاكهم الخ»^(١).

من أخبار قحطان وعتيبة والعساكر سنة ١٢٥٥هـ :

وحول وضع قبائل قحطان وعتيبة وعلاقتهم غير المستقرة مع عساكر محمد علي في الجزيرة العربية فإن تقريراً عسكرياً آخر مؤرخاً في ٢١/٤/١٢٥٥هـ يستفاد منه ما يلي :

- أن فرقة من قوات محمد علي قد خرجت لتأديب قبيلة قحطان والحصول منها على الجمال المفروضة عليها ، وطاردهم إلى هضب الدواسر ولم يتمكنوا من إدراكهم ، لكن محمد بن هادي بن قرملة حاول حل المشكلة مع العساكر ، فدفع جزءاً من زكاة قحطان وتعهده بدفع الجمال المطلوبة بشرط أن يعاد النظر في عدد الجمال المفروضة على قبيلته.
- يفيد التقرير المرفوع من قائد العساكر في الحجاز أن قبائل عتيبة منقسمة إلى قسمين بعضها تحت الطاعة والبعض الآخر لا يزال متمرداً على العساكر ، وأن الشيخ هندي بن حميد والشيخ شالح الضييط قد ذهبا إلى نجد وهما طائعان للدولة وقدما ما مقداره (٦٠٠) من الجمال^(٢).

(١) دار الوثائق القومية - القاهرة ، وثيقة رقم (٦) ، محفوظة (٢٦٦) عابدين ، وانظر : كتاب من وثائق الدولة

السعودية في عصر محمد علي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٦٠٨ .

(٢) انظر : كتاب من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٦١٧-٦١٨ .

قبائل نجد في تقرير تركي سنة ١٢٥٥هـ:

يتكون هذا التقرير المؤرخ في ١٢٥٥/٥/٢٩هـ والمرفوع من خورشيد باشا القائد العام في نجد من أحد عشر بنداً، والبند الأخير خصصه خورشيد باشا للحديث عن عربان نجد، ولذا فإننا سوف نقتطف منه ما يلي :

- يقول عن قحطان : « إن عرب قحطان عبارة عن قبائل كبيرة، مساكنهم من الرس حتى وادي الدواسر إلى أن تصل إلى عسير، وهو المعبر عندهم بالجنوب. ويشاركون جهات رنية والخزعة وترية وبيشة وطرف نجد القبلي الذي هو الدلم والعارض ووادي الخرج والحريق والأفلاج ووادي الدواسر، فإذا لم يُدخَل أولئك العرب تحت الطاعة فلا يرجى منهم أي منفعة، فضلاً عن الضرر الذي يعود إلى تلك الجهات».

- ويقول عن عتيبة : «وعتيبة أيضاً قبيلة كبيرة ولها توغل وتوسع حتى جهات مكة والطائف والمدينة، ومن جنوب نجد إلى الرس وشقراء والشعراء وقرى الدوادمي حتى ما يجاور مكة والطائف والمدينة، ولهم اشتراك مع أهلها في كل أمر، فضبط أمورهم وأمور قحطان وربطها لا يمكن أن يكون بقوة نجد فحسب، بل هو متوقف على معاونة أرض الحريق».

- ويقول عن مطير : «وقبيلة مطير قبيلة كبيرة أيضاً، وهي وإن لم يكن لها جهة معينة في أرض نجد، ولكنها بسبب كونها من القبائل الكبيرة القوية، فإنها بقوة سواعدها تسير أنعامها ومواشيها في مراعي ديار قحطان وعتيبة وعنزة، وتأخذ الكيل من قرى نجد ومن الأحساء والبصرة، وتروح وتغدو ما بينها. وهم يتقاتلون ويتضاربون مع تلك القبائل من أجل المراعي والكيل بمعاونة حكام نجد، فتارة يغلبون وتارة يُغلبون».

- ويقول عن قبائل عنزة : «أما عنزة فهي عبارة عن قبائل كبيرة فيها من هو في جهة الشام، وفيها من هو في جهة بغداد، وقسم منها في نجد، ومساكن هذا القسم خيبر القريب من المدينة المنورة، والحناكية، ومن جهة حدود جبل شمر حتى القصيم، ولهم

اشترك في القصيم، لأن الحضريين يدعون أنهم من عنزة^(١). وقاعدة قانونهم على هذا الوجه، وهم ينتقلون ما بين الجزيرة التي في جوار بغداد حتى تلك النواحي على هذا المنوال.....الخ».

- ويقول عن شمر : «وقبيلة شمر قبيلة كبيرة أيضاً، وهي أكثر عدداً من عنزة، وموطنهم الأصلي جبل شمر، ويسكنون في الطرف الشمالي من الجزيرة المسماة "صفوق الجرباء"^(٢) في جوار بغداد ، وهم معدودون في حكم بغداد ، والتابعون إلى نجد هم أهل جبل شمر ... الخ».

- ويقول أيضاً : «وقبيلة سبيع والعجمان في سهول بني خالد، والدواسر وبنو هاجر هم من العارض ومن وادي الخرج والأفلاج في الطرف الشمالي من وادي الدواسر، وهم متقلبون غادين راحين في الوديان والجهات التي في نهاية جزيرة البصرة منتهين إلى الأحساء والقطيف والكويت، وهم معدودون من أهل تلك الجهات، وهؤلاء قبائل كثيرة، وهم أقرباء ولكن جفاة غلاظ، ومحل معيشتهم في الأكثر الأحساء والقطيف، وهم قائمون بالخدمة في تلك الجهات ومنفعتهم لنجد قليلة، ولكن ضررهم كثير. وبما أن هذه الأجناس المتباينة حكومات مختلفة ما أمكن أخذهم تحت الطاعة كما يجب، فإذا أمكن الاستيلاء على تلك الجهات التي يحتلونها فإن الأمل أن تكون الفائدة منهم كبيرة، ونحن نعاملهم بالمراوغة والحيلة نظراً للمحذورات التي ذكرناها»^(٣).

(١) لعله يقصد بعض حاضرة القصيم وليس كلهم، حيث أن حاضرة القصيم فيها من ينتسب إلى بني تميم وفيها من ينتسب إلى بني خالد وفيها من ينتسب إلى الدواسر، وغيرهم.

(٢) يقصد الجزيرة في العراق التي يقيم فيها الشيخ صفوق الجرباء وأتباعه من شمر.

(٣) انظر كتاب : من وثائق الدولة السعودية الأولى، د. عبدالرحيم عبدالرحيم، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٣٧ - ٦٤٠. وللأسف ففي تلك الطبعة أخطاء مطبعية كثيرة منها على سبيل المثال:

- الرانية، والصحيح : رنية.

- عنيزة، والمقصود : عنزة.

- سفوف الجربة، والمقصود : صفوق الجرباء، وهكذا.

تقرير عربي عن وضع قحطان وعتيبة في رجب ١٢٥٥هـ :

يورد تقرير عربي العبارة مرفوع إلى خورشيد باشا معلومات مهمة ومفصلة عن وضع قبائل عتيبة وقحطان وبعض القبائل الأخرى، نقتطف منه ما يلي : « الحمد لله وحده؛ فخر الكُبرَا الفخام باهر الاحترام سني الهمم حضر مير ميران كرام أخينا خورشيد باشا .. سلمه الله تعالى .. حضر إلينا جوابكم المؤرخ في ١٦ جمادى الأولى وفهمنا ما شرحته على التفصيل، ومن خصوص أخبار قحطان فإننا لما توجهنا للمرة الأولى في أوائل شهر ربيع الأول كان قصدنا بالغزاة عليهم، فجاهم نذير وهربوا، وطلبناهم إلى ورا الحويّا؟، وفاتونا .. ثم بعد ذلك نزلنا رنية ... الخ».

ثم يقول أيضاً : «... وبعد ذلك رجعنا إلى بيشة بالثاني، وطلب ابن قرملة منّا الأمان، وأرسلنا له الشريف منصور، وحضر إلى طرفنا، وعاهد على السمع والطاعة والقيام بواجب الخدمة الذي نطلبها منه إن كان رحلة أو خلافتها، وصار حشر وأبو عمر مخالفين وهارين، وطلب منّا الشيخ محمد بن قرملة خمسين خيال ينزل بهم رنية لأجل يَصُدّ بهما العاصي من قحطان ... الخ».

ويقول أيضاً في موضع آخر : «... وقد حضر إلى طرفنا مركوبة من عند حشر وأبو عمر يطلبون الأمان وأعطيناهم الأمان بشرط أنهم يؤدوا ما عندهم من أباعر حاج نجد الذي أخذوهم العام الماضي ، وأنهم يواجهون للعهد ، ولِمَا نشرطه عليهم من جمال الرحلة ... الخ».

ويقول أيضاً : «... ومن شان التوزيع الذي بيّنتوه بكتابكم على القبائل بما يستحقوا ويقوموا بوفاء؛ على الدويش ومطير أربعة آلاف، وكافة عتيبة ثلاثة آلاف، وعنزة ثلاثة آلاف، وإن قحطان يستحقوا خمسة آلاف باخبار الذي عَرَّفُوكم عنهم فلا بأس .. فأما الذي انحازوا إلى طرفنا من عتيبة مثل ابن حميد وشالح الضييط فهم في اليد ومقسمهم الذي جُعِلَ على عتيبة مفهوم ... الخ».

ويقول أيضاً في موضع آخر : «.... ومن خصوص ما خص ابن حميد وشالح الضيظ من الثلاثة آلاف الذي جعلتها على عتيبة يحتاج تستفهموا من الشيخ سلطان بن ربيعان مقداره .. وأما ابن جامع فهو منحاز لم يصلنا من يَمُّه أحد .. هذا ما لزم الافادة به. في ٣ رجب سنة ١٢٥٥»^(١).

وقعة بين السهول وأهل سدير سنة ١٢٥٥هـ :

قال ابن بشر : «وفي آخر رمضان نزل فرقان من عربان السهول في وادي سدير، فحصل منهم أذى مع الناس وقطعوا السبل، فاستنفر عليهم محمد بن أحمد السديري^(٢) أهل سدير، فأخذهم وقتل منهم رجلين»^(٣).

إشارة إلى بعض شيوخ عتيبة في تقرير آخر في شوال سنة ١٢٥٥هـ :

تورد رسالة مطولة من خورشيد باشا حول تعهد مشايخ العربان في منطقة نجد باعطاء الجمال لقواد محمد علي، معلومات مهمة عن العلاقة مع عتيبة، ومنها ما يلي:

- أن الشيخ سلطان بن ربيعان يقيم في نجد، وأن ابن حميد وشالح الضيظ، وابن عقيل وزُرَيْبَة بن جدي وشيخ العصمة وشيخ النفعة يقيمون بعربانهم في جهات رَنْبَة وترية، وأن المشايخ المذكورين قد تعهدوا بدفع الجمال المفروضة عليهم ومقدارها (٢٨٢٨) وتقديمها إلى خورشيد باشا في ثرمداء، لكن أحد القواد طلب منهم جلبها إلى مكة مع الشيخ ابن حميد وشالح الضيظ.

- أن الجمال المفروضة على قبائل نجد الكبيرة وبالذات كل من عنزة ومطير وعتيبة جماعة الشيخ سلطان بن ربيعان، تبلغ (٧٠٠٠) رأس، وقد تم تكليف قوة لجمعها، يصاحبها

(١) مجموعة الوثائق التركية، مكتبة الملك فهد الوطنية، مجموعة وثائق بحر برا المصورة على مايكروفيلم.

(٢) مع أن الأمير أحمد بن محمد السديري الذي يعتبر أشهر أمراء هذه الأسرة كان موجوداً حينئذ، إلا أنه يتضح من نص ابن بشر أن المقصود هنا ابنه محمد، انظر : مجلة الدرعية، العدد الأول، السنة الأولى، المحرم ١٤١٩هـ، بحث قيَم عن أسرة السدأرى للشيخ أبو عبدالرحمن الظاهري، ص ٤٧ - ١٢٣ .

(٣) عنوان المجد، مصدر سابق، حوادث السنة المذكورة.

محمد البواردي أمير الوشم وعبدالعزیز ابن عم عبدالله ابن رشید أمير جبل شمر وغيرهم، وأن مشايخ شمر وعنزة ومطير قائمون بجمع الجمال الباقية من العرب الذين فروا لجهة العراق.

- أن خورشيد باشا قد حصل منذ بداية حملته على (٧٠٠٠) رأس من الجمال من عربان نجد، وأنه يسعى للحصول على (٨٠٠٠) رأس من قحطان وعتيبة^(١).

وتقرير أكثر تفصيلاً في رمضان سنة ١٢٥٥هـ :

يورد تقرير باللغة العربية تفاصيل مهمة عن وضع عتيبة ومشايخهم وعلاقتهم بنجد وابتعاد معظم شيوخ عتيبة إلى أطراف مكة والطائف هروباً من عساكر خورشيد باشا المتمركزة في ثرمداء. وسوف نحاول اختصار هذا التقرير قدر الإمكان، وإيراد الإشارات المهمة فيه كما يلي:

- أن التقرير مرفوع من محمد نصر المكلف بمتابعة موضوع جمال عتيبة، حيث يقول في بدايته : «نحمد الله على كل حال. جرنال^(٢) مبارك يتضمن كيفية ما صار على الواضع اسمه وختمه فيه بخصوص عربان عتيبة والرحلة^(٣) المطلوبة منهم، والمأمورين عليها، وبيان المَعْمَدِين عليه من سعادة سر عسكر نجد، وهو أن نتوجه والعشرة المشايخ من عربان عتيبة إلى القبيلة المذكورة، ونجمع كبارهم وعُمَدَهُم ونسلّم لكل منهم الجواب المرسل إليه، ونقرأ عليهم بيان توزيع الرحلة المَجْعولة على كل منهم بمعرفة سلطان بن ربيعان شيخ عربان عتيبة وباقي المشايخ من القبيلة المذكورة... الخ»^(٤).

(١) من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٤١ - ٦٤٤، رسالة مؤرخة في ٤/١٠/١٢٥٥هـ الموافق ١١/١٢/١٨٣٩هـ.

(٢) جرنال : أي : صحيفة.

(٣) الرحلة : المقصود بها جمال الحِمْل أو الرحلة.

(٤) يذكر منهم في البند الثاني : حدجان بن جامع.

- ثم يذكر في البند الأول من التقرير أنه تحرك من ثرمداء يوم ١٥/٦/١٢٥٥هـ ومعه عشرة من مشايخ عتيبة قاصدين عتيبة في عالية نجد وأطراف الحجاز، مروراً بشقراء ثم عسيلة ثم عرجاء ثم المستجدة ثم الجمانية ثم سجا إلى أن وصلوا إلى عُشيرة في ٢٧ من الشهر. وأنهم وجدوا عربان عتيبة مجتمعين، فنزلوا عند الشيخ مجدل الخُرَّاص من ذوي عطية، وفي صباح اليوم التالي أرسلوا إلى الشيخ هندي بن حميد، ثم أرسلوا إلى شيخ الشياطين وشيخ العصمة وشيخ النفعة وإلى كل من الشيخ شالح الضييط وابن حجنة وطلبوا منهم الحضور إلى عُشيرة.

- يورد في البند الثاني من التقرير أنه حضر إليهم كل من سعود بن عقيل وهندي بن حميد وابن فهيد وأخو الشيخ شالح الضييط وأبو رقة وغيرهم، ولم يحضر كل من مناحي الهيضل لأنه عند باشا الحجاز وزرَّبة بن جدي لأنه مصاب.

- كما يفيد بأنه بعد سؤال المذكورين لماذا جاءوا إلى هذه الجهات، أجابوا بأن قصدهم إعطاء الجمال لباشا الحجاز، وأنهم جاءوا بحثاً عن الأمطار، وأنهم مستعدون لتسليم الجمال : « فعند ذلك طلبنا منهم سنداً بأختامهم، وقد تحرر السند، وأخذنا بختم هندي ابن حميد الذي هو عمدة عربان عتيبة برتبة... الخ »^(١).

وقعة على آل شامر من العجمان سنة ١٢٥٦هـ :

قال ابن بشر : « وفي المحرم أمر الباشا - خورشيد - وخالد - ابن سعود - على بلدان الوشم وسدير والمحمل والعارض بالمغزا، فجهز أهل كل بلد غزوهم وسار بهم خالد إلى الخرج ومعه عبدالله بن ثنيان وقاسي بن عضييب وعربانه من قحطان، فأغاروا على آل شامر^(٢) في البياض المعروف عند اليمامة، فلم يحصلوا على طائل ورجعوا وجرح فيهم جراحات »^(٣).

(١) من وثائق الدولة السعودية الأولى، مصدر سابق، ج١، ص ٦٤٥ - ٦٥١، تقرير مؤرخ في ١٧/٩/١٢٥٥هـ. وقد صَحَّحْنَا كثيراً من الأسماء التي أوردها المؤلف بتصحيحات واضحة.

(٢) من العجمان.

(٣) عنوان المجد، مصدر سابق، حوادث السنة المذكورة.

بنو عمرو والاستيلاء على بريد عساكر محمد علي في المحرم سنة ١٢٥٦هـ :

تذكر بعض وثائق قوات محمد علي أن أفراداً من بني عمرو من حرب اعترضوا بريد محمد علي باشا بين نجد والمدينة واستولوا على مظروفات البريد ومن ضمنها البريد القادم من خورشيد باشا قائد العساكر في نجد، لكن القواد الأتراك قبضوا على اثنين من بني عمرو ووُضِعَا في السجن رهائن حين إعادة المظارييف المسروقة، فتم إعادتها^(١) .
ومما تجب الإشارة إليه أن قواد محمد علي في تلك التقارير يسمون أبناء القبائل الاشقياء أو المفسدين، في حين لا تشير تلك الوثائق إلى أسباب تمرد أبناء القبائل وسبب شقاوتهم الذي يعود في المقام الأول إلى ظلم العساكر وسوء معاملتهم للقبائل، مما يؤدي إلى حركات التمرد وأعمال الانتقام!

إشارة إلى حرب وخورشيد باشا سنة ١٢٥٦هـ :

يقول ابن بشر وهو يتكلم عن رحيل عساكر خورشيد باشا من ثرمداً متوجهاً إلى المدينة المنورة : «ثم رحل الباش ونزل الشنانة ، وأمر على عربان حرب وغيرهم برحائل تحمل العسكر وأثقاله التي في ثرمداً، فلما كان منتصف جمادى الأولى رحلت جميع العساكر من ثرمداً ولم يبق فيها إلا نحو عشرين رجلاً»^(٢) .

من أخبار قحطان سنة ١٢٥٦هـ :

يذكر ابن بشر بعد رحيل العساكر من نجد وانفراد الأمير خالد بن سعود بالإمارة، بأن خالداً جمع قوة كبيرة من أهل نجد وأمر عليها عمر بن عفيصان : «... فسار بهم، وأغار على آل روق من قحطان، وأخذ منهم إبلاً وغنماً»^(٣) .

(١) دار الوثائق القومية - القاهرة . محفظة رقم ٢٦٩ وثيقة رقم ٥١، بتاريخ ١٥/١/١٢٥٦هـ، (ص/مكتبة الملك فهد الوطنية).

(٢) عنوان المجد، حوادث سنة ١٢٥٦هـ.

(٣) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة.

من أخبار شمر وحرب وعنزة سنة ١٢٥٧هـ :

وخلاصة خبر هذه الواقعة كما تذكر المصادر التاريخية : أن أهل القصيم لم يكونوا على وفاق مع عبدالله ابن رشيد وقد تطورت الأمور إلى أن أعلن أهل القصيم الحرب على ابن رشيد، فخرج يحيى بن سليمان - أمير عنيزة - بأهل عنيزة وأتباعهم وخرج عبدالعزيز بن محمد - آل أبو عليان - بأهل بريدة وجميع بلدان القصيم، واجتمعوا على بقيقاء^(١)، نحو ستمائة مطية مردوفة، ومعهم غازي بن ضبيان وعربانه وقاعد بن مجلاد وعربانه وابن صبر^(٢) من السلاطين والصقور وجميع هؤلاء من عربان عنزة، وسار الجميع من بقيقاء، فأغاروا على وجعان الراس من شمر، فأخذوا منهم أموالاً كثيرة من الإبل والغنم والأثاث، فأراد يحيى أمير عنيزة الاكتفاء بهذا الانتصار والرجوع بهذه الغنائم ولكن أمير بريدة أصرَّ على مهاجمة ابن رشيد في حائل. فسار أهل القصيم ونزلوا بقيقاء المعروفة في جبل شمر ونزلت عربان عنزة على ساعدة - في نواحي بقيقاء -، فقسَّم عبدالله بن رشيد أتباعه من شمر وحرب إلى قسمين أغار أحدهما بقيادة عُبَيْد ابن رشيد على عربان عنزة، واستعد القسم الآخر بقيادة عبدالله ابن رشيد لملاقاة أهل القصيم .

أما عُبَيْد ومن معه فقد شنوا الغارة على بوادي أهل القصيم من عنزة وغيرهم قبل طلوع الفجر، واشتد القتال بين الفريقين إلى أن طلعت الشمس وقد خشي أمراء القصيم من وقوع الهزيمة على أصحابهم فهبوا لمساعدتهم مشاة، فانقضَّ عليهم عبدالله ابن رشيد وفرسانه نجدة لأخيه عبيد، فاستعجل عربان أهل القصيم الهزيمة، وانسحبوا عنزة من المعركة وتركوا أمراء القصيم، وتركوا يحيى بن سليمان ومن معه في مكانهم بلا ماء ولا ركاب، وانهزم أمير بريدة أيضاً ومن معه، فوقع القتال الشديد بين يحيى ومن معه وبين ابن رشيد واستمر إلى ارتفاع الشمس، فأدركهم العطش وكان الوقت صيفاً، فلم ينج منهم

(١) وتسمى بقيقاء الشمالية، وتقع إلى الشمال الغربي من بريدة على بعد ٨٠ كيلاً تقريباً من مطار القصيم الحالي، وهي قاعدة منطقة الفيلق الزراعية الآن، وسكانها البشارية من حرب.

(٢) هكذا عند ابن بشر.

إلا القليل حيث قتلوهم فرسان ابن رشيد في ميدان المعركة ما عدا يحيى فقتله عبدالله ابن رشيد صبراً. وغنم أهل الجبل الكثير من ركاب أهل القصيم وأموالهم، وصارت كسرة شديدة على أتباع أهل القصيم من عنزة^(١).

وبعد هذه الواقعة انزاح كثير من بادية عنزة شمالاً، وانتهى تقريباً تحالفهم مع أهل القصيم.

وقد انتقد شعراء القصيم موقف ابن مجلاد، لأن انسحابه كان من أسباب الكسرة عليهم، كما يقول الشيخ العبودي^(٢). وفي هذه الواقعة قال عبيد بن رشيد قصيدته التي منها:

يا مِنْ لِقْلَبِ بَيْنَ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ	هَجَسَ وَهَاجَسَ وَعَدَلُ وَمَا يَلِ
يَدِيرُهُن دَوْلَابُ الْإِفْكَارِ تَسْعِينَ	بِالْصَدْرِ يَنْشُرُ دِقْهَنَ وَالْجَلَايِلِ
أَصْبَحْتَ مِنْهُن خَالِيٍّ غَيْرِ ثَنَتَيْنِ	سِعْدَى وَمَصْقُولٍ يَدَاوِي الْقَلَايِلِ
وخماسي غَمَقٍ صَوَابِهِ وَجُوزَيْنِ	لِيَا جَذَبُوا شَرَوَا بِرُوقِ الْمُخَايِلِ
يا دارنا من جاك جيناه عجلين	بِاللَّيْلِ نَمْشِي وَالصَّفَرُ وَالْقَوَايِلِ
فان كان هم عنا بالانشاد محفين	من الراس ما يحتاج رد الرسائل
جيناً مع أول سرية فوق الالفين	كن الشهر به ديدحان المسائل
حَضَرَ الْجَبَلِ وَالْبَدْوِ نَاتِي صَلِيبَيْنِ	يَتَلَنَّنَا حَجَلَاتُ سَوْدِ الْجَدَايِلِ
من فضل وال العرش عدل الموازين	صارت على القصمان واولاد وابل
عجاجة تجلّى صدّى القلب يا حسين	دبيلة ما هي بكل الدبايل
واللي ذبّحت بشذرة السيف تسعين	منهم ولاني عن طردّهم بسايل

(١) انظر: عنوان المجد، وتحفة المشتاق، وتاريخ ابن ضويان، وتاريخ الفاخري، وتاريخ الذكير، حوادث السنة المذكورة.

(٢) معجم بلاد القصيم للعبودي، مصدر سابق، ج ٢ ص ٥٤٠ وما بعدها.

جَوْنَا يَبُون دَبَارَنَا وَ الْبَسَاتِينَ وَيَطْرُونُ مَنْزِلَهُمْ قَفَارٍ وَحَايِلَ

ونكتفي بهذا القدر من القصيدة^(١).

ولعله من الملاحظ أن عبيد ابن رشيد لم يشر بشكل صريح إلى دور حرب في هذه الواقعة، وللأسف فإن هذه عادة جرى عليها الرشيديون وشعراؤهم، حيث ينسبون المدائح للأمرأ الرشيديين فقط. ولأن الحقيقة لا بد لها من الظهور فقد جاء فيما بعد شاعر من شمرٍ ليشهد لحربٍ وشيد بدورهم في تلك الواقعة، وهو الشاعر الكبير فرج بن خربوش الشمري رحمه الله الذي يقول من قصيدة طويلة يمدح بها شيوخ حرب ويذكر موقفهم هذا مع شمر:

حَرْبٍ مِنَ الْقِبْلَةِ إِلَى أَدْنَى تَخَادِيدِ^(٢) يَامَا بِحَرْبٍ مِنْ رَجَالِ الشَّكَالَةِ

يَامَا بِحَرْبٍ مِنْ كَرَامِ صَنَادِيدِ شِيُوخٍ تَنْقُدُ مَالَهَا دُونَ حَالِهِ

ابن نَحِيْتٍ يَنْقُدُ الْمَلْحَ تَنْفِيدِ فِي كَوْنٍ (بَقَعَا) عِنْدَنَا لَهُ جَمَالِهِ

مَعَ شَمْرِ وَرَدَ عَلَى الْمَوْتِ تَوْرِيدِ أَرْخَى عَلَى حَوْضِ الْمَنَايَا حَبَالِهِ

رَبْعَهُ بَنِي سَالِمٍ عَلَى كَيْفٍ مَا يَرِيدِ يَوْمَ ابْنِ أَبِي ضَيْفٍ اللَّهُ بِرَأْيِ عِبَالِهِ

... الخ القصيدة. وهي أطول من هذا^(٣).

كما أن مؤرخ نجد الشيخ عثمان بن بشر قد أشار إلى دور قبيلة حرب في هذه الواقعة بإشارة مختصرة فقال: «وفي جمادى الأولى منها جرت الواقعة العظمى والحادثة الكبرى بين أهل القصيم وأتباعهم من عربان عنزة وبين عبدالله بن علي بن رشيد وأتباعه من شمر وحرب»^(٤).

(١) انظر: الأزهار النادية من أشعار البادية، ج ٣، ص ٨٠، محمد سعيد كمال، مكتبة المعارف بالطائف.

(٢) تخايد: موضع على الحدود العراقية السعودية.

(٣) انظر: القصيدة كاملة في كتاب: أشعار قديمة تنشر لأول مرة، للمؤلف، ج ٢، ص ٥٦، الطبعة الأولى

سنة ١٤١٢هـ.

(٤) عنوان المجد، وتحفة المشتاق، وتاريخ بعض الحوادث، وتاريخ ابن ضويان، وتاريخ الفاخري، وتاريخ مقبل

الذكر، حوادث السنة المذكورة.

ويقول رواية حرب : إن الذين اشتركوا في هذه الواقعة هم بعض قبائل مزينة برئاسة الشيخ ثواب بن نحيث، والظواهرة جماعة الشيخ شاهر بن مضيّان وكلهم من بني سالم، وقد تتبع فرسان شمّر وحرب فلول أهل القصيم وأتباعهم إلى أن وصلوا جبل أجا، وفي اليوم التالي أقام الأمير عبدالله ابن رشيد احتفالاً كبيراً حضره كبار شمّر وحرب، وأثناء ذلك قطع ابن رشيد على نفسه عهداً أن لحرب ما لشمر وعليهم ما عليهم ؛ لكن هذا التحالف لم يلبث طويلاً، وذلك لحصول خلاف بين ابن مضيّان وابن رشيد فيما بعد^(١).

ابن جفران السبيعي يناصر عبدالله بن ثنيان سنة ١٢٥٧هـ :

وخلاصة ما تذكره المصادر التاريخية : أن عبدالله بن ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان، كان قد خرج من الرياض مغاضباً لخالد بن سعود، وذهب إلى سوق الشيوخ وصار عند رئيس المنتفق عيسى بن محمد، لكن خالد بن سعود راسله وأعطاه الأمان، فظهر إلى نجد. يقول ابن بشر : «وقدِمَها في آخر رجب، فلما أقبل إلى الرياض أرسل أمامه رجلاً من أصحابه إلى خالد يخبره بقدمه، ونزل في البنية الموضع المعروف خارج البلد، فلما ظهر عليه الرجل من خالد ركب ركابه مسرعاً، وقصد حائر سبيع، وأقام عند راشد بن جفران السبيعي، وكان بينهما مصاهرة، فوعده القيام معه والنصرة له، وكتب ابن ثنيان إلى أهل الحريق والحوطة والحلوة، وذكر لهم أنه يريد إخراج العساكر من نجد.... الخ»^(٢).

من أخبار العجمان وآل مرة وبني هاجر سنة ١٢٥٨هـ :

وذلك أن عبدالله بن ثنيان لما عاد من المنتفق كما مرّ معنا في الخبر السابق، وقام معه سبيع أهل الحائر، وأهل الحريق والحوطة والحلوة وغيرهم، خرج خالد بن سعود إلى الأحساء وأقام فيها، فخرج عبدالله بن ثنيان بأتباعه واستولى على ضرماء وما حولها حتى وصل إلى الرياض وحاصرها ثم استولى عليها، فبدأ يتطلع إلى الاستيلاء على الأحساء. يقول ابن بشر وهو يتحدث عن إرسال عبدالله بن ثنيان بعض قواده لفتح جهات

(١) انظر : فصول من تاريخ قبيلة حرب، لكاتب هذا المقال - ط ١ - ١٤١٧هـ، ص ٤٧٨ وما بعدها.

(٢) عنوان المجد، وتحفة المشتاق، حوادث السنة المذكورة.

الأحساء : «وأمر على فهد بن عبدالله بن عفيصان في رجال معه من أهل الخرج والوشم وسدير يقصدون الاحساء ويكون فهد أميراً فيه نائباً لابن عمه عمر - ابن عفيصان - وكتب إلى عمر يسير بمن عنده إلى القطيف، فسار عمر ومعه فلاح بن حثلين ورجال معه من قومه - العجمان - وبني هاجر وآل مرة والعمائر، فلما وصل القطيف أطاعوا له»^(١).
ومع أننا في هذا البحث لا نتتبع أخبار القبائل التي تقع خارج نجد، إلا أننا أحياناً نورد ما له علاقة بالحكم في نجد.

وقعة بين الروسان من عتيبة والسهول سنة ١٢٥٨هـ :

قال ابن بشر : «وفيها أقبل حدجان رئيس الروسان من عتيبة من عند ابن ثنيان فلما وصل أهله جمع غزواً كثيراً، فأغار بهم على غنم بلد المجمع فآخذوها، وذلك في العشر الأواخر من رمضان. ثم أغار ثانياً على الرصعان وآل هويل من السهول وهم في أرض الشمس المعروفة - في نواحي المجمع - فأخذ أغنامهم ، ففزعوا عليه وكان قد كمن لهم، فخرج عليهم الكمين وأخذوا سلاحهم ومنعواهم على دمائهم، وبقي رجل من آل هويل يقال له مساعد بن حسن فأتى إليه حدجان على فرسه ليأخذ رمحه، فقال له مساعد : ما أغناك ما أخذت من الغنم والسلاح عن رمحي؟، ثم طعنه به فكان فيها حتفه، ومات من ساعته. فلما رأوه أصحابه - الروسان - مقتولاً عمد كل رجل على منيعه فقتله، ولم يسلم من آل هويل والرصعان إلا رجلٌ أو رجلان^(٢) ، وكان القتلى نحو عشرين رجلاً»^(٣).

أقول : وفي هذا الخبر تأريخ لوفاة حدجان بن جامع شيخ الروسان من عتيبة ، وكان له شهرة وأخبار في وسط نجد خلال تلك الفترة المضطربة من حكم العساكر للمنطقة كما مر معنا.

(١) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة.

(٢) في الأصل : رجلاً أو رجلين.

(٣) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة، حيث يختلف النص قليلاً بين بعض النسخ وخاصة نسختي مكتبة الرياض الحديثة ونسخة الدارة.

موقف بعض قبائل نجد من الصراع بين خالد بن سعود وعبدالله بن ثنيان سنة

١٢٥٧ - ١٢٥٨هـ :

أورد لوريمر ذلك بعبارة موجزة قال فيها وهو يتحدث عن منافسة عبدالله بن ثنيان وخالد بن سعود حيث رجع ابن ثنيان من الكويت إلى الرياض، وهذا نص لوريمر : «... عاد في سبتمبر سنة ١٨٤١م^(١) إلى وسط الجزيرة، واستولى على الأموال اللازمة للحرب بمصادرة ضياع شيخين من أثرياء المنطقة كانا يعارضانه، فأمر باعدامهما، وانضمت إليه قبيلة السهول وغيرها من القبائل، واستطاع أن يضمن الحيد إن لم يكن التأييد من قبائل العجمان وآل مرة وسبيع، لكن ظلت قبائل عنزة ومطير وبنو هاجر مؤيدة للأمير خالد»^(٢).

وفاة شيخ بني علي سنة ١٢٥٨هـ:

أشار الشيخ ابن ضويان في تاريخه إلى مقتل الشيخ محسن الفرم. إلا أنه أورد هذا الخبر في عبارة موجزة جداً^(٣). وأعتقد أن المقصود هو الشيخ محسن بن فرز الفرم شيخ بني علي من حرب. هذا وكان لهذا الشيخ شهرة كبيرة في تلك الحقبة التاريخية. فقد مرَّ معنا أنه شارك بقبيلته في مناخ المربع الشهير سنة ١٢٤٩هـ. كما أن له ذكراً في الوثائق التركية في آخر عهد احتلال عساكر محمد علي باشا لوسط الجزيرة العربية، كما مرَّ معنا في حوادث سنة ١٢٥٣هـ.

الدويش يتاصر فيصل بن تركي سنة ١٢٥٩هـ:

وذلك أن الإمام فيصل بن تركي بعد خلاصه من سجنه في مصر وقدومه إلى نجد للمرة الثانية، حيث نزل عند عبدالله ابن رشيد في حائل ثم ارتحل منها ونزل في عنيزة، وصار يكاتب رؤساء القبائل والبلدان لمبايعته ومناصرته لاسترداد الرياض من ابن ثنيان،

(١) هذا التاريخ يقابل شهر رجب سنة ١٢٥٧هـ تقريباً.

(٢) تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج، مصدر سابق، ص ٩٠.

(٣) مخطوطة تاريخ ابن ضويان، للشيخ إبراهيم بن ضويان، حوادث سنة ١٢٥٨هـ، وقد طبعت هذه المخطوطة حديثاً بتحقيق الشيخ إبراهيم الصغير، إلا أنه سمّاه محسن العزم، وهذا تصحيف واضح.

فأرسل أخاه جلوي بن تركي وعبيد ابن رشيد ومعهما قوة تبلغ نحو مائة رجل إلى محمد ابن فيصل الدويش وعربانه من مطير وكانوا إذ ذاك في الحمادة في نواحي الغاط، ثم إن تلك السرية ومعها الدويش وأتباعه حاولت أن ترصد عبدالله بن ثنيان في طريقه من القصيم إلى الرياض - لأنه كان في بريدة عند وصول فيصل إلى عنيزة - ولكن ابن ثنيان تمكن من الإفلات ووصل إلى الرياض^(١).

ويذكر ابن بشر أن قيام محمد الدويش بعربانه مع فيصل بن تركي كان بسبب خلافه السابق مع عبدالله ابن ثنيان.

مبايعة بعض قبائل العارض لفيصل بن تركي سنة ١٢٥٩هـ :

قال ابن بشر : « ونزل فيصل بلد شقراء، فبايعه أهلها وأهل الوشم، ثم رحل منها وركب معه أمير الوشم محمد بن عبدالكريم البواردي بغزوه وقدم حريملاء، وأقام فيها أياماً، وقدم عليه أمراء سدير بغزوهم، واجتمع به أخوه جلوي وابن عمه وعبيد ابن رشيد وأتباعهم، ووفد عليه رؤساء السهول وسبيع والعجمان وغيرهم^(٢).

وقعة بين مطير والعجمان سنة ١٢٦٠هـ :

قال ابن بشر وهو يتحدث عن أخبار هذه السنة : « وأغار العجمان ورئيسهم محمد ابن جابر الطويل ومعهم أخلاط من سبيع وغيرهم على محمد بن فيصل الدويش وعربانه من مطير وهم في ديرة بني خالد، فكثر بينهم القتال، وبرز فهاد الدحّام - من مطير - للقتال، فقتل سريعاً، فوقعت الهزيمة على الدويش وعربانه، وأخذوا - العجمان - بيته ومحله وبيوت الدويش وكثيراً من إبلهم. وسار محمد بن فيصل الدويش بعد هذه الواقعة إلى الإمام فيصل يسترفده^(٣) وهو في الدمام، فأعطاه شيئاً من الكسوة والدرهم^(٤).

(١) عنوان المجد وتحفة المشتاق، حوادث السنة المذكورة.

(٢) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة.

(٣) أي : يطلبه الرّقد، وهو المساعدة.

(٤) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة، وتاريخ الفاخري، ص ١٧٧.

غارة على بعض عربان الدواسر سنة ١٢٦١هـ :

قال ابن بشر : « وفيها غزا فيصل على آل عماير من الدواسر ، وهم قرب الأفلاج ، فسبقه النذير إليهم وانهزموا ، وليس مع فيصل في تلك الغزوة إلا أهل الرياض ، فأمر على خيالته لما بلغه أنهم انهزموا أن يغيروا على ساقاتهم ، فأدركوا غنماً فاقتطعوها ... الخ »^(١).

العجمان يأخذون حاج الأحساء سنة ١٢٦١هـ :

قال ابن بشر : « وفي آخر هذه السنة أقبل حاج كثير من الأحساء والبحرين والقطيف والعجم ، فرصد لهم في الطريق فلاح بن حثلين رئيس العجمان ومعه قومه وأناس من سبيع ، وكان حزام بن حثلين مع الحاج^(٢) ، فشنوا عليهم الغارة وأخذوا نحو نصفهم وهرب باقيهم إلى الأحساء »^(٣).

وبالمناسبة فإن هذه أول حادثة مسجلة في المصادر التاريخية النجدية المتاحة ، لأخذ الحاج في أطراف نجد منذ قيام الدولة السعودية الأولى التي رسّخت أمن الحج وفرضت احترام الحاج المسلم ، فعاش الحجاج آمنين لسنوات طويلة حتى أثناء فترات الفوضى السياسية التي أعقبت سقوط الدرعية.

مشاركة بعض قبائل نجد في قتال العجمان سنة ١٢٦١هـ :

وخلاصة ذلك أن الإمام فيصل غضب لأخذ الحاج ، فأمر بغزو قبائل العجمان ، فخرج من الرياض في آخر ذي القعدة من سنة ١٢٦١هـ وخيّم قرب بلد حريملاء واستنفر الناس للقتال ، فاجتمع عليه المقاتلون من جميع نواحي نجد ، واستلحق الدويش وعربانه وعربان سبيع والسهول وغيرهم ، وأهل جبل شمر بقيادة متعب العبدالله الرشيد الذي أحضر معه اثني عشر فرساً هدية للإمام فيصل ، كما يقول ابن بشر.

(١) عنوان المجد ، حوادث السنة المذكورة.

(٢) أي أنه كان مرافقاً للحاج ، ويسمى ذلك رَقَقاً ، بحيث يتعهد أحد أفراد القبيلة القادرين بحماية القافلة من قبيلته أثناء عبورهم ديارها . ويكون ذلك مقابل مبلغ مالي.

(٣) عنوان المجد ، حوادث السنة المذكورة.

كما يذكر ابن بشر أيضاً أن ابن هادي بن قرملة كان نازلاً بعربانه على الخفس الماء المعروف في العرمة، وقد حاول ابن حثلين أن يلجأ إليه لما سمع بخروج تلك القوات إليه، لكنه لم يلبث أن غادر ابن قرملة، لأن الأخير لم يقبل إجارته من الإمام فيصل على ما يبدو^(١). ثم يذكر ابن بشر أيضاً، أن الإمام رجع إلى الرياض بعد غزوه ذلك، الذي استغرق حوالي ثلاثة أشهر، ولما استقر بالرياض وفد عليه محمد بن هادي بن قرملة رئيس قحطان ومعه نحو من خمسين رجلاً من قومه وهديّة من الخيل، فأمر له بعتاء وكسوة^(٢).

وقائع بين شمر وعنزة في الشمال سنة ١٢٦٣هـ :

قال ابن بشر : «وفي المحرم منها أرسل عبدالله ابن رشيد رئيس الجبل إلى الإمام فيصل يطلبه النصره على قبائل عنزة، وكان قد أوقع بهم عدة وقائع وأخذ غالب أموالهم من الخيل والإبل والأغنام، فخرجت قبائل عنزة التي في نقرة الشام لمحاربة ابن رشيد نصره لمن في نجد من قبائل عنزة، فأمر الإمام على عبدالعزيز بن مشاري بن عياف أمير سدير أن يتجهز بغزو أهل سدير وأرسل إليه من الرياض نحو مائة وخمسين مطية عليها رجال من خدامه، فركب ابن عياف بهم ويغزو أهل سدير فنزل الصمان، فبلغه أن ابن رشيد قد أغار على عدوه وقضى وطره»^(٣).

من أخبار مطير مع الشريف سنة ١٢٦٣هـ :

وخلاصة ذلك كما يقول ابن بشر، أن أناساً من أهل القصيم المناوئين للإمام فيصل كاتبوا الشريف محمد بن عون وزينوا له القدوم إلى نجد. يقول ابن بشر : «فطمع الشريف في ذلك وخرج من مكة ومعه خالد ابن سعود يريد به وسيلة لبغيته ومعه عساكر من الترك وقصدوا القصيم، فقدمه في ربيع الآخر وأطاع له أهل القصيم ووفد عليه كثير من رؤساء العربان منهم شقير بن محمد الدويش... الخ»^(٤).

(١) عنوان المجد، وتاريخ الفاخري، حوادث سنة ١٢٦١هـ.

(٢) عنوان المجد، حوادث سنة ١٢٦٢هـ.

(٣) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة.

(٤) عنوان المجد، نسخة مكتبة الرياض العلمية، مصدر سابق، ج ٢، ص ١٦٥، حوادث السنة المذكورة.

وفي عبارة أخرى يقول ابن بشر : «... وأرسل إليه الحميدي الدويش ابن أخيه شقير بن محمد الدويش في رجال من رؤساء الدوشان.... الخ»^(١).

وقعة على مطير سنة ١٢٦٣هـ :

حيث أخذهم الشريف ابن عون في طريق عودته من القصيم إلى مكة بعدما فشل في حملته على نجد. يقول ابن بشر : «ورحل من القصيم في النصف من رجب، فلما وصل الحيد إذا أن الرخمان من عريان مطير قاطنين عليه - أي على الحيد وهو موضع في عالية نجد - فأخذهم وقتل منهم رجالاً، وأخذ العسكر جملة من نسائهم ، وكانوا هم أول من وفد عليه ... الخ»^(٢).

كما يذكر ابن بشر أيضاً أن الشريف أثناء قدومه للقصيم في شهر جمادى الأولى سنة ١٢٦٣هـ أرسل عساكره مع رئيسهم ومعهم عبدالعزيز بن محمد أمير بريدة، وأغاروا على عريان ابن بصيص وهم قرب الدوادمي، فما وصلوا إليهم إلا على ظمأ، فلم يظفروا بطائل، وتلف من خيلهم نحو من ستين فرساً^(٣).

مطير وحاج القصيم سنة ١٢٦٣هـ :

قال ابن عيسى في تاريخه : «وفي هذه السنة نوح الحميدي بن فيصل بن وطبان الدويش حاج القصيم على الداث»^(٤) ، وأخذ منهم أشياء كثيرة»^(٥).

وقعة بين عتيبة وقحطان سنة ١٢٦٣هـ :

لقد كنت متردداً جداً في إبراد هذا الخبر الذي أورده الراوي محمد العلي العبيد في مرويّاته المسجلة بصوته، لأن الراوي متأخر عن الحدث بحوالي مائة سنة، ولم تذكره

(١) عنوان المجد، نسخة الدارة، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤٠.

(٢) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة.

(٣) عنوان المجد، نسخة الدارة، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٤) الداث : واد وماء يقع إلى الغرب من منطقة الرس بالقصيم.

(٥) تاريخ بعض الحوادث، مصدر سابق، ص ١٧٩، وتحفة المشتاق، وتاريخ الذكير، حوادث السنة المذكورة.

المصادر المعاصرة له، إلا أنني رأيت إirاده باختصار، وخلاصة ذلك كما يقول العبيد : أن سلطان بن ربيعان كان يقيم بعربانه فوق الدفينة المعروفة في ناحية كشب بعالية نجد. وقد ركب سلطان مع مجموعة من عربيه في مديد^(١) لجهة الحوطة والحريق، وترك أخاه مسلطاً وكان شاباً عمره حوالي ٢٥ سنة عند أهله. وعندما وصل القويعية بلغه النذير بأن محمد ابن هادي قد قصد عتيبة غازياً. وأرسل سلطان نجاباً إلى أخيه مسلط هو عمر المليف من الشبة ليخبر مسلط وينذره بالغزو، وأوصاه أن يحوز الإبل إلى جبل كشب. وعندما استنذر مسلط، جمع كبار عربيه وطلب منهم عقل الإبل وتنويخها استعداداً للقتال وحماية لها من الغزاة.

وبعد ذلك يورد العبيد روايات فيها شيء من المبالغة التي لا تخلو منها الرواية العامية، ويبدو أنه ينقل روايته عن رواة من عتيبة، حيث يقول : «نوخ قبالهم ابن هادي، وهي تطلع عليه أم سلطان ومسلط، سارة بنت عيران الهيضل، وهي تدخل عليه في مجلسه وتحب^(٢) رجله، وقالت : "أنا طالبتك يا ابن هادي أن تعف عَنَّا وتكف قحطان عن الدفينة، والله ما على الماء إلا وراعين^(٣) وحريم!" .. قال : "يا أم سلطان؛ أما إبل عيالك فهي سالمة عن جيتك^(٤) ، وأما باقي عتيبة ما أقول عليها!" .. قالت : "عوق يعوق إبل عيالي ليا^(٥) وُخذت^(٦) إبل عتيبة! .. لكن أبيها خضراء مضفي عليها جلالها، وأبيها تضفي الحسنى يا ولد هادي على من فوق الماء!" .. قال : "أبدأ. أبدأ! ولا أعطاها طلبها!" . وأخذ له أربعة أيام وهو نازل قبالهم يراودهم ؛ ما قوي يصبّحهم ولا قوي يصل

عليهم، لأنهم متحزين ومعقلين الإبل ومستعدين للكون».

ثم يذكر العبيد بأن مسلط بن ربيعان في اليوم الرابع أمر على عشرين خيلاً أن

(١) المديد : هو من يذهب من الرجال في قافلة لجلب المؤونة من البلدان لعربهم.

(٢) أي : تقبل قدمه.

(٣) وراعين : أي : أطفال.

(٤) أي : مجيئك.

(٥) ليا : أي : إذا.

(٦) وُخذت : أي : أخذت.

يقوموا بالتفاف على قوم ابن هادي ويغيرون على الجيش العازب خلف خيالة قحطان، وأمرهم أن يهجموا عليه إذا نام الرعاة ويوجهونه نحو الخرمة والقنصلية. وقد نجح خيالة عتيبة - حسب ما يقول الراوي - في الالتفاف على إبل قحطان المشاركة في الغزو (وضفوها من مفلاها).

وفي صباح اليوم التالي نادى مسلط على خيالة عتيبة أن يبدأوا الهجوم، وصاح قائلاً: «عتيبة يا رفاق! فكّوا محارمكم ترى الله نوى كسرتهم ؛ جيشهم فارقههم ، ولا بقي مع ابن هادي إلا الرّجّلية والخيالة» .. ويضيف العبيد : «والعتبان ينصبون عليهم ! ويوم التفتوا قحطان إلى جيشهم ولا ^(١) ما عاد هو معهم .. والله سبحانه ينزل عليهم الهزيمة، وينكسرون كسيرة ما جرّت! والله إن واحد من المراشدة يقال له جالي العرط شايب يعلمني ^(٢) ؛ يقول : والله إذا هبّت الهبوب على الحول إن جلجلة أظفارهم إنها مثل سفير الزرع !! وقال مسلط : يا عتيبة من زين الصّمد فهو ممنوع ، تراه بوجهي ، وسمي صمد معتقاً».

ثم أورد العبيد حوالي ستة أبيات يزعم أنها لشاعر من جماعة ابن هادي، يصور شجاعة مسلط وانكسار قحطان، إلا أن الذي يظهر لي أنها أبيات ركيكة يتضح أنها مصنوعة لإثبات القصة على عادة العوام ^(٣)، ومنها :

من شاف هذة مسلطٍ ما أحدٍ هاش
يفدّهم فد الجمل للسراحين
وجو الدفينه قاطنه كل هَواش
ومزرقٍ من فوق قبّ شياهين

(١) المقصود : وإذا .

(٢) أي : يخبرني .

(٣) المصدر : شريط كاسيت بصوت محمد العلي العبيد، أمدّني به الأخ الفاضل عبدالرحمن البراهيم البسام من وجهاء مدينة عنيزة.

يوم ان ابن هادي غزاهم بأهل جاش
واهل الحَضُوب وكل من كان بالرَّين
جاهم صباح وطمعتة كل الادباش
والله نصرهم ، والقدر فيه راضين
ثم انهزمنا مع صحاري ورشراش
صَكَّت علينا خيل قوم مشارين

... الخ.

وكما ذكرت في بداية هذا الخبر، فإن أسلوب الرواية يوحي بأن الخبر لا يخلو من حشو الخيال العامي ومبالغته، مما يجعل احتمال وقوع هذا الحدث احتمالاً ضعيفاً جداً، فضلاً عن تفصيلاته بالصورة السابقة، وذلك للأسباب التالية :

- تأخر المصدر عن زمن الحدث بفترة طويلة !.
- أن راوي الخبر للعبث من الطرف المنتصر كما يبدو من سياق القصة والقصيدة!.
- المبالغة في الوصف بعبارات عامية يغلب عليها تأثير الخيال العامي بوضوح.
- نسبة القصيدة التي كلها مدح للمنتصر للطرف المنكسر!.
- عدم وجود أية إشارة لهذا الخبر في المصادر التاريخية المحايدة والمعاصرة للحدث.
- ومع ذلك فقد رأينا أن إيراد هذا الخبر مع إبداء الملاحظات أفضل من تجاهله، فربما وقع عليه أحد المؤلفين غير المحققين فنقله على علأته، حتى يصبح خبراً متواتراً.

وقعة على آل شامر سنة ١٢٦٣هـ :

وقال ابن بشر : « ثم إن الإمام أمر على ابنه عبدالله أن يسير بمن معه من المسلمين ويغير على عربان مجتمعين على النباع الماء المعروف عند القويعية من آل شامر وغيرهم، وكان قد كثر منهم الأذى على المسلمين، فصباحهم في مكانهم، وأخذ جميع أموالهم، وقتل جملة من رجالهم »^(١).

(١) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة.

وقعة على عتيبة سنة ١٢٦٤هـ :

قال ابن بشر : « وفيها سار الإمام فيصل بجنود المسلمين قاصداً عريان الدعاجين من عتيبة لأنه حدث منهم أحداث على الحاج، فلما وصل الأحور - في نواحي الوشم - أبقى خيامه وأثقاله فيه، وعدا عليهم وهم في نفود السر متنازلين مع الروقة، فصارت الوقعة على عريان الروقة وهو يظنهم الدعاجين، فأخذهم وانهمز الدعاجين لأن النذير سبقه إليهم، فلما علم أنهم الروقة أعطاهم جميع ما أخذ منهم، ورجع إلى الأحور»^(١).

وفود بعض رؤساء مطير والعجمان على الإمام فيصل سنة ١٢٦٤هـ :

يقول ابن بشر عن هذا الخبر مشيراً إلى أن الإمام فيصل جمع غزوانه من أهل القصيم وسدير والوشم والجنوب ومعه عريان قحطان وغيرهم، ونزل الأحور الماء المعروف في الوشم: « ثم رحل منه ونزل العبسة الماء المعروف عند العرض، فأقام عليه نحو شهر، وقدم عليه في ذلك المكان الحميدي الدويش وهذال بن بصيص وعدة من رؤساء مطير، وكان الإمام قد نفاهم من نجد، فتوجهوا عليه وأعطوه جملة من الخيل والركاب، فصصح عنهم. وقدم عليه محمد الطويل ومعه عدة من رؤساء العجمان، وكان قد وقع في نفسه عليهم شيء؛ لأنهم أغاروا على طائفة من المسلمين، فأتوا إليه بخيل وركاب طلبها منهم، فأخذها وعفا عنهم»^(٢).

وقعة على بعض عريان عنزة سنة ١٢٦٥هـ :

يقول ابن بشر عن هذا الخبر بعد أن ذكر نزول الإمام فيصل بجيوشه في بلد المذنب أثناء قدومه للقصيم في تلك السنة لإخماد فتنة أهل القصيم : « ثم إن الإمام بلغه أن عرباناً من عنزة من الدهامشة رئيسهم ثلاث الفنتشة نازلين على الطرفية - الماء المعروف في القصيم - فأمر على ابنه عبدالله أن يركب بجيش من المسلمين ويغير عليهم، فركب في نحو ثلاثمائة مطية.... الخ»^(٣).

(١) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة.

(٢) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة.

(٣) عنوان المجد، وتحفة المشتاق، حوادث السنة المذكورة.

ثم يذكر المؤرخ النجدي أن العرب استنذروا وارتحلوا من موقعهم، وتبعهم بعض جيش عبدالله بن فيصل وأخذوا بعض أغنامهم وأمتعتهم .
كما يذكر ابن بشر في موضع آخر، أن هذال بن بصيص شيخ برّيه كان مع جيش عبدالله بن فيصل.

الإمام فيصل يغير على عربان عتيبة على جراب سنة ١٢٦٦هـ :

قال ابن بشر : « وفيها سار الإمام فيصل بجنود المسلمين من أهل العارض والخرج والفرع والأفلاج وسدير والوشم وغيرهم من رعاياه، وسار معه كثير من عربان نجد من قحطان وسبيع والسهول وغيرهم، وقصد جهة الشمال، وأغار على عربان عتيبة وهم في أرض جراب الماء المعروف، فسبقه النذير إليهم، فهربوا بأموالهم وأهاليهم ورئيسهم الهيضل، ونزلوا قبة الماء المعروف - شمال شرق القصيم - وكان عليه ابن بصيص وعربانه من برّيه ، فلما علم الدويش بذلك أقبل ونزل على الماء، فرحل الإمام فيصل من جراب وعدى عليهم، فلما نزل قريباً منهم وأراد أن يشن عليهم الغارة، ركب إليه الدويش ورؤساء عربانه وساقوا إليه هدايا، وطلبوا منه الصفع والعفو، فصفع عنهم... الخ»^(١).

عبدالله بن فيصل يغزو عتيبة سنة ١٢٦٦هـ :

وخلاصة ما يذكره ابن بشر : أن عبدالله بن فيصل خرج من الرياض تاسع عشر ذي الحجة سنة ١٢٦٦هـ ومعه جنود كثيرة من أهل نجد - ما عدا أهل القصيم - وسار معه كثير من عربان قحطان وسبيع والسهول وغيرهم، ونزل القويبة^(٢) ، ثم رحل منها ونزل الشبّكة^(٣) ، ثم ورد ماء المصلوب^(٤) في نواحي جبل النير المشهور في عالية

(١) عنوان المجد، نسخة الدارة، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٤، وفيها تفاصيل أكثر من نسخة مكتبة الرياض الحديثة.

(٢) القويبة : بلدة عامرة وهي قاعدة منطقة العُرض، وتقع القويبة إلى الغرب من مدينة الرياض على بعد ٢٥٠ كم ويخترقها خط الرياض الطائف السريع.

(٣) الشبّكة : موضع قديم في عالية نجد، ويرى الشيخ ابن خميس أنها هي التي يطلق عليها الآن دغيبجة قرب مَرَّان، (انظر : المجاز، مصدر سابق، ص ١٩٥).

(٤) المصلوب وأصلها المصلوق : موضع يقع إلى الشرق من جبل النير المشهور في عالية نجد، وتصحّف أحياناً عند البادية فيسمونها : المصلوم؛ بالميم في آخرها، (انظر : مجلة العرب، المجلد ٤، ص ٦٥٦).

نجد فانضم إليه غزوان قحطان مع رئيسهم محمد بن هادي بن قرملة، ثم رحل إلى الحناج^(١)، وعدى على مرزوق الهيصل وعربانه^(٢) من عتبية وهم على الثعل^(٣)، فسبقه النذير إليهم فهربوا ونزلوا مع ابن ربيعان، ونزل عبدالله على الثعل، ثم رحل قافلاً^(٤).

الخلاف بين قبائل مطير سنة ١٢٦٧هـ :

وذلك أنه حصل خلاف وانشقاق وتقاتل بين قبائل علوى وبريه وهما الجذمان الرئيسان لقبيلة مطير، وقد أشارت إلى هذا الخبر بعض المصادر النجدية مثل تاريخ ابن عيسى وغيره، إلا أنها لم تورد تفاصيل كافية عن المقاتلات العنيفة التي حصلت بين شيوخ علوى وشيوخ بريه، حيث اكتفى ابن عيسى بالعبارة التالية : (وفي سنة ١٢٦٧هـ وقع الحرب الشديد بين علوى وبريه)^(٥).

وقد استمر الخلاف بين القبيلتين إلى سنة ١٢٧٥هـ حيث قال ابن بسام في تحفة المشتاق، «وفيها تصالحوا علوى هم وعربان بريه بعد حروب وقعت بينهم، قتل فيها خلائق من الفريقين»^(٦).

وقعة على بعض عربان مطير سنة ١٢٦٨هـ :

قال في تحفة المشتاق بعد أن ذكر وصول الإمام فيصل بن تركي إلى المجمع غازياً : «ثم ارتحل من المجمع بمن معه من الجنود وأغار على الصهبة من مطير على الجماجم - موضع شرق الزلفي - وأخذهم»^(٧).

(١) الحناج : من مياه جبل النير، (المجاز بين اليمامة والحجاز، مصدر سابق، ص ٨٠).

(٢) في هذا إشارة إلى أن المقصود عرب الدعاجين من عتبية، وهم جماعة الهيصل.

(٣) الثعل : ماء قديم يقع في وادي يسمى بنفس الاسم يقع جنوب وادي الذنائب في عالية نجد، (المجاز، مصدر سابق، ص ١٦٧).

(٤) عنوان المجد، حوادث السنة المذكورة.

(٥) انظر : تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد : تأليف : إبراهيم بن صالح بن عيسى - ط ١ - الرياض :

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٦م ، ص ١٧١ .

(٦) تحفة المشتاق، مصدر سابق، حوادث السنة المذكورة.

(٧) تحفة المشتاق، حوادث السنة المذكورة.

وقعة على مطير وأخرى على عتيبة سنة ١٢٦٨هـ :

قال في عقد الدرر : « وفيها قدم المدينة عساكر كثيرة من جهة والي مصر عباس باشا بن أحمد طوسون بن محمد علي ... فلما كان في جمادى الآخرة خرج محمد بن ناصر من المدينة بتجريدة من الأتراك، وانضم إليه كثير من بادية حرب، فأغار على ابن سقيان من بني عبدالله على الفوارة، وأخذهم».

ثم قال : « وبعد ذلك بأيام خرج المذكور من المدينة ومعه عساكر كثيرة من عربان حرب، وأغار على العُضَيَّان عرب الضُّيْط (من عتيبة) على الدفينة، فأخذهم، ثم رجع إلى المدينة»^(١).

غارة للإمام فيصل بن تركي على الجبيلان من مطير سنة ١٢٦٩هـ :

أشار إلى هذا الخبر ابن بسام في تحفة المشتاق، وقال بعد أن ذكر خروج الإمام فيصل من الرياض للغزو ونزوله على رماح : « ثم ارتحل بمن معه من الجنود، وعداً على الجبيلان من مطير، فصَبَّحهم على الوفراء، وأخذهم، ثم رجع إلى وطنه»^(٢).

معركة بين عتيبة وقحطان سنة ١٢٦٩هـ :

أشار إلى هذا الخبر محمد بن بليهد فقال وهو يتحدث عن وادي الرشا : « وفي هذا الموضع بعينه يوم من أيام العرب المتأخرين في سنة ١٢٦٩هـ، بين عتيبة وقحطان، رئيس عتيبة تركي بن حُمَيْد وبعضه من رؤساء عتيبة رؤساء الروقة وغيرهم، ورئيس قحطان محمد بن هادي بن قرملة، فكانت الهزيمة على قحطان، وانتصر العتيبان»^(٣).

ونقل عنه الشيخ أبو عبدالرحمن الظاهري، لكنه أشار إلى أن الواقعة كانت بوادي الشعراء^(٤).

(١) عقد الدرر، لابن عيسى، مصدر سابق، ص ١٠.

(٢) تحفة المشتاق، مصدر سابق، حوادث السنة المذكورة.

(٣) صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار . محمد بن عبدالله بن بليهد . - ط ٣ - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ١، ص ١٤٦.

(٤) تاريخ نجد في عصور العامية، ص ١٠، ج ٣٢١/١.

أقول : ولكن الذي يجب ملاحظته على هذا الخبر، أن ابن بليهد متأخر عنه، ولم تشر له المصادر المعاصرة له، مما يعني أن المؤلف نقله عن رواية متأخرين، ولا أشك أنهم من الطرف المنتصر!

والأغرب من ذلك أن العُبَيْدُ أورد خبر وقعة مسلط بن ربيعان مع محمد بن هادي بن قرملة سنة ١٢٦٣هـ، كما مر معنا، ولم يورد هذا الخبر، والمقصود أن الأخبار التي يوردها كُتَّاب متأخرون عنها دون الاعتماد على مصادر معاصرة للحدث ومحيدة، ينبغي التثبت منها! كما أنني لا أستبعد أن تكون مثل هذه الأخبار مرتكزة على التصور الذهني لكثير من الرواة العوام وخاصة من عتبية، بشأن إخراج عتبية لقحطان من نجد وما يتطلبه ذلك من وقائع وانتصارات في الخيال العامي!

من أخبار عنزة وعتبية سنة ١٢٧٣هـ :

أشار الفاخري بعبارة موجزة إلى هذا الخبر في حوادث سنة ١٢٧٣هـ، حيث قال : « وفيها أخذ عبدالله ابن الإمام عنزة في الدهناء، وعتبية على شبيرمة »^(١).

أقول : شبيرمة موضع في عالية نجد^(٢).

ويورد العُبَيْدُ تفصيلات أكثر عن هذا الخبر مع أنه متأخر عنه حيث يقول : « وفي سنة ١٢٧٣هـ غزا عبدالله بن الإمام فيصل، فأغار على ابن مجلاد ومن معه في الدهناء، فأخذ عليهم إبلاً كثيرة، وكان عبدالله قد واعد طلال بن رشيد للغزو معه، فلما فرغ عبدالله من توزيع الغنائم ارتحل إلى زروود^(٣)، فوجد طلال^(٤) ينتظره بزروود ومعه

(١) تاريخ الفاخري، مصدر سابق، حوادث السنة المذكورة.

(٢) لم أجد لها ذكراً في كتاب "المجاز" لابن خميس، لكنه ذكر الشبرمية، مما يعني أنها ليست من المواضع القديمة، لكنها الآن هجرة عامرة تقع شمال غرب محافظة الدوادمي على بعد ١٢٤ كم، ورئيسها الشيخ عبدالعزيز بن رازن من عتبية، (هجر قبيلة عتبية، يوسف السليس العتيبي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ، ص ٦٢، وعالية نجد، لابن جنيد، ج ٢، ص ٧٣٢).

(٣) منهل لقبيلة شمر، تابع لمركز تربة في منطقة حائل، (المعجم الجغرافي للبلاد السعودية . حمد الجاسر . - ط ١ - ١٣٩٧هـ، ص ٥٤٢).

(٤) هكذا في الأصل، والصحيح : طلالاً.

أهل الجبل حاضرة وبادية، فارتحل بمن معه وصَبَّح مسلط بن محمد بن ربيعان على شبيرمة، فأخذهم، ثم أغار على الروسان جماعة ابن جامع وهم على الرشاوية، فأخذهم، ثم إنه أنكف على الشعراء ونزل عليها، وقسم الغنائم»^(١).

مطير يأخذون الحاج سنة ١٢٧٣هـ :

قال في تحفة المشتاق : «وفي هذه السنة نَوَّح ابن مهيلب شيخ الوساما من بُرَيْه من مطير حاج أهل عنيزة على الداث - شعيب في ناحية القصيم الغربية - وطلب منهم أشياء فامتنعوا، وحصل بينه وبينهم كلام فغضب، وأمر من معه من العريان بأخذ الحاج، فأخذوهم»^(٢).

مناخ الملباء بين حرب وعتيبة سنة ١٢٧٤هـ :

بعد هذا المناخ من المناخات المهمة بين حرب وعتيبة، حيث دام أكثر من شهرين وقُتل فيه ما يزيد على مائة نفس أكثرهم من عتيبة كما يذكر المؤرخون الذين عاصروه، ومع هذا فلم يجد هذا المناخ الاهتمام الكافي من مؤرخي المنطقة المعاصرين حيث أشار إليه قلة منهم باختصار شديد جداً^(٣)، ولا يستغرب من مؤرخي القصيم عدم الاهتمام بهذا المناخ الذي لا علاقة له بأمرائهم وبلدانهم.

وقَعَ هذا المناخ في الأطراف الشمالية الغربية للملباء شرقاً عن جبل ساق المشهور في تلك الناحية وبهذا فهو يعد المناخ الوحيد تقريباً الذي وقع بين الفريقين شمال وادي الرمة. قال العُبَيْد في النجم اللامع : «وفي سنة ١٢٧٤هـ حصل المناخ المشهور في موضع ملباء حرب، وهو موضع معروف قرب ساق الجواء، والمناخ هذا بين ابن نحيت والذويبي من

(١) النجم اللامع للنوادر جامع، مخطوطة، تأليف : محمد العلي العُبَيْد من أهل عنيزة، ص ٥٠.

(٢) تحفة المشتاق وتاريخ بعض الحوادث وتاريخ مقبل الذكير، ومخطوطة محمد العلي العُبَيْد، حوادث السنة المذكورة.

(٣) انظر : عقد الدرر لابن عيسى، ومذكرات الشيخ محمد بن مانع، ومخطوطة النجم اللامع للشيخ محمد العُبَيْد، حوادث السنة المذكورة، والأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية للدكتور السلطان، ص ١٧٣.

حرب وبين مسلط بن ربيعان والروقة من عتيبة . وقد دام المناخ قريباً من شهر، فكان الروقة ينتظرون فزعة تركي بن حميد لهم، فأبطأ عليهم، فانهزموا الروقة ورئيسهم ابن ربيعان، فلما نزل تركي بن حميد قصر ابن عقيل قادماً مددهم قابله فلول هزائم الروقة في تلك^(١) الموضع، فرجع من مكانه، ويقول شاعر من حرب :

يا حادر تبى المكيئل دوك المليدا مدها^(٢)

يشيل كبله في زيل عقب القروف وشدها^(٣)

وقتل من الروقة في هذا المناخ ستين^(٤) رجلاً ومن حرب نحو الخمسين^(٥).

والروايات عن أسباب هذه الواقعة كثيرة لكن يمكن تلخيصها في أن عتيبة أرادوا أن يجتازوا وادي الرمة الذي يعد ضمن ديار حرب، ليُرَبَّعوا في المليداء، فارتحلوا من الشقيقة^(٦) ونزلوا قرب البدائع، ثم ارتحلوا واجتازوا الوادي ونزلوا في ضفته الشمالية، ثم ارتحلوا في مرحلة أخيرة ونزلوا في المليداء.

وبدوا أن الموجودين من شيوخ حرب لم يوافقوا على ذلك فأخبروا رؤساء عتيبة أنهم لن يسمحوا لهم بالنزول في مراعي حرب، ونتيجة لتصميم كل من الفريقين على موقفه دقت طبول الحرب، واستعد القوم للنزال والقتال.

(١) هكذا في الأصل، والصحيح : ذلك .

(٢) معنى البيت : أن الشاعر يدعو من يريد أن يذهب للقرى لجلب المدد من المأكولات والمؤن أن يذهب إلى المليداء ليأخذ من جرائر عتيبة وأمتعتهم التي تركوها في المعركة، وهذا كناية عن شدة الهزيمة.

(٣) ورد عند العبيد هكذا : "قام ينقل كبله في زيل.... الخ البيت". إلا أن هذا غير مستقيم الوزن، وقد أوردناه بالرواية المستقيمة التي رواها لي الراوي : ندا بن فرحان البعيثي من الفردة من حرب. كما أن هناك من يرويه على النحو التالي:

عقب العسايف والاصيل على الصعاب يشدها

والمعنى أنهم لم يجدوا ما يركبون بعد هذه الواقعة إلا أصعب الإبل وهي التي لم تعسف ولم تهيأ للركوب.

(٤) الصواب : ستون.

(٥) النجم اللامع، مصدر سابق، حوادث السنة المذكورة.

(٦) الشقيقة : منطقة مراعي مشهورة تقع جنوب مدينة عنيزة في القصيم.

وكان رؤساء عتيبة الشيخ مسلط بن ربيعان شيخ الروقة والشيخ الهضيل والشيخ الشيباني وغيرهم. أما رؤساء حرب في أول الأمر فهم الشيخ بدر الفرم شيخ بني علي والشيخ ضيف الله الذويبي شيخ بني عمرو ومعهم الشيخ فايز بن مريخان شيخ الجملاء من بني سالم وزايد بن حماد شيخ الفرذة وغيرهم .

وبدأت المناوشات وطراد الخيل واستمروا على ذلك عدة أيام ثم تناوخوا للقتال وطال الصراع بين الفريقين، وأثناء ذلك أرسل رؤساء مسروح إلى الشيخ شبيب بن نحيث شيخ قبيلة مزينة من بني سالم من حرب ، فأقبل بقومه ، واشتركوا في القتال إلى جانب حرب . واقتتل الفريقان قتالاً شديداً، لكن المعركة انحلت عن تراجع عتيبة عن محلتهم وأخذ الحروب حلّة عتيبة، واستولوا على كثير من مواشيهم وأمتاعهم وكان من أهمها بيت الشيخ ابن ربيعان كما يقول رواة حرب. والذين أخذوه هم الجملاء من بني سالم من حرب جماعة الشيخ ابن مريخان وأهدوه على الشيخ بدر الفرم، وفي ذلك يقول شاعرهم من قصيدة طويلة :

يا الفرم بَيْتَ الشَّيْخِ جَبْنَاهُ حِنًا
جَبْنَاهُ مِنْ بَيْنِ الْجُمُوعِ اجْهَارُ
جَوًّا بِهِ هَلَ الْعَرَقَاءُ عَلَى وَسْقِ ضَمْرٍ
صُنْفَرٍ يَخْلُكُنَ الْعِظَامَ كُسَارُ

وأهل العرفاء هم الجملاء من الرحلة من حرب. ويقدر المؤرخون قتلى عتيبة بستين رجلاً وقتلى حرب بخمسين رجلاً. ولا شك أن هذا المناخ الطويل قد أوجع الفريقين لكن وطأته على عتيبة كانت أشد حيث ذهب كثير من حلالهم وأموالهم وهزلت مواشيهم وركائبهم، كما تشير إلى ذلك الأبيات الساخرة التي منها :

يَا حَادِرِ تَبَى الْمِكِيلُ عَانَ الْمَلِيدَا مَدَهَا
يَا مَدَّةٍ مَا مِنْ حَصِيلٍ يَا لَيْتَ رَيْي لَدَهَا

ويتناقل رواية حرب أيضاً أبياتاً أخرى ينسبونها إلى بعض عتيبة يلومون الشيخ مسلط بن ربيعان على الدخول في هذا المناخ، ولا يتسع المجال لإيرادها هنا. إلا أنني لا أستبعد أن تكون تلك الأبيات من مبالغات العوام من الطرف المنتصر وهي بهذا تشبه إلى حد كبير الأبيات التي أوردها العبيد في مناخ الدفينة السابق بين عتيبة وقحطان!

وقال شاعر من حرب يخاطب الشيخ ابن ربيعان^(١):

عيون الجُومَا مَعَ ساقِ وَاوْثَالِ وَالْغَافِ
قَبْلِكَ حَدِيثُنَا بِرَجَسِ الشَّيْخِ عَنْهُمْ
جَوْنًا وَجِيْنَاهُمْ عَلَى كُلِّ مِزْهَافِ
يَا مَا حَدِيثُنَا الْوَائِلِي عَنْ نِزْلِهِنْ

ومن الأشعار التي قيلت في هذا المناخ أيضاً ما قاله الشاعر نابل البشري المزني من بني سالم من حرب مفتخراً باستيلاء قومه على بيت الشيخ ابن ربيعان ومخاطباً الشيخ الفرم:

يَا سَامِعِينَ الصَّوْتِ صَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ
صَلُّوا عَلَى نَبِينَا الْمُخْتَارِ
قَالَ الْمَزْنِيُّ وَانْ بَدَا بِالْمَشَايِلِ
مِنِّي عَلَى غَيْرِ الْفَهْمِ غَسَّارِ
سَارُوا وَسِرْنَا ثُمَّ نِخْتَا وَنَوَّخُوا
وَالْحَقِيلِ تَدَبُّ وَالْجُمُوعِ كُبَّارِ^(٢)
شَادَيْتَ لِلْجَمْعَيْنِ سَاعَةَ تَوَاقَفُوا
كَمَا هَدَيْتَ الشَّامَ بِالْمَزَارِ^(٣)

(١) معجم بلاد القصيم للعبودي ج ٤ ص ١٧٩١ رسم عيون الجواء.

(٢) الخيل تدب : كناية عن استعداد الخيول للطراد، وتدب : فعل بصيغة المجهول أي تؤدب وتروض للقتال.

(٣) شاديت : أي شبهت، وهديب الشام : اسم يطلق على محمل الحج الشامي الذي يتقدمه جمل صخم تحيط به جموع الحراس والحجيج فيكون منظره مهيباً.

رَبِّعِي بَنِي سَالِمَ كَمَا جَبَسَ ظَالِمٌ
جَمَعَ عَلَى كُلِّ الْجُمُوعِ دَمَارٌ
مَعَ رَاعِي الْحَيَازِ مَطْوُوعٌ حَرِيبُهُ
لَبَا جَا نَهَارٍ زَادَ فِي نَهَارٍ^(١)
بَثْنِي بِمَذْلُوقِ الْعَرِينِي وَسَابِقِهِ
قَفَوُ السَّرَايَا كِنْتَهَا بِهَجَارٍ^(٢)
بِالْفَرَمِ بَيْتَ الشَّيْخِ جِئْنَاهُ جِنَا
جِئْنَاهُ مِنْ بَيْنِ الْجُمُوعِ أَجْهَارٌ
جَوَّاهُ بِهِ هَلَّ الْعَرَقَاءُ عَلَى وَسْقٍ ضَمُرٌ
صُفْرٌ يَخْلَنُ الْعِظَامَ كُسَارٌ

...الخ^(٣).

وحتى لا يقول قائل لماذا ضعفنا رواية العبيد لناخ الدفينة وسكتنا عن روايته هنا، فأقول : إن رواية العبيد هنا أقوى منها هناك وذلك للأسباب التالية :

- أن العبيد أقرب زمناً ومكاناً لهذا الموقع من ذلك !

- أن هناك تقارباً في نتيجة المعركة من حيث عدد القتلى، مما يعني واقعية الزواية وعدم تحيزها الواضح لطرف دون الآخر.

- أن العبيد لم ينفرد بهذا الخبر حيث أشار إليه ابن عيسى بعبارة مختصرة، حيث قال في حوادث سنة ١٢٧٤هـ : « وفيها تناوخت عتيبة وحرب بالقرب من ساق، فحصل بينهم قتال شديد،

(١) راعي الحيزا هو الشيخ شبيب بن نحيث.

(٢) يثنى : أي يثبت في القتال لحماية قومه، مذلولق العريني : أي السيف وهذا كناية عن شجاعته وثباته، سابقه : أي جواده، قفو السرايا : أي خلف الجموع. كنها بهجار : أي كأنها مقيدة من شدة ثباتها.

(٣) روى تفاصيل هذه الواقعة كل من : الشيخ هلال البديرائي من بني عمرو وهو من مواليد سنة ١٣١٢هـ رحمه الله والشيخ عبدالله بن مضيان أمير بلدة مدرج والشيخ محمد بن زيدان السليمي من حرب والشيخ طلال بن يوسف الذويبي والأستاذ الراوية عبدالرحمن بن إبراهيم البطحي ساكن عنيزة، وغيرهم.

وصارت الهزيمة على عتيبة، وقتل منهم ستون رجلاً ومن حرب نحو خمسين رجلاً^(١). وبهذه المناسبة أود أن أشير إلى أن كثيراً من الرواة يخلطون بين أخذة بيت ابن ربيعة في هذا المناخ وبين شقة بيت ابن حميد يوم الهيشة، ومن الذين وقعوا في هذا الخطأ عاتق البلادي وكل من نقل عنه.

كما يذكر بعض رواة قبيلة حرب بعض القصص والحكايات المبالغ فيها حول هذه الواقعة، ومن ذلك مثلاً أن الشيخ تركي بن حميد كان في أحد الأيام يصلي يقومه في ميدان المعركة صلاة العصر، ولما رأى طلائع جيش ابن نحيث لما قدم مدداً لحرب، فارتبك ابن حميد في صلاته وجهر بالقراءة... الخ تلك الرواية، وأعتقد أن هذه القصة لا أساس لها، حيث يتفق رواة عتيبة أن ابن حميد لم يحضر ذلك المناخ.

وقعة على عتيبة على دخنة سنة ١٢٧٤هـ :

أشار إلى هذا الخبر الشيخ أبو عبدالرحمن الظاهري بعبارة موجزة، حيث قال :
(أغار الإمام فيصل على ابن حميد بدخنة، وقال فيها تركي قصيدة:

يا سابقي صكوا علينا القبائل

الحضر والبدوان راحوا نحيبة

... الخ).

إلا أنه لم يذكر المصدر، حيث لم يرد لهذا الخبر أية إشارة في المصادر النجدية المتداولة^(٢)، ولعل للإشارة الموثقة في الخبر التالي علاقة بهذا الموضوع .

رسالة من الإمام فيصل بن تركي لبعض شيوخ عتيبة سنة ١٢٧٥هـ :

تفيد الرسالة التاريخية التالية بين الإمام فيصل بن تركي وبعض شيوخ عتيبة وبالأخص الشيخ تركي بن حميد بإعطاء صورة أكثر وضوحاً عن العلاقة بين قبائل برقاء

(١) عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر، تأليف : الشيخ إبراهيم ابن صالح بن عيسى النجدي، ذيل على كتاب عنوان المجد لابن بشر، حوادث السنة المذكورة.

(٢) تاريخ نجد في عصور العامية. مصدر سابق، ج ١/١٦٢ .

والإمام فيصل سنة ١٢٧٥هـ، وهذا نصها :

(بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من فيصل بن تركي إلى الأخ تركي بن حميد وقعدان ابن جامع وعمر أبو رقية. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد؛ تفهمون أن كمام^(١) الإسلام بلغكم أنتم وكافة العربان والكل سامع مطيع إن شاء الله، ولكن لا بد من المواجهة وتجديد العهد على الإسلام إن شاء الله . وألقوا علينا شيوخ العربان وبايعوا، وأنتم بلغتكم الخطوط ولا بَعْدَ واجهتوا. وألقى علينا مرزوق الهیضل وطلب منا لكم أمان؛ تواجهون فأنتم أقبلوا بايعوا على الإسلام، وناصوا^(٢) عما رُمي عليكم عقب الكمام، لأن الذي قبل الكميمة للبادية ما يلزمنا، وأنتم في وجه الله ثم في وجهي تجونا^(٣) ظالمين وترجعون سالمين . ٤ ربيع الثاني سنة ١٢٧٥هـ)^(٤).

صورة كتاب فيصل إلى امير نجد

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي الخليفة تركي بن حميد وقعدان بن جامع وعمر أبو رقية سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد
نعمون ان كمام الاسلام بلغكم انتم وكافة العربان والكل سامع مطيع ان شاء الله ولكن لا بد من المواجهة وتجديد
العهد على الاسلام ان شاء الله والفواعلنا شيوخ العربان وبايعوا وانتم بلغتكم الخطوط ولا بعد واجهتوا
علينا مرزوق الهیضل وطلب منا لكم امان تواجهون فأنتم اقبلوا بايعوا على الاسلام وناصوا عما رُمي عليكم
الكمام لذ الذي قبل الكمام ببادية ما يلزمنا وانتم في وجه الله ثم في وجهي تجونا ظالمين وترجعون سالمين . ٤ ربيع الثاني سنة ١٢٧٥هـ

صورة الرسالة المرسلة من الإمام فيصل بن تركي إلى تركي بن حميد

- (١) الكمام : المقصود به الدخول في تبعية الحاكم بعد قبض الزكاة من القبيلة ومشاركتها في غزوات الإمام ومعاهدتها له، فيكون ذلك مانعاً لهم من الاعتداءات منهم أو عليهم، ولذلك يسمى الكمام.
- (٢) ناصوا عما رُمي عليكم عقب الكمام : أي : ادفعوا التهم الموجهة إليكم، والتي ارتكبت بعد الكمام وهو المبايع.
- (٣) تجونا : أي : تأتوننا، ومعنى الجملة : أنا أعطيتكم الأمان.
- (٤) مجموعة الوثائق الوطنية - دارة الملك عبدالعزيز، رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى تركي بن حميد، مؤرخة في ٤/٤/١٢٧٥هـ.

من أخبار القبائل في نجد (١٢٠٠ - ١٣٠٠ هـ)

[٤]

توضيح :

إن الهدف من تتبع الأخبار المتعلقة بالقبائل النجدية خلال القرن الثالث عشر الهجري كما وردت في المصادر التاريخية : هو دراسة حركة القبائل وتموجاتها ومواقفها السياسية في نجد دراسة أكثر واقعية من تلك التصورات أو الدراسات التي اعتمدت على الشعر العامي وعلى روايات المتأخرين من كبار السن التي لا تخلو في كثير من الأحيان من الأخطاء والمبالغات .. كما أن هذه الدراسة لا تهدف التشهير بالشخصيات أو القبائل الواردة في البحث ، أو انتقاد مواقفها المتباينة ؛ لأن تلك المواقف حدثت في ظروف متقلبة وأحوال سياسية مضطربة ، وأملتها عوامل ومصالح ارتبطت بتلك الظروف ؛ مما يجعلنا نسجلها للعلم والدراسة بعد أن صارت جزءاً من تاريخ بلادنا .. وتلك أمة قد خلت، وعفا الله عن الجميع .. ومما تجب الإشارة إليه أيضاً أن هذا البحث يتعلق بالقبائل البدوية التي تمارس الانتقال والترحال ، ولا يشمل أخبار القبائل المتحضرة المستقرة في الحواضر النجدية .

فائز بن

موسى

البدراني

الحري*

* بكالوريوس - علوم

إدارية - جامعة

الإمام محمد بن

سعود الإسلامية،

١٤٠٧ هـ .

- ماجستير في

إدارة المستشفيات

- جامعة الملك

سعود، ١٤١٠ هـ .

- دورة متقدمة -

دبلوم - الثقافة

الصحية - جامعة

فيرجينيا -

أمريكا .

- له عدد من

الإصدارات

والمقالات

والأبحاث الأدبية

والتاريخية .

- يعمل الآن

مستشار بحوث

تاريخية في دارة

الملك عبدالعزيز.

ذو الحجة ١٤٢٣ هـ

مارس ٢٠٠٢ م

الصحيفة

السنة الخامسة

العدد العشرون

٨٠

وقعة على مطير في أرض الزلفي سنة ١٢٧٧هـ :

قال ابن عيسى في تاريخ بعض الحوادث : «ثم أغار - أي عبدالله بن فيصل - على عريان ابن سقيّان بالقرب من الزلفي في الموضع المسمى بالمنسف : فأخذهم ، وقتل منهم حمدي بن سقيّان وعدة رجال غيره»^(١) .. وحدّد الفاخري تاريخ هذه الوقعة في ١٠/٧/١٢٧٧هـ .

أقول : وابن سقيّان من شيوخ بُريّه من مطير ، وأما المنسف فهو من قرى الزلفي^(٢) ، وأهله أسرة آل غزيّ من البدارين من الدواسر .. اشتهر بهم هذا المكان واشتهروا به ، وعرف هذا الموقع وأهله بالكرم أيام الكرم يعني شيئاً كثيراً للناس ، وقد قيل فيه بعض الأشعار العامية المشهورة عند الرواة التي يضيق المجال عن استعراضها هنا .

عبدالله بن فيصل يأخذ عتيبة على الدوامي سنة ١٢٧٧هـ :

وذلك أن عبدالله بن فيصل ارتحل من الزلفي ونزل بريدة وأقام فيها شهراً ثم ارتحل منها ، وعدا على بعض عريان من برقا من عتيبة ورؤسائهم ابن عقيل والحساوي وابن حجنة ومن معهم من العصمة والنفعة وهم على الدوامي ، فصباحهم وأخذهم ، ثم ارتحل إلى الرياض في شهر ذي الحجة^(٣) .. وقرّر الذكر في مخطوطته : أنهم الروسان من عتيبة^(٤) ، غير أن ما ذكرته المصادر الأخرى من

(١) انظر : تاريخ بعض الحوادث ، ابن عيسى ، وتحفة المشتاق للبسام ، وتاريخ العبيد ، حوادث السنة المذكورة ، وتاريخ الذكر ، وتاريخ الفاخري ، ص ١٨٤ .

(٢) انظر عن المنسف : معجم اليمامة ، تأليف : عبدالله بن خميس - ط ١ ، ١٣٩٨هـ ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ .

(٣) انظر : تحفة المشتاق ، وتاريخ الفاخري ، وتاريخ العبيد ، حوادث السنة المذكورة .

(٤) مخطوطة الذكر ، ص ٣ ، حوادث السنة المذكورة .

تسمية الرؤساء السابقين وهم ابن عقيل والحساوي وابن حجة يدل على أنهم غير الروسان ؛ لأن ابن عقيل من شيوخ الدعاجين وابن حجة شيخ النفعة .. ويمكن الجمع بين الروايتين بكون الروسان معهم أيضاً .

عبدالله بن فيصل يغير على مطير سنة ١٢٧٨هـ :

قال في تحفة المشتاق : «في هذه السنة غزا عبدالله بن فيصل ، وتوجه إلى الجبلان من مطير وهم على اللهاية ، فصباحهم وأخذهم»^(١) .
أقول : واللهاية الآن من هجر مطير في شمال شرق المملكة .

قحطان يهاجمون عنيزة سنة ١٢٧٨هـ :

قال في تحفة المشتاق أيضاً : «وفيها وقع اختلاف بين فيصل بن تركي وأهل عنيزة ، فأرخص فيصل لبادية قحطان أن يغيروا على عنيزة ؛ فأغاروا عليها ولم يظفروا بشيء» .. وقال العبيد : «وفي شعبان من هذه السنة وقع الحرب بين الإمام فيصل وأهل عنيزة ، فأمر الإمام فيصل على العربان أن يغيروا على أطرافها ، فأغار عليها آل عاصم من قحطان في آخر شعبان ، وأخذوا أغناماً»^(٢) .

أقول : ويُستفاد من هذا الخبر ، حضور قبائل قحطان ، وأنهم من القبائل الموالية للدولة السعودية الثانية كما كانوا موالين للدولة السعودية الأولى .. ومما تبغي ملاحظته هنا أن سيطرة قبيلة قحطان وقوتها وحضورها في نجد مرتبط بوضع الدولة السعودية ، لا كما يُشيع بعض العوام من أن القبيلة الفلانية هي التي أضعفت سلطة قحطان على نجد .

(١) تحفة المشتاق ، حوادث السنة المذكورة .

(٢) انظر : عقد الدرر وتحفة المشتاق ، وتاريخ العبيد ، حوادث السنة المذكورة ، وكذلك الأحوال السياسية في القصيم ، ص ٢٠٢ .

غارة للإمام عبدالله بن فيصل على الجملاء من حرب سنة ١٢٧٩هـ :

قال الفاخري : «وفي تسع وسبعين ومايتين وألف في المحرم أخذ عبدالله بن فيصل حرب يم^(١) بقيعا اللهيبي ، وقتل منهم خلق كثير»^(٢) .

أقول : ويفيد رواية قبيلة حرب أن الإمام عبدالله بن فيصل أغار بجمع عظيم من أهل نجد والقصيم على الآء من الرحلة من حرب جماعة الشيخ ابن مريخان عند بقيعاء اللهيبي^(٣) ، وقد كان الجملاء قبل هذه الحادثة يُمثّلون قوة كبيرة طالما أزعجت أهل القصيم لسيطرتها على طريقهم إلى مكة ، ويبدو أن الإمام عبدالله استطاع أن يكسر شوكتهم ؛ لأنه أوقع بهم ذبحة عظيمة ، وقُتل كثير من أعيانهم وفرسانهم البارزين وعلى رأسهم الشيخ الشهير فايز بن مريخان .. كما قتل في هذه الوقعة علي بن دغيم السليمي الذي كان جاراً للجملاء وحضر معهم الوقعة ، وهو جد الشاعر المشهور محمد بن شبيب الحداري .. وبالمناسبة فإن الجملاء من الرحلة من حرب ؛ ولذلك فكثيراً ما تطلق المصادر التاريخية النجدية هذا الاسم والمقصود قبيلة الجملاء وخاصة في نجد ، أمّا قبيلة الرحلة الأم فهي قبيلة كبيرة ، ولكنها مستقرة بالحجاز في النواحي الغربية للمدينة المنورة بالإضافة إلى أن أعداداً كبيرة منهم يسكنون المدينة .. ومما قيل في وقعة بقيعاء المذكورة من الشعر العامي الأبيات التالية من قصيدة طويلة لشاعر منهم :

(١) يم : أي عند ، أو جهة .

(٢) انظر : تاريخ الفاخري ، ص ١٨٦ .. والصواب : خلقاً كثيراً .

(٣) بقيعاء اللهيبي : تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة الرس بالقصيم على بعد ١٢٠ كم تقريباً ، وهي الآن من قرى قبيلة البدارين من حرب وبها مركز حكومي رئيسه الآن - ١٤٢٢هـ - متعب ابن ذعار بن رباح ابن غليفيص البدراني .

جئنا من العارض جموع تزودي
تحت شعاع الشمس والعبد يقداه
طبوا هل العرفا سواة الفهود
وارخوا مصاريع المهار المغذاة
معهم اخو مهرة بسيفه يزودي
يضفهم ضف العذا عن صراياه
.... إلخ^(١).

عبدالله بن فيصل يأخذ بعض عربان عتيبة سنة ١٢٧٩هـ :

أورد هذا الخبر باختصار شديد الفاخري؛ فقال : « وفيها أخذ عبدالله بن فيصل عربان عتيبة على الرشاوية^(٢) .

والرشاوية : ماء قديم في وادي الرشاء (التسرير قديماً) ، وأسس فيه قرية لناس من عتيبة تابعة لمحافظة الدوادمي ، وفيها وقع مناخ الرشاوية المشهور بين حرب وعتيبة سنة ١٣٢٨هـ كما يقول سعد بن جنيدل^(٣) .

وقعة للإمام عبدالله بن فيصل على مطير سنة ١٢٨٠هـ :

قال في تحفة المشتاق : « وفيها غزا عبدالله بن فيصل بجنوده من الحاضرة والبادية ، وعدا على بني عبدالله بن مطير وهم على الرخيمية^(٤) ، فصباحهم

(١) رواية الشيخ رباح بن طعيمس ابن مريخان رئيس بلدة الذبيبة بالقصيم ، والشاعر محمد بن شبيب بن عقيل بن علي بن دغيم من العويضة من ولد سليم من بني سالم من حرب ، وشهرته محمد الحداري .

(٢) انظر : تاريخ الفاخري ، ص ١٨٦ .

(٣) بحث كتبه الشيخ سعد بن جنيدل في مجلة العرب ، ص ٥ ، ص ٨٥٢ ، وانظر : معجم البلاد السعودية ، للشيخ حمد الجاسر / رسم الرشاوية .

(٤) الرخيمية : موضع يقع في شمال المملكة إلى الشمال من مدينة حفر الباطن .

وأخذهم ثم رجع إلى وطنه»^(١) .

وفاة الشيخ تركي بن حميد سنة ١٢٨٠هـ :

قال الفاخري : «وفيها توفي تركي بن حميد من شيوخ عتيبة»^(٢) .

وقال العبيد : «وفي هذه السنة توفي تركي بن صنهاج بن حميد من أكبر شيوخ عتيبة ، وكان موته بعد طعنة طعن بها وهو في طراد الخيل مع قبيلة مطير ، فتوفي من الطعنة بعد ثلاثة أيام»^(٣) .

وذكر ابن بليهد : أن الشيخ ابن حميد قتله الشريف من بني عبدالله بن مطير^(٤) . وأورد الشيخ أبو عبدالرحمن : رواية أكثر تفصيلاً وإن كانت مختلفة ، حيث قال : (أغار تركي بن حميد على الجبارين من مطير (ال جبرين) في هذا المكان - يقصد موضعاً شمال شرق قرية مسكة - ؛ فأصيب برصاصة في ساقه ، فسقط سيراً ثم أجهزوا عليه .. وبعد ذلك أغار عقاب بن شبنان بن حميد على الجبارين مطالباً بشار تركي فقتل مبلش بن جبرين ... إلخ ؛ فقال شاعر عتيبة وهو تتي أبو عبية من المقطة مخاطباً زوجة مبلش بن جبرين ، أبياتاً منها :

اليوم يا عينا عشيرك ذبحناه

يا ويّش كيفك عقب ريف الخطاير

فردت عليه :

اهمه عشيرين تعشيهام الشاه

وانتم حضيتم كبر كبشا مع النير

(١) تحفة المشتاق .

(٢) تاريخ الفاخري ، ص ١٨٦ .

(٣) مخطوطة العبيد ، حوادث السنة المذكورة .

(٤) صحيح الأخبار ، لابن بليهد ، ط ... ٩ ، ج ٢ ، ص ٧٩ .

شوفي بعيني سلة السيف يمناه

يجلکم جل الفحل للمعاشير^(١)

وكبشا والنير جبلان عظيمان في نجد .

وقعة بين حرب وعنزة سنة ١٢٨٠هـ تقريباً :

و خلاصة ما يذكره رواة حرب عن سبب هذه المعركة : أنه حصل قتال بين الشيخ شبيب بن نحيت شيخ مزينة من حرب والشيخ برجس ابن مجلاد شيخ الدهامشة من عنزة شمال عقلة الصقور الواقعة غرب منطقة القصيم .. ومن أشهر الفرسان الذين شاركوا في هذه الوقعة عبيد الله بن نحيت من حرب وهائس الجلاسي من عنزة^(٢) .

وللمعلومية فالشيخ برجس ابن مجلاد الدهمشي من أشهر أهل زمانه كرمًا وفروسية ، وهو الملقَّب بغدير الموت ؛ لشجاعته المفرطة وإقدامه في الحروب .. قالت إحدى شاعرات البادية مشيدة بفروسيته في إحدى المعارك مع مطير :

كَبُّوا الغَلْبَ غِلْوَى لا رَحْمَ ابونَقَالِه

خَيْلِ حَدَاها بَرْجَسُ تَسْعِين وهو لِحَالِه

لَيْتِي حَلِيلَةَ بَرْجَسُ وَاصِيرَ اَنَا ام عِيَالِه^(٣)

وقد خَلَفَ برجس والده الشيخ الشهير قاعد ابن مجلاد الذي اشترك في مناخ المربع سنة ١٢٤٩هـ ووقعة بقعا سنة ١٢٥٧هـ .. أما الشيخ برجس ابن مجلاد، فقد

(١) ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد ، أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري - ط ٢ ، ج ١ ، ص ٤٢١ .

(٢) رواية كل من : محمد بن زيدان السليمي ، ودرع بن سالم الحربي ، وعبيد بن جروان البدراني الحربي رحمه الله .

(٣) شاعرات من البادية ، عبدالله بن رداص ، ص ١١٨ .

عاصر الأمير طلال ابن رشيد . كما عاصر صراع حرب مع عنزة على ما بقي من ديار عنزة في منطقة القصيم وخاصة منطقة ساق المشهورة في شمال غرب القصيم، وينسب له هاذان البيتان من شعر الحداء^(١) :

يا ساق يا الضلع الطويل العود وصانني عليك
لعيون متسوع الجديل الحربي ما والله يجيك

فرد عليه شاعر من حرب ، فقال :

يا ساق يا الضلع الطويل آمن وحننا نحتميك
والوايلي قفى ذليل اللي حلف لك ما نجيك
فرقا خليل من خليل خلاك لو وصي عليك

وقد أفادني الأستاذ الراوي عبدالله بن عباد العنزي بأن برجس قتل في حدود سنة ١٢٨٠هـ .. قتله صديق له من شمر عن طريق الخطأ .

وقعة أخرى بين حرب وعنزة سنة ١٢٨٠هـ تقريباً :

وخلاصة هذه الواقعة : أنه أغار الشيخ ابن ضبيان من شيوخ عنزة على الظواهرة من حرب - وهم جماعة الشيخ سيف ابن مضيان - ، ولم يشعر آل مضيان إلا وخيالة عنزة قد التفوا على الإبل واستاقوها باتجاه الشمال ، فهب فرسان حرب وعلى رأسهم الشيخ سيف ابن مضيان وإخوانه شاهر وضيّدان وشلاش ومعهم خلف ابن فرهود الظاهري وغيره ، وانطلقوا في أثر القوم لتخليص الإبل من الغزاة ، وتمكنوا من استرداد إبلهم وحمايتها بعد وقعة قصيرة مع فرسان عنزة^(٢) .

(١) نجد في عصور العامية . أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري ص ٣ / ١٢٠ ، ومعجم بلاد القصيم ، محمد بن ناصر العبودي ١١٣٩ / ٣ .

(٢) رواية الشيخ عبدالله بن نايف ابن مضيان أمير بلدة مدرّج - رحمه الله - .

وقعة على مطير سنة ١٢٨١ هـ :

قال في تحفة المشتاق : «وفي آخر المحرم خرج عبدالله بن فيصل بجنوده من الرياض ، ونزل على حفر العك ، وكتب إلى أمراء بلدان نجد بالقدوم عليه بغزو بلدانهم في موضعه ذلك ؛ فلما حضروا عنده ارتحل وعدا على الملاعبة من مطير على القرعاء ، فصباحهم وأخذهم»^(١) .. حفر العك أو العتك أو العتش كما ينطق حالياً : موضع يقع شمال شرق الرياض ، وقد سميت عليه محطة السيارات المشهورة على طريق الرياض سدير السريع على بُعد ١٢٠ كيلاً من الرياض .. والقرعاء المذكورة هنا موضع يقع قرب اللهاية في شرق الصمان ، وكانت القرعاء قديماً لرجل من تميم حيث كانت في ديار بني عبدالله بن دارم ، وهي تقع قرب خط الطول (٤٧ / ٤٦) وخط العرض (٢٨ / ٢٧)^(٢) .

وقعة المعتلا على العجمان والدواسر وآل مرة سنة ١٢٨٣ هـ :

وذلك أن سعود بن فيصل خرج من الرياض مغاضباً لأخيه عبدالله ، فتوجه إلى بلدان الجنوب ، فقام معه العجمان والدواسر ، فلما علم عبدالله بن فيصل بذلك أمر على أخيه محمد بن فيصل أن يسير بغزو أهل العارض وغيرهم لقتال تلك القوات ، فتوجه محمد بن فيصل إلى وادي الدواسر ، والتقى الفريقان في موضع يقال له المعتلا^(٣) ، وبعد وقعة شديدة انهزم العجمان وأتباعهم^(٤) .

(١) تحفة المشتاق / حوادث السنة المذكورة .

(٢) المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ، المنطقة الشرقية ، للشيخ حمد الجاسر ، انظر رسم : القرعاء .

(٣) المعتلا : موضع يقع في ناحية وادي الدواسر .

(٤) انظر : تاريخ الفاخري ، ص ١٨٨ ، وتاريخ بعض الحوادث ، ص ١٧٧ ، وتحفة المشتاق ، حوادث السنة المذكورة .

وقعة بين ابن رشيد ومطير على الشوكي سنة ١٢٨٦هـ :

قال الفاخري : « وفيها غار^(١) بندر بن طلال أمير الجبل على الصعران من برّيه وهم على الشوكي ، فأخذهم ، وقتل رئيسهم هذال بن بصيص^(٢) .
وقال البسام في تحفة المشتاق : « وفي هذه السنة غزا بندر بن طلال ابن رشيد وأغار على الصعران من برّيه في الشوكي^(٣) ، فأخذهم وقتل شيخهم هذال بن عليان ابن غرير صبراً : لأنه قُتل في هذه الوقعة علي آل عبيد بن رشيد ، فقتلوه به^(٤) .

غارة للإمام عبدالله الفيصل على مطير أيضاً سنة ١٢٨٦هـ :

قال الفاخري : « وفيها أخذ الإمام عبدالله بن فيصل الصهبة من مطير على الوفرا^(٥) .
وقال ابن عيسى في تاريخ بعض الحوادث : « وفي هذه السنة سار عبدالله بن فيصل بجنوده من الحاضرة والبادية وقصد جهة الحسا ، وخيّم على دُعيلج المعروف قرب الحساء ، وأقام في مكانه ذلك نحو أربعة أشهر ؛ فلما كان في ذي القعدة من السنة المذكورة ارتحل عبدالله الفيصل من دُعيلج ، وأغار على الصهبة من مطير وهم على الوفرا^(٦) ؛ فأخذهم ، ثم رجع إلى الرياض^(٧) .

(١) هكذا في الأصل ، والصحيح : أغار .

(٢) تاريخ الفاخري ، ص ١٩١ .

(٣) الشوكي : أحد أودية العرمة الشمالية . يصب في روضة التتهات ، وهو شمالي العتك الأسفل

(معجم اليمامة ، مصدر سابق ، ص ٦٣) .

(٤) تحفة المشتاق ، حوادث السنة المذكورة .

(٥) تاريخ الفاخري ، ص ١٩١ .

(٦) الوفراء : منهل قديم شمال شرقي الجزيرة العربية . أصبح منطقة نفطية كويتية في العصر

الحالي (المعجم الجغرافي للبلاد السعودية ، المنطقة الشرقية ، الشيخ حمد الجاسر ، القسم

الرابع - ٠ ط ١ ، ١٣٩٩هـ ، ص ١٨١٧ م .

(٧) تاريخ بعض الحوادث ، ص ١٧٩ .

وقال في تحفة المشتاق : «وفيها غزا عبدالله بن فيصل بجنوده من الحاضرة والبادية ، وخضر الصعران من بُريّه من مطير وأخذ منهم خيلاً وإبلًا كثيرة»^(١) .

مشاركة سبيع وقحطان في وقعة جودة ١٢٨٧هـ :

أشار الفاخري إلى مشاركة سبيع في هذه الوقعة بين كل من أتباع سعود بن فيصل ومحمد بن فيصل على الجودة ، وهي موضع يقع إلى الشمال من الأحساء بين الرياض والمنطقة الشرقية .. كما ذكر ابن مانع في تاريخه : أن العجمان شاركوا فيها أيضاً إلى جانب سعود بن فيصل^(٢) .. وأفاد العبيد أن كثيراً من العجمان وآل مرة كانوا مع سعود بن فيصل في حين أن السهول وسبيع كانوا مع قوات عبدالله الفيصل ، ولكنه يشترك مع ابن عيسى في الإفادة بأن سبيعاً قد خذلوا محمد بن فيصل أثناء المواجهة وتحولوا إلى جانب سعود^(٣) .

مشاركة بعض قبائل نجد في وقعة البرّة سنة ١٢٨٨هـ :

تذكر مصادر تاريخ نجد أن سعود بن فيصل دخل الرياض في هذه السنة وكان معه كثير من أتباعه من أهل الجنوب ومن العجمان ، وخرج أخوه عبدالله من الرياض ، وصار مع بادية قحطان ، ثم تواقع الطرفان على بلدة البرّة القريبة من الرياض ، وكان مع سعود كل من سبيع والعجمان والدواسر .. في حين كان مع عبدالله ، قحطان ، وكانت الهزيمة على أتباع عبدالله بن فيصل^(٤) .

(١) تحفة المشتاق ، حوادث السنة المذكورة .

(٢) تاريخ ابن مانع ، حوادث سنة ١٢٨٧هـ .

(٣) النجم اللامع ، وتاريخ بعض الحوادث ، حوادث السنة المذكورة .

(٤) تاريخ بعض الحوادث في نجد ، ص ١٨٢ ، ومذكرات الشيخ ابن مانع ، ص ١٩٢ ، وتحفة المشتاق، وتاريخ الذكير / حوادث السنة المذكورة ، وانظر تفاصيل الخلاف بين كل من عبدالله ابن فيصل وأخيه سعود في كتاب : تاريخ الدولة السعودية الثانية ، تأليف : د . عبدالفتاح أبو عليّة - ط ٥ - الرياض : دار المريخ ، ١٤٢٠هـ ، ص ١٩٥ - ٢٠٧ .

وقعة بين السهول وأهل شقراء سنة ١٢٨٨ هـ :

قال في تحفة المشتاق : «وفي شوال نزلوا السهول في النفود المعروف شرقي بلد شقراء ، وأكثروا الغارات على أهل شقراء وبلدان الوشم ، وكثر منهم النهب ، فخرج أهل شقراء لقتالهم . وحصل بينهم قتال شديد ، وصارت الهزيمة على السهول ، وقتل منهم عدة رجال منهم ثقل بن رويضان شيخ السهول ، وقتل من أهل شقراء محمد بن سعد البواردي ، وأصيب أناس منهم بجراحات ... إلخ»^(١).

وقعة بين قحطان وحاج شقراء سنة ١٢٨٩ هـ :

قال في تحفة المشتاق أيضاً : «وفيها صارت الوقعة المشهورة بين حاج أهل شقراء وآل روق من قحطان في نفود السر .. حصل بين الفريقين قتال شديد قتل فيه عبدالله بن عبيد من أهل شقراء ، وسلم الله الحاج ولم يؤخذ منهم شيء»^(٢) .

خبر عن عتيبة مع حاج الأحساء سنة ١٢٨٨ هـ :

ورد هذا الخبر في إشارة مهمة في مذكرات السيد داود السعدي من أتباع الدولة التركية وكان مع حملة حجاج الأحساء سنة ١٢٨٨ هـ ، حيث ذكر : أن فريقاً من عتيبة يقدمهم عبدالعزيز ابن جامع أغاروا على القافلة عند مكينة ، وانتهى الأمر بالصلح بينهم وإرضاء المغيرين بمبلغ قدره ١٤٤ ريالاً وبعض الهدايا ، إلا أنه قد تم استرجاع المبلغ المذكور في مكة بواسطة الشيخ حسين ابن جامع شيخ القبيلة المذكورة^(٣) .

أقول : ويستفاد من كلامه أن العرب المذكورين هم قبيلة الروسان جماعة

(١) تحفة المشتاق ، حوادث السنة المذكورة .

(٢) تحفة المشتاق ، حوادث السنة المذكورة .

(٣) انظر : لغة العرب ورئيس كتبتها أنستانس الكرمللي ، تأليف : أبو عبدالرحمن الظاهري ، وأمين سليمان سيدو - ط ١ - مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ٤١ .

الشيخ ابن جامع . وأما مكينة فهي موضع لم أعثر على تعريفه في معجم البلدان السعودية ، لكن محقق الرحلة ذكر أنه يقع في عالية نجد على بعد ٧٠ كيلاً تقريباً إلى الغرب من بلدة الدوادمي .

وقعة بين أهل عنيزة وعتيبة سنة ١٢٨٩هـ :

قال ابن بسام في تحفة المشتاق : «وفي صفر أخذوا أهل عنيزة مصلط بن ربيعان ومن معه من الروقة من عتيبة وذلك في أرض الشقيقة»^(١) .. قال العبيد من أهل عنيزة عن هذا الخبر : «وفي هذه السنة أتى مصلط بن ربيعان بعربانه من الروقة ، وضيق على أهل عنيزة بقطع سابلتهم ، فانتدب له أمير عنيزة زامل العبدالله السليم وجماعته أهل عنيزة وبادية مطير في نفود صعافيق مما يلي وثيلان ، وأخذوا سبلاً أباعر ابن ربيعان المشهورة التي هو يعتزي بها؛ فيقول إذا أنكر شيئاً : (خيال سبلاً مصلط) .. ثم إن مصلط بعد الوقعة المذكورة طلب الأمان من زامل والاجتماع به ، فأمنه ودعاه إلى ضيافته في عنيزة ، فأمنه وأكرمه ورداً عليه شيئاً من إبله ، وكان يشاهد الجزائريين وهو في عنيزة يسوقون الناقة من إبله وينحرونها ، فيشق عليه ذلك ، ويقول متمثلاً :

يا ليت سبلاً يوم جاها بلاها

ما هيب عند مصرفة خضر الارباع»^(٢)

انتهى كلامه .. أقول : ولا ننسى أن العبيد من أهل عنيزة ، وأن ما نقله هنا يمثل وجهة نظر أحد الطرفين ، وقد لا يخلو ذلك من التحيز ما لم يوافقه الطرف الآخر على هذه الرواية !

(١) تحفة المشتاق ، حوادث السنة المذكورة .

(٢) مخطوطة العبيد ، حوادث سنة ١٢٨٩هـ ، والأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية ، ص ٢٢٨ ، وصحيح الأخبار لابن بليهد ، ص ١٥٣ .

العجمان والدواسر يناصرون سعود بن فيصل سنة ١٢٩٠هـ :

قال ابن عيسى في تاريخه : «وفي سنة ١٢٩٠هـ أقبل سعود بن فيصل ومعه جنود كثيرة من العجمان والدواسر . واستولى على الخرج ، ثم سار إلى ضرما واستولى عليها ثم سار إلى حريملاء فخرج أهل حريملاء لقتاله ، فهزمهم ... إلخ»^(١) .

وقعة الجزعة ولجوء عبدالله إلى قحطان في المستوي سنة ١٢٩٠هـ :

قال في تحفة المشتاق بعد أن ذكر الخبر السابق : «ولما جاء الخبر إلى عبدالله ابن فيصل خرج لقتاله ، فالتقوا في الجزعة بالقرب من الرياض ، وحصل بينهم قتال شديد ، فصارت الهزيمة على عبدالله وأتباعه ، وقتل منهم عدة رجال ، وتوجه عبدالله بن فيصل إلى عريان قحطان وهم في المستوي ، وأقام هناك أياماً ومعه أخوه محمد ... إلخ»^(٢) .

أقول: ولعل أهمية إيراد مثل هذا الخبر تكمن في تحديد موقع عريان قحطان في نجد في ذلك التاريخ، وهذا ما يهم متتبع حركة القبائل في قلب نجد، فضلاً في أهميته في معرفة ارتباط قبيلة قحطان وتأثر موقفها بالوضع السياسي في الدولة السعودية ، بخلاف ما يتناقله العوام عن سيطرة قحطان على نجد وأن تلك السيطرة تتأثر بسبب نزول عتيبة ومنافستها ، وكأن نجداً لا يوجد فيه إلا عتيبة وقحطان ! .. ومما ينبغي التنبيه عليه أن العبيد يذكر أن عبدالله عندما خرج من الرياض ذهب إلى قحطان وهم فوق الصبيحية الماء المعروف قرب الكويت !.. وهذا يناقض ما ذكره ابن عيسى ، وابن بسام من أنهم في المستوي . ابن عيسى ص ١٨٤-١٨٥ لم يحدد المكان ، وأرى أن ابن عيسى وابن بسام أصح ؛ لأنهما أقرب معاصرة للحدث .

(١) تاريخ بعض الحوادث، ص ١٨٤ ، وتحفة المشتاق ، حوادث السنة المذكورة .

(٢) انظر المصدرين السابقين ، وكذلك تاريخ العبيد .

وقعة طلال بين سعود بن فيصل وعتيبة سنة ١٢٩٠ هـ :

قال ابن عيسى في تاريخه : «وفي ربيع ثاني خرج سعود بن فيصل من الرياض بجنود من البادية ، والحاضرة من السنة المذكورة وأغار على الروقة من عتيبة وهم على طلال الماء المعروف ، فصباحهم سعود بمن معه من الجنود وحصل بينهم قتال شديد وصارت الهزيمة على سعود ومن معه وقتل منهم خلائق كثيرة منهم سعود بن صنيان ومحمد بن أحمد السديري وعلي بن إبراهيم بن سويد أمير جلال ... إلخ»^(١) .. وأضاف ابن بسام في تحفة المشتاق : «... وهم على طلال الماء المعروف في عالية نجد وشيخهم مصلط ابن ربيعان ... إلخ»^(٢) .

أقول : ومما ينبغي ملاحظته أن الإمام عبدالله بن فيصل منذ بداية خروج أخيه سعود عليه لم يكن على وفاق مع عتيبة ، بل كان مع قحطان ، لكنه في هذه السنة تصالح مع عتيبة بسبب وقعة طلال السابقة التي كانت ضد خصمه سعود .

الإمام عبدالله يقيم مع عتيبة سنة ١٢٩١ هـ :

قال العبيد في مخطوطته : «ثم دخلت سنة ١٢٩١ هـ ، وفيها أمر سعود بن فيصل على أهل بلدان نجد ، وأمرهم بالحضور عنده بأهل الرياض بغزوانهم ، فلما حضروا عنده سار بهم إلى بلد القويعية ، ونزل عليها وأقام بها عدة أيام ، وكان الإمام - يقصد عبدالله الفيصل - نازلاً مع عريان عتيبة ، وكان سعود قصده أن يغزيهم جميعاً ، فبلغه أن عريان عتيبة قد اجتمعوا وحشدوا وأنهم في شوكة عظيمة وقوة هائلة ، فانشئ عزمه عن ذلك ، وارتحل من القويعية ورجع إلى الرياض»^(٣) .

(١) انظر : تحفة المشتاق ، وتاريخ ابن ضويان ، وتاريخ الذكير ، حوادث السنة المذكورة .

(٢) تحفة المشتاق ، حوادث السنة المذكورة .

(٣) مخطوطة العبيد ، النجم اللامع ، حوادث سنة ١٢٩١ هـ .

استعانة عبدالله بن فيصل بعتيبة سنة ١٢٩٢هـ :

ذكرنا فيما سبق أن عبدالله بن فيصل وأخيه محمد صاروا عند عتيبة بعد وقعة طلال السابقة ، ولما دخلت سنة ١٢٩٢هـ طلب الإمام عبدالله من عتيبة القيام معه في قتال أولاد أخيه سعود وأخيه عبدالرحمن الذي قام بالأمر بعد وفاة أخيه سعود .. قال العبيد : «فسار محمد الفيصل بمن معه من أهل الوشم وبادية عتيبة الذين انضموا معه ، فقصد بلد ثرمداء ، وكان الإمام عبد الرحمن حينما بلغه الخبر بمسير أخيه محمد إلى ثرمداء خرج من الرياض بجنود عظيمة بادية وحاضرة ، ومعه أولاد أخيه سعود ، وقصد الوشم بمن معه ؛ فصادف أن أخاه محمداً ومن معه من الجنود نازلين^(١) في ثرمداء - وهي قرية من قرى الوشم -؛ فحاصروهم فيها، وحصل بين محمد الفيصل وأخيه عبدالرحمن وقعة شديدة ، فقتل من جنود محمد عدة رجال ، وقتل من أهل ثرمداء ثمانية رجال ، ثم إنهم تصالحوا على تسليم محمد الفيصل لأخيه عبدالرحمن وتسليم سلاحه هو وسلاح أصحابه وجميع ركاibهم وما معهم من الخيام والأمتعة والأثاث ... إلخ»^(٢).

الإمام عبدالرحمن يغير على عتيبة سنة ١٢٩٢هـ :

قال العبيد بعد الوقعة السابقة : «ثم إنه - أي عبدالرحمن بن فيصل - عدا على عتيبة وهم على الدوامي .. ورؤساؤهم مصلط بن ربيعان ومحمد بن هندي وهذا الشيباني ؛ فصبّحهم الإمام عبدالرحمن بمن معه من الجنود ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل من الفريقين عدة رجال ، فكانت الغلبة لعتيبة على الإمام عبدالرحمن ومن معه ، واحتموا حلالهم عنه ، ورجع عنهم بدون هزيمة»^(٣).

(١) هكذا في الأصل ، والصواب لغة : نازلون .

(٢) مخطوطة العبيد ، حوادث سنة ١٩٩٢م .

(٣) مخطوطة العبيد ، حوادث سنة ١٩٩٢م .

ابن ربيعان وحرب أهل القصيم ١٢٩٣هـ :

في هذه السنة والتي قبلها حصل قتال بين أمراء بريدة من آل أبا الخيل وآل أبو عليان ، واستعان آل أبو عليان بالإمام عبدالله الفيصل : فجمع جنوده ، وجاء إلى القصيم ، ونزل في عنيزة ، وقام معه مصلط بن ربيعان ، ونزل بعريانه من الروقة على الروغاني شمال عنيزة ، وأقاموا ينتظرون وصول عقاب بن شبنان بن حميد .. أما أهل بريدة آل مهنا وأتباعهم فإنهم كتبوا إلى محمد ابن رشيد ، وطلبوا منه القدوم بأتباعه لنصرتهم ضد عبدالله الفيصل وأهل عنيزة ، وقال العبيد : «ثم إن أهل عنيزة ، قرروا عدم القيام على غزو حسن المهنا وجماعته ، وزد على ذلك أن عقاب بن حميد أبطأ وتأخر عن الحضور لنصرة الجميع ، فلما علم بذلك مصلط ابن ربيعان أتى إلى صيوان الإمام وهو يقول :

عَقَلْتُ أَنَا سَبَلاً إِلَيَّ كَمْ يَوْمَ مَا سَلَّتُ أَنَا عَنْ بِيرِقٍ بِالشَّامِ

يَا شَيْخَنَا مَا لَكَ عَلَيْنَا لَوْمَ لَوْمَكَ عَلَى بَرَقَا وَابْنَ بَسَامِ

ويقصد بابن بسام عبدالله العبدالرحمن الذي أشار على أهل عنيزة بعدم

الدخول في قتال أمراء بريدة»^(١) .

إشارة إلى مكان ابن بصيص سنة ١٢٩٤هـ :

يستفاد من إشارة ذكرها ابن عيسى أن الشيخ ماجد بن بصيص ومن معه من

عريانه من بُرَيْه من مطير كانوا قاطنين على جو أشيقر^(٢) .

مطير وقحطان وأهل عنيزة في وقعة دخنة ١٢٩٥هـ :

أشار إلى هذه الوقعة بعض مؤرخي القصيم ، ومفادها : أن حزام بن حشر

رئيس آل عاصم من قحطان نزل على دخنة ومعه عريانه من آل عاصم وغيرهم ، ثم

(١) مخطوطة العبيد ، حوادث سنة ١٩٩٣م .

(٢) تاريخ بعض الحوادث ، ص ١٦٠ ، ومخطوطة الذكير ، ص ٣ أو ، ص ٢٧ .

إنهم دخلوا حمى أهل عنيزة ، كما أكثروا التعرض لأهل عنيزة وضواحيها : فجمع لهم أمير عنيزة زامل السليم أتباعه من أهل عنيزة ، واستتصر بالجلال من مطير . وصبحوا قحطان على دخنة ، وحصل بين الفريقين معركة حامية انتصر فيها أهل عنيزة وأتباعهم ، وقتل من قحطان عدة رجال على رأسهم حزام بن حشر ، وفي ذلك يقول شاعر عامي من قحطان قصيدة منها :

لا واجمنا اللي يشيل الروايا وإن قريوا للشيل وثنات الاحمال
شلنا وخلينا زيون الونايا حطوه في خرب الجبل مظلم الجال
عسى السحاب اللي ترزم عشايا يمطر على قبر به الشيخ نزال^(١)
مشاركة حرب وشمّر وعتيبة في وقعة الجمعة سنة ١٢٩٩هـ :

وذلك أنه بعد أن اشتد الخلاف بين الإمام عبدالله وأهل الجمعة كاتبوا محمد ابن رشيد، وخرجوا عن طاعة الإمام ؛ فجمع جموعه، وخرج من الرياض قاصداً الجمعة، وانضمت إليه بادية عتيبة المعادية لابن رشيد، ونزلوا على بلد حرمة وحاصروها مع قوات الإمام، وأثناء ذلك أقبل محمد ابن رشيد بأتباعه نصرة لأهل الجمعة ومعه لفيف من أهل الجبل ومن شمّر وحرب وبني عبدالله من مطير، وانضم إليهم حسن آل مهنا بأهل بريدة .. قال العبيد : « فلما علم بذلك جنود عتيبة لم يثبتوا بل تفرقوا، فارتحل الإمام بمن معه ودخل الرياض ، وكان مدة إقامته محاصراً لبلد الجمعة أربعين يوماً^(٢) .

وقعة عروى على عتيبة سنة ١٣٠٠هـ :

وهذه الوقعة المشهورة كانت بين محمد ابن رشيد وأتباعه وبين عتيبة ومعهم محمد بن سعود بن فيصل ، وكانت عتيبة بقيادة عقاب بن شبنان بن حميد ، وحضرها معه: محمد بن هندي بن حميد ، وابن أخته ضيف الله بن تركي بن

(١) المصدر السابق ، حوادث سنة ١٢٩٥هـ .

(٢) مخطوطة العبيد ، ومخطوطة إبراهيم بن محمد القاضي ، حوادث سنة ١٢٩٩هـ .

حميد، وهذال بن فهيد شيخ الشيايين ، وابن محيا .. كما يقال : إن بعض العجمان ورئيسهم راكان بن حثلين حاولوا نجدة عتيبة ؛ ولذلك عرض بهم حمود ابن رشيد بقصيدته التي منها :

إن كان ابن هندي نوانا ببرزان حنا على عروى قصرنا مسيره
يوم حضر شره حزام وفاران كون على عروى تقطع غثيرة
يا ليل سلم لي على الشيخ راكان سلم على زيزوم يام واميره
ورد عليه ضيف الله ابن حميد بقصيدة منها :

ياحمود لا بقنا ولا انا بسرقان السرقي في حكمك عسى الله يجيره
وبعد قتال شديد كادت عتيبة تنتصر ، ولكن حسن آل مهنا أمير بريدة وصل على رأس أهل القصيم مدداً لابن رشيد ؛ فانتصرت القوات الرشيدية ، وهزمت عتيبة هزيمة عظيمة بعد أن أبدى العتبان شجاعة فائقة وبسالة عظيمة .. وقد غنم ابن رشيد من أموال عتيبة وأمتعتهم شيئاً كثيراً في وقعة عروى^(١) كما غنم العتبان عدداً من خيل شمر ، وفي ذلك يقول ضيف الله بن تركي بن حميد :

حنا نقايصنا هروس وشن ولا عندنا في باقي القش لو مال
خذنا عوضها كل قباً تعني وعاداتنا نخلي ظهر كل مشأل

وقد علق الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل على البيت الأول شارحاً فقال : هروس : مهاريس وهي النجور ؛ وأعتقد أن المقصود هنا بيوت الشعر ؛ لأن قواطعها المصنوعة من الصوف يسمى الواحد : هرساً . وجمعها هروس ، وهذا هو المشهور

(١) عروى : ماء قديم غربي شمام في عالية نجد ، وفي هذا العصر تأسست عليها هجرة لقبيلة المقطة من برقنا من عتيبة تقع إلى الجنوب من الدوامي وتبعد عنه مسافة سبعين كيلاً ، (عالية نجد ، لابن جنيدل ، مصدر سابق - ٠ ط ١ ، ١٩٩٢م ، ص ٩٣٩) ، وهي الآن مركز وقاعدة الشيخ ابن حميد المقاطي .

في بادية نجد^(١) .. [قال أبو عبد الرحمن ابن عقيل : وهذا هو الصحيح ، وشروحي لشعر البادية من الشعر العامي قديمة تجاوزت بعضها بخبرة جديدة] .

خاتمة :

كما ذكرت في المقدمة : فإن هذا البحث لا يمثل إلا جانباً يسيراً من حياة القبائل في وسط الجزيرة العربية خلال المدة المعنية ، ولا يحيط بجميع حوادث البادية وما يجري بينها من مناوشات يومية لم يستطع المؤرخون حصرها ؛ لكثرتها ، ولعدم اهتمامهم بها بعد أن أصبحت ممارسة يومية في حياتهم .. وليس هذا فحسب ، بل لم أورد الحوادث والأخبار التي يتناولها الرواة أنفسهم ويتفاخرون بها ويحفظون الأشعار الكثيرة فيها ؛ لأن الباحث قد رأى عدم الأخذ بتلك الروايات العامة بعد أن ظهر له ما يعتريها من الزيادة والنقص والمبالغة والبعد عن الحقيقة في الغالب ، فأقتصر على استعراض ما ورد في المصادر التاريخية المكتوبة القريبة من تلك الحوادث ، وهي أكثر حيادياً من الرواية الشفهية العامة .

وبعد أن تتبعْتُ تلك الأخبار والإشارات على نحو ما ذكرتُ : فإنه من المهم أن أشير إلى الخصائص والظروف والتغيرات التي تتميز بها مدة البحث ، وهي التي كان لها أثر كبير على مجريات الأمور في حركة القبائل النجدية ومدى مشاركتها في صنع التاريخ في الصحراء العربية .

ومن أهم هذه التغيرات تقلُّب الأحوال السياسية في المنطقة خلال مدة البحث؛ لأنه يلاحظ أن المنطقة قد تعرضت لتغيرات سياسية واجتماعية كبيرة ، ومرت بتحويلات متباعدة بلغت أقصى درجات الاستقرار والوحدة والأمن في الربع

(١) تواريخ بعض الحوادث ، ص ١٩١ ، وديوان الشعر العامي بلغة أهل نجد ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص ١٢٥ - ١٢٧ ، ومخطوطة العبيد ، حوادث السنة المذكورة ، وانظر مخطوطة الصايغ ، ص ٢٠٦ - ٢٢٩ .

الأول من القرن الثالث عشر إبَّان مدة الحكم السعودي الذي بلغ أوجه سنة ١٢٢٥ هـ.. كما بلغت أقصى درجات الاضطراب والتفكك وانعدام الأمن بعد سقوط الدرعية، ثم مرت المنطقة بعد ذلك بحالة غير مسبوقة، وهي دخول العساكر المصرية التركية إلى عمق الصحراء العربية، وقيامها بأعمال وأساليب جديدة على أهل البلاد أثناء محاولتها السيطرة على الجزيرة العربية وإخضاعها لحكم محمد علي باشا .. وقد أحدث سقوط الدولة السعودية الأولى فراغاً سياسياً عظيماً لم تستطع قوات محمد علي باشا أن تملأه بنظامها ووسائلها الغربية على المنطقة؛ فازداد تفكك القبائل، وتفاقت انقساماتها على بعضها نتيجة للدسائس والأساليب التي مارسها العساكر الذين كانوا يحاولون السيطرة على الصحراء المقاومة بأي وسيلة..! لكن آل سعود لم يلبثوا أن أعادوا الكرة لاستعادة حكمهم في مرحلته الثانية، وبناء دولة جديدة لئلا الفراغ السياسي المرعب الذي حل بالمنطقة، وتترفع عنها ذلك الكابوس المخيف المتمثل في سلطة العساكر وسلطة الفوضى..! غير أن الدولة السعودية الثانية التي واجهت ظروفًا عصيبة في بدايتها لم تنعم بالاستقرار كثيراً؛ إذ لم تلبث بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٨٢ هـ حتى بدأت علامات الضعف والنهاية تدب في أوصالها، لتبرز في المنطقة قوة جديدة مصدرها شمال نجد، وهي الإمارة الرشيدية التي خدمتها الظروف؛ فقامت ممثلة بأكبر أمرائها محمد ابن رشيد باستغلالها أيما استغلال^(١).

(١) قال أبو عبد الرحمن: كان الأمير محمد بن عبد الله ابن رشيد رحمه الله أثناء لجوئه عند الإمام عبد الله بن فيصل رحمه الله على وعي بعلاقات الضعف، وبوادر الخلاف بين الإمامين عبد الله وسعود رحمهما الله؛ ولهذا لزم الحياد، ولم ينصر السلطة الشرعية القائمة - سواء أكانت في غلبة عبد الله، أم في غلبة سعود -؛ ليبقى الحكم السعودي على قوته واستقراره.. حتى إذا لم يبق غير الرياض تحت يد الإمام عبد الله: تدخل باسم نصرته، ثم كانت هيمنتها هو على الأمر.

ومع أننا سوف نناقش في نهاية هذا البحث إن شاء الله أثر هذه التغيرات بشكل أكثر تفصيلاً ، إلا أنه من المهم الإشارة هنا إلى عدة أمور يجب ملاحظتها قبل الدخول في تفصيل هذا البحث أو محاولة الحكم عليه ، ومنها الوضع في المراحل التاريخية المختلفة المتمثلة فيما يلي :

أولاً : الربع الأول من القرن الثالث عشر (١٢٠١ - ١٢٢٥هـ) :

شهدت هذه الحقبة غاية الاستقرار والوحدة في وسط نجد بفضل الله ثم بفضل ما بلغته الدولة السعودية الأولى التي تأسست في منتصف القرن الثاني عشر الهجري .. وبلغ هذا الاستقرار غايته بنهاية الربع الأول من القرن قبل وصول القوات المصرية إلى بر الحجاز سنة ١٢٢٦هـ ؛ ولهذا فإن المتابع لأخبار القبائل سيلاحظ قلة واضحة في أخبارها وحوادثها في وسط نجد مع مرور سنوات هذه الحقبة ، وهذا يعود لهدوء الأوضاع ؛ حيث تنحصر أخبار القبائل في دخولها في دائرة الوحدة أو في مشاركتها في وقائع توحيد البلاد وتأمين أطرافها .

ثانياً : الربع الثاني من القرن الثالث عشر (١٢٢٦ - ١٢٥٠هـ) :

لقد شهدت هذه الحقبة حوادث جسيمة مؤثرة في تاريخ المنطقة بدأت بدخول قوات محمد علي في حملتها الأولى منطقة الحجاز ، واستيلائها على المدينة المنورة ثم مكة المكرمة ، وما تلى ذلك من حوادث عظيمة انتهت بسقوط الدرعية وما تلاه من فوضى واضطرابات ستأتي بعض تفصيلاتها ضمن سياق الأخبار .. كما شهدت أواخر هذه الحقبة مرحلة تأسيس الدولة السعودية الثانية ، وسيلحظ القارئ خلال هذه الحقبة تزايد مشاركات القبائل بالحوادث التاريخية والسياسية ؛ بسبب انقسام الولاءات ، وانقسامات التبعية السياسية في المنطقة التي حلت محل الوحدة السعودية .. كما أن من مظاهر تاريخ هذه الحقبة تزايد الاهتمام بتاريخ القبائل في

المصادر التاريخية .. وليس ذلك بسبب مواقفها السياسية ، وإنما هو بسبب دخول مصادر تاريخية جديدة في منطقة نجد كالتقارير العسكرية العثمانية عن أوضاع قواتها في وسط نجد وعلاقتها مع القبائل ، فضلاً عما كتبه الرحالة الغربيون الذين نشطوا في استكشاف الصحراء العربية واتجاهاتها السياسية والدينية .

ثالثاً : الربع الثالث من القرن الثالث عشر (١٢٥١ - ١٢٧٥هـ) :

تتضمن هذه الحقبة مرحلتين متباينتين ؛ فخلال المدة من سنة ١٢٥٠هـ إلى ١٢٥٣هـ كان إقليم نجد مضطرباً وموزعاً بين وسطه الذي يحاول الإمام فيصل بن تركي جاهداً أن يفرض عليه الاستقرار والوحدة ، وبين الأطراف الغربية والجنوبية لنجد التي تتواجد فيها قوات محمد علي باشا وتحاول فرض سيطرتها على قبائلها .. غير أن جهود الإمام فيصل سرعان ما توقفت سنة ١٢٥٣هـ ، عندما غلب على أمره ، ورُحِّل إلى مصر ، وحل العساكر محله في وسط نجد ؛ فانقلبت الأمور ، واشتعلت الاضطرابات مرة أخرى .. لكن الإمام عاد إلى نجد في أواخر سنة ١٢٥٦هـ ، واستأنف جهوده ، ولم يلبث أن استعاد مكانته وسيطرته على الأمور في وسط نجد بعد مكاتبات ومناوشات ومعارك مع القبائل النجدية .. وقد كان لكل هذه التقلبات السياسية تأثير كبير على حركة القبائل وتبادل مواقعها في نجد وعلى أطرافه .

رابعاً : الربع الأخير من القرن الثالث عشر (١٢٧٦ - ١٣٠٠هـ) :

وقد شهدت هذه الحقبة عودة الاضطرابات إلى نجد فيما يتعلق بأحوال القبائل ، وليس ذلك بسبب تحول ولاءاتها من الحكم السعودي إلى أشرف الحجاز أو الإمارة الرشيدية ، وإنما هو لعدم تمكن أمراء الرشيد من تطبيق النموذج السعودي الخاص في الحكم الذي يقوم على أساس ديني وقيادي راسخ ؛ ومن ثم لم

يستطع الرشيدون توحيد البلاد وقبائلها وإخضاعها ، ولم يصلوا إلى المستوى الوحدوي السعودي : وهذا ما يفسر الاضطرابات في نجد .. خاصة حوادث القبائل وسط نجد وعلى أطرافه .. وما أودُّ أن أشير إليه بعد استعراض هذه المراحل الزمنية والتحولات التاريخية التي شهدتها القرن الثالث عشر : هو أن تاريخ حركة القبائل ظل متفرقاً في المصادر التاريخية ، ولم يكن الاطلاع عليه متيسراً لأبناء القبائل ؛ لعدم اهتمامهم بالتدوين التاريخي ، ولطبيعة حياتهم البدوية غير المستقرة .. وقد أدّى هذا الوضع إلى صنع تاريخ عامي مواز للتاريخ المدوّن قد يتفق معه أحياناً وقد يختلف معه في أغلب الأحيان .. وللأسف الشديد فإن كثيراً من المهتمين قد اعتمدوا على التاريخ العامي ، واجتهدوا في استنتاجه من دواوين الأدب الشعبي أو من صدور العوام ، وأغفلوا الجانب التحقيقي للمتاح من المصادر التاريخية المكتوبة المعاصرة لتلك الحوادث .. غير أنه من الجدير بالذكر بعد هذا الاستعراض أن نشير إلى أن الحروب القبلية وغزوات السلب والنهب : كانت جزءاً من الحياة في وسط الجزيرة العربية ، وبالأخص لدى القبائل النجدية حتى قام الزعماء السعوديون - الذين قيضهم الله سبحانه وتعالى لتغيير هذا الواقع المرير ، وإنقاذ البلاد مما كانت عليه من الفوضى والبؤس - : فجاهدوا لإيقاف تلك الصراعات الدموية عن طريق الغزوات الجهادية لتوحيد تلك الأطراف المتصارعة ، وتوجيه نشاطها إلى الوحدة والبناء بعد أن كانت موجهة للفرقة والتطاحن الغوغائي .. وقد آتت الجهود الخيرة للزعماء السعوديين ثمارها في حقبة وجيزة : إذ سرعان ما تحولت القبائل إلى أمة واحدة تقاتل تحت راية لا إله إلا الله ، وتبدل الخوف في جزيرة العرب إلى أمن لم تشهده البلاد قرابة عشرة قرون ، وقد بلغ هذا الأمن أوجه في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد ثم في عهد ابنه الإمام سعود ، وقد

شهد المؤرخون لآل سعود بهذا الإنجاز .. قال ابن بشر ضمن كلام طويل حول هذا الموضوع : «وجميع أهل الأسفار يأتون من البصرة وعُمان وبلدان العجم والعراق وغير ذلك إلى الدرعية ، ويحجون ويرجعون إلى أوطانهم لا يخشون أحداً من جميع البوادي مما احتوت عليه هذه المملكة لا بحرب ولا سرق ، وليس يؤخذ منهم شيء من الإخوات^(١) والقوانين التي أحيوا بها سنة الجاهلية .. يخرج الراكب وحده من اليمن وتهامه الحجاز والبصرة والبحرين وعُمان ونقرة الشام لا يحمل سلاحاً ، بل سلاحه عصاه .. لا يخشى كيد عدو ولا أحداً يريد به سوء»^(٢) .

أقول : ولولا أننا شاهدنا هذا بأعيننا في عهد الدولة السعودية الثالثة لربما صعب على كثير منا تصور كلام ابن بشر وغيره من المؤرخين المنصفين .. نسأل الله العلي القدير أن يديم علينا نعمة الأمن والاستقرار تحت ظل حكومتنا الرشيدة وزعمائها الميامين من آل سعود ، وأن يجعلنا ممن يعتبر بدراسة هذا التاريخ ، ويشكر نعم الله عليه إنه سميع مجيب .

(١) يعني الإخوات جمع إخوة وهو مبلغ نقدي أو عيني يفرضه أهل السيطرة من القبائل على من يجتاز ديارهم من سالكي الطريق ، أو على أهل القرى والحوضر ؛ مقابل حمايتهم وعدم التعرض لهم .

(٢) عنوان المجد، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .